

المجموعتان التوجيهيتان

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

طبعة منقحة مصححة

دار إحياء التراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيخ الاسلام احمد بن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

نسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
الخضر النميري الحرائي الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس تقي الدين
ابن تيمية •

مولده :

ولد بحران (من أعمال دمشق) في العاشر من ربيع الأول سنة
٦٦١ هجرية الموافق سنة ١٣٦٣ ميلادية ، وكانت ولادته في فترة تعتبر
من أشد الفترات ابتلاء للمسلمين •

حياته :

رافق والده مهاجرا الى دمشق سنة ٦٦٧ وكانت حافلة بالعلماء
والمدارس • وبدأ تلقى علم التفسير والحديث والفقه ، والخط
والحساب • وساعده في ذلك ذكاؤه الخارق وقوة حفظه • وقد نشأ
من صغره ميالا للمعرفة شغوبا ، بالعلم والتحصيل حتى فاق كل أقرانه •
وناظر العلماء • وأفتى ودرس وهو دون العشرين وتولى بعض المناصب
وله احدى وعشرون سنة • واقتصر صيته في تفسير القرآن • وامتدت
اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع حتى سمي محيي السنة
وآخر المجتهدين ولم يتجاوز الثلاثين ، واتسعت شهرته وكثر حساده
وفازوا بالكيد له وحوكم في مصر وسجن سنة ونصف سنة وبعد خروجه
من السجن عقدوا مناظرة وفاز بها على خصومه • وبالاقتناء أيضا ثم
غضب عليه السلطان وقواه الى بلاد الشام •

وعاد ، واثارت ثائرة خصومه ، وأوغروا صدر سلطانه وحجروا عليه فى القلعة ، فاتخذها فرصة طيبة للتفرغ للعلم والعبادة وقال فى ذلك ، قد فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المدة من معانى القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي فى غير معانى القرآن •

لقد بلغت مصنفات الامام ابن تيمية ثلاثمائة مجلد ، فى التفسير ، والفقه ، والأصول ، والفتاوى ، والقواعد الدينية ، والرد على الفلاسفة ولمواضع أخرى ••

وفاته :

توفاه الله ليلة ائتين والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هجرية فى سجنه بقلعة دمشق • وكان مشهد تشييعه الى مقره الأخير أمرا عظيمًا ، فقد تراحم الناس وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب واثناء عليه والدعاء له ، قال ابن كثير : « انه لم يتخلف عن الحضور الا من لم يستطع الى ذلك سيلا » •• رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته •

الناشر

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ - ١٢٠٩ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد
ابن راشد التميمي الحنبلي • ولد في بلدة (العيينة) الواقعة شمالي
الرياض سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣ ميلادية) •

استظهر القرآن قبل بلوغه العاشرة ، درس على والده الفقه الحنبلي
وال تفسير والحديث • واعتنى بدراسة كتب شيخ الاسلام أحمد
ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله •

حج مكة وزار المدينة وأخذ العلم بها عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم
وتعرف بالمحدث الشيخ محمد حياة سندی •

زار البصرة والتبريز والشام وأخذ العلم عن كبار علمائها • وقلت
تفقتة فقل راجعا الى (الأحساء) حيث نزل بها الشيخ عبد الله
ابن عبد اللطيف الشافعي وتوجه بعد ذلك الى (حريلا) من قرى
نجد لاحقا بوالده الشيخ عبد الوهاب الذي حل بها • ولازم أباه
يستزيد من معين علمه •

رأى الشيخ بما وهبه الله من فكر واع ونظر ثاقب ما بالبلاد التي
رحل اليها من العقائد والعادات الفاسدة والبدع الضالة • فعزم على
القيام بدعوته •

وفادى بالرجوع الى تعاليم الدين وتعاليم الرسول وحارب البدع ،
غير مقيم وزنا الا لما نص عليه القرآن صراحة أو ما عرف عن رسول
الله سنة مؤكدة وحارب بعنف وصلابة تقديس الأولياء وجعلهم واسطة
بين الخلق والخالق ، وفادى بهدم الأضرحة والمزارات وإزالة معالمها
اقتداء بما كانت عليه أيام رسول الله •

ولاقى الكثير من الأذى حتى قبيض الله له الغلبة على أهل الضلالة .
ونشر دعوة الإصلاح والتجديد . وسمى بحق المجدد والمصلح .

ولا يفوتنا في هذه العجالة من ذكر ما كان للأمير محمد بن سعود
(أمير الدرعية) وآله من أياد بيضاء فاصعة في تدعيم وتثبيت هذه
الدعوة الكريمة حتى علا صوت الحق على الباطل .

اتقل الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب الى جوار ربه في شهر
ذي القعدة سنة ١٢٠٦ هجرية ، خلفا وراءه العمل الصالح والذكر
الطيب ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

* * *

«الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ،
ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون » (١) .

والعبادة : هي التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه .
كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطغافوت » (٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد
الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذى أقر به الكفار على زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، وقاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بفعله
تعالى . والدليل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض
امن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت
من الحي ، ومن ينير الامر ، فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون » (٣)
« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل افلا
تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب المرش العظيم . سيقولون
الله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله ، قل فانى تسخرون » (٤) والآيات
على هذا كثيرة جدا ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثانى : هو توحيد الألوهية ، فهو الذى وقع فيه النزاع

(١) الداريات : ٥٦ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) يونس : ٣١ .
(٤) المؤمنون : ٨٤ - ٨٦ .

فى قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والنذر ، والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والالابة .
ودليل الدعاء قوله تعالى : « وقال ربكم ادمونى استجب لكم ،
ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (١) وكل نوع
من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة : تجريد الاخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة
للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا » (٢) وقال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٣) . وقال تعالى : « له دعوة
الحق » الى قوله تعالى : « وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » (٤)
وقال تعالى : « ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو
الباطل وان الله هو العلى الكبير » (٥) والآيات معلومات . وقال تعالى :
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٦) . وقال تعالى :
« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم » (٧) .

الأصل الثالث : فهو توحيد الذات والأسماء والصفات . وقال
تعالى : « قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن
له كفوا احد » (٨) . وقال تعالى « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ،
وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » (٩) .
وقال تعالى : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » (١٠) .
ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ،
وشرك أصغر ، وشرك خفى .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا

- | | |
|-------------------|------------------|
| (١) غافر : ٦٠ | (٢) الجن : ١٨ |
| (٣) الأنبياء : ٢٥ | (٤) الرعد : ١٤ |
| (٥) الحج : ٦٢ | (٦) الحشر : ٧ |
| (٧) آل عمران : ٣١ | (٨) سورة الاخلاص |
| (٩) الأعراف : ١٨٠ | (١٠) الشورى : ١١ |

بعيها» (١) « وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ،
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار وما للظالمين
من انصار » (٢) .

وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى : « فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاههم الى البر اذا هم
يشركون » (٣) .

النوع الثانى : شرك النية والارادة والقصد ، والدليل قوله تعالى :
« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون » (٤) .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : « اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا
ليعبدوا الله واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (٥) .
وتفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ،
لادعائهم اياهم ، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم
لما سألته ، فقال : لسنا نعبدهم ، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى
المعصية (٦) .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : « ومن الناس من
يتخذ من دون الله انعاما يحبونهم كحب الله » (٧) .

والنوع الثانى (٨) : شرك أصغر ، وهو الرياء ، والدليل قوله تعالى :
« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا » (٩) .

(١) النساء : ١١٦	(٢) المائدة : ٧٢
(٣) العنكبوت : ٦٥	(٤) هود : ١٥ ، ١٦
(٥) التوبة : ٣١	(٦) رواه الترمذى
(٧) البقرة : ١٦٥	
(٨) أى من انواع الشرك الثلاثة (شرك أكبر ، وشرك أصغر)	
وشرك خفى) .	(٩) الكهف : ١١٠ .

والنوع الثالث : شرك خفى ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى فى أمتى من ديب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء » .

وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى اعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، واستغفرك من الذنب الذى لا أعلم » (١) .

فالكفر كفران : كفر يخرج من الملة ، وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه ، اليس فى جهنم مثوى للكافرين » (٢) .

النوع الثانى : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٣) .

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى : « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً » (٤) .

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : « والذين كفروا عما أنذروا معرضون » (٥) .

النوع الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » (٦) .

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم عن عائشة .

(٢) العنكبوت : ٦٨

(٣) البقرة : ٣٤

(٤) الكهف : ٣٥ - ٣٨

(٥) الأحقاف : ٣ .

(٦) المنافقون : ٣

كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (١)

وأما النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي •

فأما الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول •
وأما العملي : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » وفي حديث آخر « وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر » (٢) •
فهذه الأنواع الخمسة (٣) وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار • نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب ، والله أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : (أنه من) الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثا ، ولم يتركنا هملا ، بل أرسل إلينا رسولا ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو في النار . والدليل قوله تعالى : « أنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا • فمضى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلًا » (٤) •

المسألة الثانية : أن أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله في عبادته أحد ، والدليل قوله : « وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (٥) •

(٢) صحيح مسلم وغيره

(١) النحل : ١١٢

(٣) أي أنواع الكفر المخرج من الملة •

(٥) الجن : ١٨

(٤) المزمل : ١٥ ، ١٦

المسألة الثالثة : أن من وحد الله وعبد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الآيما ن وأيدهم بروح منه وبدخلهم جنان تجرى من تحنها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون » (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢) .

فأما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها ، وتكفر أهلها وتعاديهم .

وأما معنى الإيمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملة إبراهيم التي سنها من رغب عنها .

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٣) .

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة .

الأول : الشيطان الداعى الى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى :
« ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
ميمين » (١) .

الثانى : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى :
« ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ،
يريدون أن يتحاتموا الى الطافوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد
الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٢) .

الثالث : الذى يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :
« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » (٣) .

الرابع : الذى يدعى علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى :
« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارضى من رسول فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » (٤) . وقال تعالى « وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البحر والبحر ، وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس
الا فى كتاب مبين » (٥) .

الخامس : الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، والدليل
قوله تعالى : « ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين » (٦) .

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطافوت ،
والدليل قوله تعالى : « فمن يكفر بالطافوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (٧) .

الرشد : دين محمد صلى الله عليه وسلم ، والغى : دين أبى جهل .
والعروة الوثقى : شهادة أن لا اله الا الله ، وهى متضمنة للنفى والاثبت ،
تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها
له وحده لا شريك له .

* * *

- | | |
|--|--------------------|
| (١) يس : ٦٠ | (٢) النساء : ٦٠ |
| (٣) المائدة : ٤٤ | (٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧ |
| (٥) الانعام : ٥٩ | (٦) الأنبياء : ٢٩ |
| (٧) البقرة : ٢٥٦ واولها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من
الغى فمن ... » | |

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهى معرفة
ربه ، ودينه ونبيه .

الأصل الأول : اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله الذى ربانى
بنعمته ، وخلقنى من عدم الى وجود ، والدليل قوله تعالى : « ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (١) .

واذا قيل لك : بأى شىء عرفت بك ؟ فقل : عرفته بآياته
ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقبوله تعالى : « ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله
الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » (٢) .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات
والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه
حشيئا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر ،
تبارك الله رب العالمين » (٣) .

واذا قيل لك : لأى شىء خلقك الله ؟ فقل : خلقنى لعباده وطاعته
واتباع أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : « وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون .
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٤) . ودليل الطاعة قوله تعالى :
« يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ،
فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » (٥) .

يعنى كتاب الله وسنة نبيه .

واذا قيل لك : أى شىء أمرك الله به وأى شىء نهاك عنه ؟ فقل :
أمرنى بالتوحيد ونهاىنى عن الشرك .

(٢) فصلت : ٣٧
(٤) الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(١) آل عمران : ٥١
(٣) الأعراف : ٥٤
(٥) النساء : ٥٩ .

ودليل الأمر قوله تعالى : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (١) . ودليل النهى عن الشرك قوله تعالى : « ان الله لا يفرق بين من يشرك به ، ويفرق ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) و « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار » (٣) .

الأصل الثانى : اذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وهو الاستسلام والاذعان والالتحاق الى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » (٤) ، « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٥) .

وهو مبنى على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً .

فإنما دلائل الشهادة فقولته تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو . والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » (٦) . ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٧) .

ودليل الزكاة قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم » (٨) . ودليل الصوم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (٩) .

واذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (١٠) .

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) النساء : ١١٦ وتامها : « ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضللاً بعيداً » .

(٣) المائدة : ٧٢ (٤) آل عمران : ١٩

(٥) آل عمران : ٨٥ (٦) آل عمران : ١٨

(٧) الأحزاب : ٤٠ (٨) البقرة : ١٨٥

(٩) البقرة : ١٨٣ (١٠) البقرة : ١٨٥ .

واذا قيل لك : الصيام فى الليل أو فى النهار ؟ فقل : فى النهار ، والدليل قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » (١) .

وذليل الحج قوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (٢) .

واذا قيل لك : وما الايمان ؟ فقل : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » (٣) .

ودليل القدر قوله تعالى : « أنا كل شيء خلقناه بقدر » (٤) .

واذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٥) .

واذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتهم وذلك على الله يسير » (٦) .

الأصل الثالث : اذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل ، واسماعيل من ابراهيم ، وابراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٧) .

واذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح وآخرهم ع

(٢) آل عمران : ٩٧

(٤) القمر : ٤٩

(٦) التغابن : ٧

(١) البقرة : ١٨٧

(٢) البقرة : ٢٨٥

(٥) النحل : ١٢٨

(٧) آل عمران : ٥٩ .

وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل قوله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » (١) .

وإذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت » (٢) .

وإذا قيل لك : محمد بشرا ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهم الله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٣) .

وإذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » (٤) .

وإذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا ، نبي ب « اقرأ » ، وأرسل ب « المذر » ، وخرج على الناس فقال : « يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٥) .

فكذبوه وآذوه وطردهوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبنا ، فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (٦) .
بلد مكة ، وولد فيه ، وهاجر إلى المدينة وبها توفى ، ودفن جسمه ، وبقي علمه ، نبي لا يمبد ، ورسول لا يكذب ، بل يطاع ويتبع ، صلوات الله وسلامه عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعد . . فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين .

(١) النساء : ١٦٣	(٢) النحل : ٣٦
(٣) الكهف : ١١٠	(٤) الإسراء : ١
(٥) الأعراف : ١٥٨	(٦) البقرة : ٢٣
(٢ - مجموعة التوحيد)	

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق . الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، والدليل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن ينبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون » (١) .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا ممن قصدوا الا قرابة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » (٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٣) .

القاعدة الثالثة : بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة . وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٤) .

ودليل الملائكة قوله تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » (٥) .

ودليل النبيين قوله تعالى :

« واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ائتى ائت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ،

(٢) الزمر : ٣

(٤) الأنفال : ٣٩

(١) يونس : ٣١

(٣) يونس : ١٨

(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١

ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت
علام الفيوب . ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ؛
وانت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم (١) .

ودليل الصالحين قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا (٢) » .

ودليل الاحجار والاشجار قوله تعالى : « فرائتم اللات والعزى .
ومناة الثالثة الاخرى (٣) » .

القاعدة الرابعة : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا يخلصون في الشدة ، ويشركون في الرخاء .

والدليل قوله تعالى : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون (٤) » .
وأهل زماننا هذا يشركون في الشدة ، وفي الرخاء كذلك . والله
أعلم (٥) .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

(١) المائدة : ١١٦ — ١١٨ (٢) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(٣) النجم : ١٩ ، ٢٠ (٤) العنكبوت : ٢٥

(٥) منهم : عباد القبور الآن الذين يعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم
قربة تقربهم الى الله ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن
مواضعه ، فالشرك الاكبر جعلوه توسلا وطاعة ، ومع ذلك يضلون من
دان الله بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .
وما أحسن ما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فلبوا برق النفس والشيطان
وقوله ايضا :

وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

قلت : طاعته : بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه •

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستغاثة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والابانة ، والمحبة . والخشية ، والرغبة ، والرغبة ، والتأله ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية •

ودليل الدعاء قوله تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله

احدا » (١) •

الى قوله تعالى : « وما دعاء الكافرين الا في ضلال » (٢) •

وقوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون

لهم بشيء » (٣) •

ودليل الاستماعة قوله تعالى : « اياك نعبد و اياك نستعين » (٤) •

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب

لكم » (٥) •

ودليل اللبج قوله تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين » (٦) •

ودليل النذر قوله تعالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره

مستظيرا » (٧) •

ودليل الخوف قوله تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه

فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٨) •

ودليل الرجاء قوله تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا

صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (٩) •

ودليل التوكل قوله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم

مؤمنين » (١٠) •

(١) الجن : ١٨	(٢) الرعد : ١٤
(٣) الرعد : ١٤	(٤) الفاتحة : ٥
(٥) الانفال : ٩	(٦) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٧) الانسان : ٧	(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) الكهف : ١١٠	(١٠) المائدة : ٢٣

- ودليل الانابة قوله تعالى : « وانيبوا الى ربكم واسلموا له » (١) .
- ودليل المحبة قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٢) .
- ودليل الخشية قوله تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٣) .
- ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : « انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (٤) .
- ودليل التاله قوله تعالى : « والهمكم الله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (٥) .
- ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » (٦) .
- ودليل الخشوع قوله تعالى : « وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله ، لا يششترون بآيات الله ثمنا قليلا » (٧) . الآية ونحوها ، فمن صرف شيئا من هذه الانواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره .
- فان قيل : فما أجل أمر الله به عباده ؟ فقل : توحيده بالعبادة . وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهى نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذ ربا والها ، وأشرك مع الله غيبه ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين .
- وقد قال تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا » (٨) .
- وقال تعالى : « ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار » (٩) .

(١) الزمر : ٥٤	(٢) البقرة : ١٦٥
(٣) المائدة : ٤٤	(٤) الأنبياء : ٩٠
(٥) البقرة : ١٦٣	(٦) الحج : ٧٧
(٧) آل عمران : ١٩٩	(٨) النساء : ١١٦
(٩) المائدة : ٧٢	

**بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين**

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » •

قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :
الآية الأولى : فيها المحبة : ان الله منعم ، والمنعم يجب على قدر انعامه •
والمحبة تنقسم على أربعة أنواع :

محبة شرعية وهم الذين قال الله فيهم : « ومن الناس من يتخذ من
دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » الى قوله : « وما هم بخارجين من
النار » (١) •

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة
المنافقين •

المحبة الثالثة : طبيعية ، وهي محبة المال والوند ، اذا لم تشغل
عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهي مباحة •

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهي
أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه •
الآية الثانية : فيها الرجاء •

والآية الثالثة : فيها الخوف « اياك نعبد » ، اى اعبدك يا رب
بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان
العبادة ، وصرفها لغير الله شرك • وفى هذه الثلاث نورد على من تعلق
بواحدة منهن ، كمن تعلق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ،
أو تعلق بالخوف وحده • فمن صرف واحدة منهن لغير الله فقد أشرك •
وفيهما من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التى كل طائفة تعلق
بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها • وكذلك من عبد الله بالرجاء
وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج •
« اياك نعبد و اياك نستعين » فيها توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية
« اياك نعبد » فيها توحيد الألوهية ، « و اياك نستعين » فيها توحيد
الربوبية « اهدنا الصراط المستقيم » ، فيها الرد على المبتدعين •

وأما الآيتان الأخيرتان ، ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس ،
قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه • وضال •
فـ « المغضوب عليهم » : أهل علم ليس معه عمل • و « الضالين » :
أهل عبادة ليس معها علم وإن (كان) سبب النزول في اليهود والنصارى ،
فهى لكل من اتصف بذلك •

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من
الفوائد التبرى من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه • وكذلك فيها معرفة
الله على التمام ، ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى • وفيها معرفة الانسان
ربه ، ومعرفة نفسه ، فانه اذا كان رب ، فلا بد من مريد ، واذا كان
هناك راحم ، فلا بد من مرحوم ، واذا كان هنا مالك ، فلا بد من مملوك ،
واذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود ، واذا كان هنا هاد ، فلا بد من مهدي ،
واذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ، واذا كان هنا مغضوب عليه ،
فلا بد من غاضب •

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفى النقائص عن
الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه بمنه
وكرمه آمين :

تأمل رحمتك الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهما حسنا ،
لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فان
أكثر من يدعى الدين ، ويدعى أنه من الموحدين لا يفهم السنة كما
ينبغي •

الأولى : قصة نزول الوحي ، وفيها أن أول ما أرسله الله به :

« يا أيها المدثر • قم فانذر » (١) فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء
كثيرة ، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضا أنهم

يفعلون شيئاً من العبادة ، ويتقربون بها الى الله ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلها عندهم : لشرك . فهو أحل ما يتقربون به الى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١) .

وقال تعالى : « أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون » (٢) .

فأول ما أمر به الانذار عنه ، قبل الانذار عن الزند وغيره ، : عرف أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ، ويقولون : ما نريد منهم الا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه فى أول آية أرسل بها ، فان احكمت هذه المسألة ، فيا بشراك ، خصوصا اذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض الا فى ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبى طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثانى : أنه صلى الله عليه وسلم لما تام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، الى أن صرح بسب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أعلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وآمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتما .

فاذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحد الله وترك الشرك ، الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (٣) .

فاذا فهمت هذا فهما جيدا ، عرفت أن كثيرا من الذين يدعون الدين لا يعرفونها ، والا فما الذى حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة الى الحبشة ، مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جمل . فتنة الناس كعذاب الله » (١) .

فاذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه ، فكيف بعير ذلك .

الموضع الثالث : قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ « أفرايتم اللات والعزى » (٢) ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرائيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معناه : هذا الذى نريد ، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده . فلما بلغ السجدة سجدا وسجدوا معه . فشاع الخبر أنهم صادقوه (٣) . وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عادوا الى أمر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : انك قلت ذلك ، خاف من الله خوفا عظيما ، حتى أنزل الله عليه « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى . ألقى الشيطان في أمنيته » (٤) الآية ، فمن فهم هذه القصة ثم شك بعدها فى دين النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ، فأبعده ، خصوصا ان عرف أن قولهم ناك الغرائيق (٥) ، الملائكة .

الموضع الرابع : قصة أبى طالب فمن فهمها فهما حسنا ، وتأمل اقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ، ومحبة لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته فى نصره

(١) العنكبوت : ١٠ (٢) النجم : ١٩

(٣) أى تابعوا النبى وآمنوا به . (٤) الحج : ٥٢

(٥) مسألة الغرائيق كثر فيها القال والقال ، فمنهم من أنكرها بعقله ، الخ . كما فى « فتح البارى » لابن حجر ، و « فتح القدير » للشوكانى . وحكى فى « جمع البيان » للصفوى أنها من وضع الزنادقة . والله أعلم بحقيقة الحال . وقال ناصر الدين الألبانى : هذه باطلة لا تصح ، وليس لها أسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ، لكن (لما) لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » (١) الآية . والذي يبين هذا أنه اذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء يجب الدين ويجب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين يبد ولا مال ، ولا له من الأعداء مثل ما لأبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدعى الدين ، تين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر ، من غير شك في الدين ، وفي تزيين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال ، والوطن فلما خرجوا الى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، قتل بعضهم بالرماية والرامي لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة : أن صح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا اخواننا ، فانزل الله : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » الى قوله : « وكان الله عفوا غفورا » (٢) .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : قتلنا اخواننا أنه لو يبلغ عنه كلاما في الدين أو كلاما في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا اخواننا ، فان الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٣) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله عليهم ، فان الملائكة تقول : « فيم كنتم » ولم يقولوا : كيف تصديقكم ؟ « قالوا كنا مستضعفين في الأرض » (٤) لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة :

(٢) النساء : ٩٧ - ٩٩

(٤) النساء : ٩٧

(١) التوبة : ١١٣

(٣) النحل : ١٠٦

كذبت ، بل قاتلت ليقال : جرىء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل أجابوهم بقولهم : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ويريد ذلك إيضاحا للعارف والجاهل الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : « **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** » (١) .

فهذا أوضح جدا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : « **صم بكم عمى فهم لا يرجعون** » (٢) .

ومن فهم هذا الموضع والذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري قال : ليس الايمان بالتحلى ، ولا بالتمنى ، ولكن ما وفرى القلب وصدقته الاعمال ، وذلك ان الله تعالى يقول : « **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » (٣) .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن سمعها ثم بقى فى قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء ، وهى قولهم : هذا هو الشرك . لكن يقولون لا اله الا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس (٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا اله الا الله ، وهم بهذه اللفظة اسلام ، وحرم الاسلام مالهم ودمهم مع اقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله (٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزائهم بمن أقرب به ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفًا لدين النبي (ﷺ) ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين بالردة الجهلة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولونها وأيضا كفر هؤلاء أغلظ

(١) النساء : ٩٨

(٢) البقرة : ١٨

(٣) فاطر : ١٠

(٤) فى الأصل : ليسوا .

(٥) يزعم بعض الناس : ان من قال : لا اله الا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشيء من أركان الاسلام . ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وذل به القدم ، فان النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما فى حديث معاذ وغيره ، والإنسان يدخل فى الاسلام بكلمة التوحيد حكما ، فان اتى بأركان الاسلام ، صار مسلما حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعنى البوادي المتصفين بما ذكرنا •
والذى يبين ذلك من قصة الردة أن المرندين انفرقوا فى ردتهم ،
فمنهم من كذب النبى ﷺ ، ورجعوا الى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان
نبيا ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين • ولكن أقر بنبوة مسيلمة فلنا
أن النبى ﷺ أشركه فى النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له
بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون
ولو جهلوا ذلك • ومن شك فى ردتهم فهو كافر ، فاذا عرفت أن العلماء
أجمعوا أن الذين كذبوهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان ، وشتموا رسول
الله ﷺ • ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة فى حال واحدة ولو ثبت على
الاسلام كله • ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدق طليحة فى دعواه النبوة •
ومنهم من صدق المنسى صاحب صنعاء • كل هؤلاء اجمع العلماء أنهم
سواء • ومنهم من كذب النبى ﷺ ورجع الى عبادة الأوثان على حال
واحدة • ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمى لما وفد على أبى بكر وذكر
له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبى بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحا
ورواحل ، فاستعرض السلمى المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهاز أبو بكر
جيشا لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبى بكر ، وأنا
أميره ولم أكفر • فقال : ان كنت صادقا فألق السلاح ، فالتقاء ، فبعث به
الى أبى بكر ، فأمر بتحيقه بالنار وهو حى ، فاذا كان هذا حكم الصحابة
فى هذا الرجل مع اقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يفر
من الاسلام بكلمة واحدة ؟ الا أن يقول : لا اله الا الله بلسانه مع تصريحه
بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ،
ويقولون : هذا دين الخضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يفون هؤلاء المردة
الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله ادا قالوا : لا اله الا
الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم •

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئا
من الاسلام • قال : أشهد أننا كفار ، يعنى هو وجميع البوادي ،
وأشهد أن المطوع الذى يسمينا أهل اسلام أنه كافر ، آخره والحمد لله
رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم •

**بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين**

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض (١) :

الاول : الشرك في عبادة الله . وقال الله تعالى : « ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) و « انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار » (٣) .

ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ،
ويتوكل عليهم ، كفر اجماعا .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك في كفرهم ، أو صحح
مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل
من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم
الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزا بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ،
كفر . والدليل قوله تعالى : « قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون »
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » (٤) .

السابع : السحر ، ومنه انصرف ، والعطف ، فمن فعله أو رضى به
كفر ، والدليل قوله تعالى : « وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن
هتنة فلا تكفر » (٥) .

(١) من أهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه ، أن يعرف
نواقض الاسلام ، فإن أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها ، فلهذا وققوا في الشرك
الأكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون .

(٢) المائدة : ٧٢

(٣) النساء : ٤٨

(٤) البقرة : ١٠٢

(٥) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

الثامن : مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : « ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (١) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر (الخروج) عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : « ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من الجرمين منتقمون » (٢) .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، الا المكروه ، كلها من أعظم ما يكون خطرا ، وأكثر ما يكون وقوعا ، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منهما على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وآليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وسلم .

وبعد .. فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » (٣) .

فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات : الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة وقد خالف فيها من خالف (٤) .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

(٢) السجدة : ٢٢

(١) المائدة : ٥١

(٣) الجن : ١٨

(٤) أي لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا في ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واعتقدوا الباطل وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذى لا يغفره ، وقد خالف فيها .
من خالف •

الخامسة : أن المسلم اذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيها
من خالف •

السادسة : أن المسلم الصادق اذا تكلم به هازلا أو خائفا أو
طامعا ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدق به ؟
وقد خالف فيها من خالف •

السابعة : انك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن
وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف •

الثامنة : أن هذا معنى لا اله الا الله • والاله • هو المألوه • والأله :
عمل من الأعمال ، وكونه منقيا عن غير الله ترك من النروك •

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله •

العاشرة : أن الداعى لغير الله لا يقبل منه الجزية^(١) كما يقبل
من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفرا .
وكل درجة من هذه الدرجات اذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان
معك ، والله أعلم •

قوله : عند كل درجة • وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون
أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس
ما يكفرون بالطاغوت ، ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم
بل ملة ابراهيم هى الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر
الدرجات ، والله أعلم •

قوله تعالى : « قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا
اعبد الذين تصبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ، وامرت
ان اكون من المؤمنين • وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من
المشركين • ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك
اذن من الظالمين » (٢) •

(١) لأن الجزية لا تؤخذ الا من اليهود والنصارى والمجوس على القول
الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

(٢) يونس : ١٠٤ - ١٠٦

وقوله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) .
فيه سبع حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أمه .

الحالة الثانية : ان كثيرا من الناس اذا عرف انشرك وأبغضه وتركه ، لا يفتن بما يريد الله من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : « ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم » (٢) .

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض الا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت (٣) الذين لا يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجهد في العمل بالدين . والجهد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود التحالف الأربع - فلا بد من مذهب ينتسب اليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ، ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيا ، أو غير شيء من مقاصده ، ولو كان ديننا يظن أنه ان نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصا عند الخوف ، أنه لا يدخل في هذا .

الحالة السابعة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من أخوانه فعله خوفا ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟ فهو يجب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه وان لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنونا ، والله أعلم .

(٢) يونس : ١٠٤

(١) الروم : ٣٠

(٣) الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، من الجن والإنس والأصنام ، وفي التنزيل : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بانصرته الوثقى » (البقرة : ٢٥٦) .

بِسَبَاب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

بِسَبَاب

أركان الصلاة أربعة عشر ركنا :

القيام مع القدرة ، وتكبيرة الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدين ، والطمأنينة في الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليم الأولى^(١) ، وترتيب الأركان .

بِسَبَاب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبث الكثير ، وحدوث النجاسة .

بِسَبَاب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثاني : قول سمع الله لمن حمده لآمام ومنفرد . الثالث : قول ربنا ولك الحمد . الرابع : تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لي بين السجدين ، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

بِسَبَاب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين الى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين الى الكعبين ، والترتيب ، والموالة .

(١) الثانية سنة أو واجبة ، والصحيح ان التسليمتين ركن من اركان الصلاة .

بَسَاب

شروط الوضوء خمسة :

- ماء طهور ، وكون الرجل مسلماً مميزاً^(١) ، وعدم المانع ،
- ووصول الماء الى البشرة ، ودخول الوقت في دائم الحدث •

بَسَاب

فواقض الوضوء ثمانية :

- الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش من ابدن ، وزوال العقل
- بنوم أو غيره ، ولمس المرأة بشهوة ، ومس الفرجين لآدمي ، وغسل
- الميت ، وأكل لحم الجذور ، والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها •
- ولله أعلم •

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :
الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ،
والموالاتة فيه ، وتكفير من تركه •

قلت : وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى :
« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (١)
الآية • • أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لا الا الا الله
الذى دعا اليه العرب وغيرهم • والكلمة : هي لا اله الا الله ، فسرّها
بقوله : « أن لا نعبد الا الله •

فقوله : « أن لا نعبد » فيه معنى لا اله ، وهو نفى العبادة عما
سوى الله •

قوله : « الا الله » هو المستثنى في كلمة الاخلاص ، فأمره تعالى أن
يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ، ونفيها عن سواء • ومثل هذه
الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة ، وأنها لا يصلح منها شيء لغير
الله ، كما قال تعالى : « وقفى ربك الا تعبدوا الاياه » (٢) •

(١) الميز : العاقل الذي يستطيع فرز الشيء عن غيره وتفضيله.
على سواء • (٢) آل عمران : ٦٤ (٣) الاسراء : ٢٣

معنى « قضي » : امر ووصى ، قولان ، ومعناها واحد .

وقوله : « الا تعبدوا » فيه معنى لا اله .

وقوله : « الا اياه » فيه معنى الا الله ، وهذا هو توحيد العبادة هو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم : ان « اعبدوا الله ما لكم من اله لغيره » (١)

فلا بد من نفى الشرك في العبادة رأساً ، والبراءة منه ومن فعله ، كما قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام : « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى ابرء مما تعبدون . الا الذى فطرنى » (٢) .

فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : « واعتزلکم وما تدعون من دون الله » (٣) .

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا ابراء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدلنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده » (٤) .

والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا^(٥) رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفى الشرك ، والمخالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافى له ، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فانهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك اتفى التوحيد . وقد قال تعالى في حق من اشرك : « وجعل الله اندادا ليعضل عن سبيله قل تمتع بكفره قليلا انك من اصحاب النار » (٦) .

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرأ موحداً الا بنفى الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

(١) الأعراف : ٥٩ (٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٣) مريم : ٤٨ (٤) الممتحنة : ٤

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٦) الزمر : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثانى : الانذار عن الشرك فى عبادة الله ، والتغليظ فى ذلك والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد الا بهذا ، وهو دين المرسل انذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (١) .

وقال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٢) .

وقال تعالى : « واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله » (٣) .
قوله فى عبادة الله .

العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : « والتغليظ فى ذلك » .

وهذا موجود فى الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : « ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين » ولا تجعلوا مع الله الها آخر ، انى لكم منه نذير مبين » (٤) .

ولولا التغليظ لما جرى على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين قرئش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور فى اسيرة مفصلا ، فانه باذأهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم .

قوله رحمه الله تعالى : والمادة فيه ، كما قال تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخلصوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل برصد » (٥) .

والآيات فى هذا كثيرة جدا ، كقوله تعالى : « وقاطبواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٦) .

(١) النحل : ٣٦	(٢) الانبياء : ٢٥
(٣) الاحقاف : ٢٠	(٤) الداريات : ٥٠ ، ٥١
(٥) التوبة : ٥	(٦) الانفال : ٣٦

والفتنة : الشرك • ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى
من الآيات ، فلا بد من تكفيرهم أيضا •

هذا هو مقتضى « لا اله الا الله » كلمة الاخلاص ، فلا يتم معناها
الا بتكفير من جعل لله شريكا فى عبادته ، كما فى الحديث الصحيح •
« من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه
على الله » •

فقوله : « وكفر بما يعبدون من دون الله » تأكيداً لنفى ، فلا نكون
معصوم الدم والمال الا بذلك ، فلو شك أو تردد ، ثم يعصم دمه وماله ،
فهذه الأمور هى تمام التوحيد ، لأن « لا اله الا الله » قيدت فى الأحاديث
بقيود ثقال ، بالعلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ،
فلا يكون المرء موحدا الا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ،
ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله
يحصل ذلك •

ثم قال رحمه الله تعالى : والمخالف فى ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة
من خالف فى الجميع ، فقبل الشرك واعتقده ديناً ، وألكر التوحيد
واعتقده باطلاً ، كما هو حال الأكثر •

وسببه الجبل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ،
وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال
من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ،
والزور ، والبهتان ، والفجور . وحجتهم قوله تعالى : « بل وجئنا
آباءنا كذلك يفعلون » (١) •

وهذا النوع من الناس والذين بعدهم ، قد ناقضوا ما دلت عليه
كلمة الاخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذى لا يقبل
الله ديناً سواه ، وهو دين الاسلام الذى بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ،
واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله تعالى عنهم فى كتابه •
ثم قال رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر
الشرك ، ولم يعاد أهله •

قلت : ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفى الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه « لا اله الا الله » من نفى الشرك ، وما يقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان اجماعا ، وهو مضمون سورة « الاخلاص » ، و « قل يا ايها الكافرون » (١) •

وقوله في المتنحة (آية : ٤) « كفرنا بكم » ومن لم يكفر من كفره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه •
ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يجب التوحيد ولم يبغضه •
فالجواب : أن من لم يجب التوحيد لم يكن موحدا لأنه هو الدين الذي رضى الله لعباده ، كما قال تعالى : « ورضيت لكم الاسلام ديننا » (٢) •

فلو رضى بما رضى به الله وعمل لأخيه ، ولابد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا اسلام الا بمحبة التوحيد •

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاخلاص محبة الله ، واردة وجهه • فمن أحب الله أحب دينه وما لا فلا • والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التي هي من شروط التوحيد •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه • قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما تفتته « لا اله الا الله » من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلا ، ولم يعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم •

وقوله رحمه الله : ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ، فلم ينفه ، ولا يكون موحدا الا من نفى الشرك وتبرأ منه ومن فعله ، وكفرهم وبالجهد بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه « لا اله الا الله » ومن لم يقيم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها ، فليس من الاسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ، ويفين ، وصدق ، واخلاص ،

ومحبته ، وقبول ، واثقياد ، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء .
وان قال : لا اله الا الله ، فهو يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .
فأقول : هذا كالذى قبله ، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من
الدين الذى بعث الله به رسوله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم :
« ان هم الا كالاتعام بل هم اضل سبيلا » (١) .

وقوله رحمه الله : ومنهم — وهو أشد الأنواع خطرا — من عمل
بالتوحيد ولم يعرف قدره ، ولم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم .

فقوله رحمه الله : وهو أشد الأنواع خطرا ، لأنه لم يعرف قدر
ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيد من القيود الثقال التى لا بد
منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضى نفى الشرك ، والبراءة منه ومعاداة
أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهو لم
يجيء بما عليه من الأمور التى دلت عليها كلمة الاخلاص نفيا وإثباتا .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف
قدره ، وهذا أقرب من الذى قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه
لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل :
« اننى براء مما تعبدون . الا الذى هطرنى » (٢) .

« انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبنا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا » (٣) .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ،
والبراءة من العابد والمعبود وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم .

وهذان النوعان هو الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الاسلام ،
فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، وما
اقتضته ، على الكمال الواجب الذى يكون به موحدا ، فما أكثر
المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟

فاذا عرفت أن الله كفر أهل الشرك ، ووصفهم به فى الآيات

(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٢) الفرقان : ٤٤

(٣) المتحنة : ٤

الحكمات ، كقوله : « ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين .
على انفسهم بالكفر » (١) .
وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فأهل التوحيد والسنة
يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون
ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين .
واتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا
الى الله ، وطلباً للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به . ونهوا عنه .
ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم .
ولا يتحرون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به . معظمون لأغراضهم .
قلت : ما ذكره شيخ الاسلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين .
بقى مسألة تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين
ابتداء لسبب — ذكره رحمه الله — أوجب له التوقف في تكفيره قبل
اقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : « ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ،
ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستعانة ولا بغيرها ، كما أنه لم
يشرع لأئمة السجود ليت ، ولا الى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم
أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بأقمار
الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى بين
ما جاء به الرسول مما يخالفه » انتهى .

قلت : فذاكر رحمه الله ما أوجب له عدم اطلاق الكفر عليهم على
التعيين خاصة ، الا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ،
ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة ، فلا يمكنه أن
يعاملهم الا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب .

رحمه الله في ابتداء دعوته • فانه اذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب
رضي الله عنه • قال : الله خير من زيد • تمرينا نهم على نفى الشرك ،
بلين الكلام • نظرا الى المصلحة وعدم النفرة والله سبحانه وتعالى أعلم •
قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة
حسناته مجيبا عن ايراد أورده جهنى ضال على بعض الأخوان :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين ،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما •
اما بعد •• فقد وردت علينا أسئلة من عمان ، صدرت من جهنى
ضال • يستعجز بها بعض المسلمين •
فينبغى أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه
لا يحتاج الى الاشتغال بالجواب عنه •
فما ينبغى أن نجيب عنه قوله : ان الاسم مشتق من السمو ،
أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم ،
لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق
الذى يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين • وان
كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته في « فتح المجيد
لشرح كتاب التوحيد » •
وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فانقدر : أصل من
أصول الايمان • كما في سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين سأله قال : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ،
وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » •
وفى الحديث الصحيح : « ان أول ما خلق الله : القلم • فقال له :
اكتب • فجري بما هو كائن الى يوم القيامة » أى جرى بما يكون
مما يعلمه الله تعالى • فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن
لو كان كيف يكون : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ،
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » (١) •

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر ، كقوله :
 ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (١) .
 وقوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ
 الْأَرْضِ ﴾ (٢) .

ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر كقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى
 بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ (٣) .

اخبرهم في كتابهم انهم يفسدون في الأرض مريين .
 ويطلق ويراد به الأمر ، والوصية كما قال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
 إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٤) . أى امر ووصى .

ويطلق ويراد به الحكم ، كقوله : ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ (٥) .
 ويطلق ويراد به القدر ، ونحو ذلك .

وأما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع
 أن يكون مستويا على غيره .

فالجواب ان نقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديما وحديثا
 على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه ، ولا وصفه به
 رسوله صلى الله عليه وسلم ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه ،
 أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو جهمي ضال مضل ،
 يقول على الله بلا علم . وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في
 سبعة مواضع من كتابه : في سورة (الأعراف) ، وفي سورة
 (يونس) وفي سورة (الرعد) وفي سورة (طه) ، وفي سورة
 (الفرقان) ، وفي سورة (السجدة) ، وفي سورة (الحديد)
 ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش ، ولا ذكره
 رسوله صلى الله عليه وسلم فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن
 يوصف بها ، فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في
 سنة رسوله ، فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى :
 ﴿ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٦) ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

(٢) سبا : ١٤
 (٤) الاسراء : ٢٣
 (٦) المعارج : ٤

(١) فصلت : ١٢
 (٣) الاسراء : ٤
 (٥) الزمر : ٦٩

الصالح يرفعه» (١) « يخافون ربهم من فوقهم » (٢) « أنى متوفيك ورافعك إلى » (٣) « بل يرفعه الله إليه » (٤) « وهو العلى العظيم » (٥) « وهو العلى الكبير » (٦) .

علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات . ولا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكماله تعالى فى أوصافه ، فله الكمال المطلق فى كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش » (٧) .

فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم » (٨) الآية . وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٩) الآية .

« اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » .

فقوله : « فليس فوقك شيء » نص فى أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وهو الذى ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم فى معنى قوله : « الرحمن على العرش استوى » (١٠) أن معنى « استوى » استقرار وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا إلا جهسى زنديق ، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جدا . وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبارا ، ومن ذلك كتاب « السنة » لعبد الله ابن الامام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لامام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » للأئمة صاحب الامام أحمد ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى

(٢) النحل : ٥٠ .
(٤) النساء : ١٥٨ .
(٦) سبأ : ٢٣ .
(٨) الشورى : ٥ .
(١٠) طه : ٥ .

(١) فاطر : ١٠ .
(٣) آل عمران : ٥٥ .
(٥) البقرة : ٢٥٥ .
(٧) غافر : ١٥ .
(٩) الحديد : ٣ .

في رده على المرسى ، وكتاب « السنة » للخلائ ، وكتاب « العلو »
للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، والله الحمد والمنة .

وتذكر بعض الاحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك ما في
« الصحيح » عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر نكلم بالوحي ، أخذت
السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة خوفا من الله عز وجل ،
فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول
من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل
على الملائكة ، كلما مر على سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟
فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل
ما قاله جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره ته عز وجل » .

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق
السموات السبع ، فيمر بها كلها فازلا الى حيث أمره الله ، وهذا صريح
بأن الله تعالى فوق السموات على عرشه ، بآن من خلقه : كما قال عبد الله
ابن المبارك لما قيل له : بم تعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه ،
بآن من خلقه . وهذا قول أئمة الاسلام قاطبة ، خلافا للحمية الطولية ،
والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم من أهل البدع .

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتسكين بالوحين وصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ان
الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي فهو عنده
فوق العرش » . وفي حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الذي
رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، أن انبيى صلى الله عليه
وسلم ذكر سبع سموات وما بينها ، ثم قال : « وفوق ذلك بحر ،
بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية
أوعال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق
ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ،
والله تعالى فوق ذلك » (١) .

(١) ضعيف علته عبد الله بن عميرة ، قال الذهبي : فيه جهالة .

وفى حديث ابن مسعود الذى رواه عبد الرحمن بن مهدى شيخ
الامام أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله
ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين
كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى
خمسمائة عام ، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق
الماء ، والله تعالى فوق العرش ، لا يخفى عليه شئ من أعمالكم .

والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا فى التكذيب ، فصاروا
بذلك كفارا عند أكثر أهل السنة والجماعة ، وهذا القدر الذى ذكرنا
كاف فى بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من غلو الله تعالى على جميع
المخلوقات ، واستوائه على عرشه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب
والسنة على ذلك ، ولو ذهبنا نذكر ما ورد فى ذلك لاحتمل مجلدا .

فالحمد لله الذى حفظ على الأمة دينها فى كتابه وسنة رسوله ،
وبفضل العلماء الذين هم فى هذه الأمة كأنياء بنى إسرائيل ، وعدانا
الله الى ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت فى هذه الأمة .
فيألها من نعمة ما أجلها فى حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ورضى
به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، المثنين بها عليه ، فله الحمد
لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يتنى عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به اليهم من صفات
كماله اللاتقة بجلال الله ، فاثبتوا له تعالى ما أثبت له نفسه ، وأثبت له
رسوله ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب
مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من
عظيم نعمه ، فعبدوا ربا أحدا صمدا ، الها واحيدا ، وهو الله الذى
الالهية وصفه فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له فى الهيته ، ولا فى
ربوبيته ، ولا فى ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : « قل اعوذ برب
الناس . ملك الناس . اله الناس » (١) .

ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل
ما وصفته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فمطلوه

من صفات الكمال ، وصاروا انما يعبدون عدما ، لأنهم وصفوه بما ينافى الكمال ويوقع فى النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومخالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمى الجاهل من آيات العلم ، كقوله تعالى : « وهو معكم أين ما كنتم » (١) « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » (٢) .

فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، واحاطة علمه بخلقه .
والسياق يدل على ذلك .

اما الآية الاولى فهى مسبوقة بقوله تعالى : « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم » (٣) .

ذكر استواءه على عرشه ، وذكر احاطة علمه بما فى الأرض والسموات ثم قال : « وهو معكم أين ما كنتم » .

أى : بعلمه المحيط بما كان وما يكون .
وأما الآية الثانية ، فهى كذلك مسبوقة بالعلم ، وختنها تعالى به فقال : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » الى قوله : « أن الله بكل شيء عليم » (٤) .

فعلم أن المراد علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، كما قال تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما » (٥) .

وهذا المعنى الذى ذكرنا ، هو الذى عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .
وأما الجهمية وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

(٢) المجادلة : ٧
(٤) المجادلة : ٧

(١) الحديد : ٤
(٣) الحديد : ٤
(٥) الطلاق : ١٢

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الايمان • ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق الا من طلبه •

وأما أهل البدع ، فأشربوا في قلوبهم ما وفعوا فيه من البدع والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون •

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسهل مسلما أن يجهلها • لأن الاسلام يتوقف على معرفتها •

فمن ذلك : ما معنى كلمة الاخلاص : لا اله الا الله ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خيرها ؟

وما معنى الآلهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه ؟ وما معنى الاخلاص الذي أمر الله به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذي لا يسهل أحدا جهله ؟

وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟

وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وامام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن بعدهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين •

المسألة الأولى : هل يجوز للمسلم أن يسافر الى بلد الكفار الحرية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : الحمد لله ، ان كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة رضى الله عنهم ، كابي بكر وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد في « مسنده » وغيره . وان كان لا يقدر على اظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على ائنهى عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان دريعة وسببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز وأيضا فقد يجزه ذلك الى موافقتهم أو ارضائهم . كما هو الواقع كثيرا ممن يسافر الى بلدان المشركين من فساق المسلمين . نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلدان الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلدة لا يقدر على اظهار دينه فيها ولا على عدم موالاته المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوما واحدا اذا كان يقدر على الخروج منها .

المسألة الرابعة في معنى قوله تبارك وتعالى : « انكم اذن . مثلهم » (١) .

وقوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » .

الجواب : ان معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن لرجسًا اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستنهزها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ،

فهو كافر مثلهم وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الرضى بالذنوب كفاعله ، فان ادعى أن يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافرا .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أكرر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره وهو ، أن الذي يدعى الاسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسلام ، الا ان كان ينهر دينه ولا يوالي المشركين .

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا في مكة بعد ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فادعوا الاسلام ، الا أنهم أقاموا في مكة ، يصدون المشركون منهم ، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا ، فتلن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنا اخواننا ، فانزل الله تعالى فيهم : « ان الذين قرأوا من الكتاب ولما بالهم » (١) الآية .

قال السدي وغيره من المفسرين : انهم كانوا كفارا ، ولم يعدر الله منهم الا المستضعفين .

المسألة الخامسة : هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعى الاسلام : انه منافق . أم لا ؟

الجواب : انه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند التحريض على القتال ، ونحو ذلك من اجتراح الحيل ، كالذين قالوا : لو علم قتالا لاقتبضناكم ، ونحوه اذا غلب المشركون التجأ معهم ، وان غلب المسلمون التجأ إليهم ، ويدعي لا شركين بشئ الأحياء ، وموالاتهم من دون المؤمنين ، وأشبه هذه العلامات التي ذكر الله أنها

(١) النساء : ٩٧ .

علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ، فانه يجوز اطلاق النفاق عليه وتسميته منافقا . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفعلون ذلك كثيرا ، كما قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بها منافقا ، وكما قال عوف بن مالك ، لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق . وكذلك قال عمر فى قصة حاطب : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق . وفى رواية : دعنى أضرب عنقه فانه منافق ، واشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عباد لما قال ذلك الكلام : كذبت . . ولكنك منافق ، تجادل عن المنافقين .

ولكن ينبغى أن يعرف أنه لا تلازم بين اطلاق النفاق عليه ظاهرا ، وبين كونه منافقا باطنا فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقا لمن أراد أن يسميه بذلك وان لم يكن منافقا فى نفس الأمر ، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئا لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على أسيد بن حضير تسميته سعدا منافقا ، مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذى ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون منافقا .

واعلم أنه لا يجوز اطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ، أو لكونه يشاحن رجلا فى أمر دنى ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف فى بعض الأمور التى لا يزال الناس فيها مختلفين . فليحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صح فى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، وانما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة فى النفاق ، كالعلامات التى ذكرنا وأشباهاها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيتة اعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسة : فى الموالات والمعاداة ، هل هى من معنى « لا اله الا الله » أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب المسلم أن يعلم أن الله

افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، وفقى الايمان عن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى « لا اله الا الله » أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك ، وأوجه ، وأوجب العمل به فهذا هو الفرض والحتم الذى لا شك فيه ، فمن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدل والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا فى الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين ، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لى . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله تعالى أعلم ، والله الحمد والمنة ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركا أين ما كنت . وأن يجعلك ممن اذا أعطى شكر . واذا ابتلى صبر ، واذا أذنب استغفر ، فان هذا الثلاث عنوان السعادة . اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم ، أن تعبد الله مخلصا له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس . وخلقهم لها ، كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحديث اذا دخل فى الطهارة ، كما قال تعالى : « ما كان للمشركين أن يعبروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ، اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون » (٢) .

فاذا عرفت أن الشرك اذا غالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين فى النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن ينلصاك من هذه الشبكة ، وهى الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه :

الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيى ، المميت ، النافع ، الضار ، الذى يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم فى الاسلام . والدليل قوله تعالى : « فصل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج النور من الليل ويضجج الليل من النور ومن يعبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون » (١) .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجعنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القربة والشفاعة ، فربد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القربة قوله تعالى : « والذين اتبعوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ، أن الله يشكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، أن الله لا يعبده من هو كاذب كفار » (٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاونا عند الله » ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السجود ولا فى النسي ، سبعتائه وتعالى عما يشركون » (٣) .

القاعدة الثالثة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على ناس متفرقين فى عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقائلهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والدليل قوله تعالى : « وقتلهم حتى لا تكون فتنة ويكونوا فى كتاب الله » (٤) .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن » (٥) .

(٢) الزمر : ٣
(٤) الانفال : ٣٩

(١) بقره : ٣١
(٣) بقره : ١٨
(٥) فصلت : ٣٧

ودليل الصالحين قوله تعالى : « قُلْ أَتَدْعُوا الَّذِينَ قَدْ دُفِنُوا مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ تَشْفِئًا لَكُمْ وَلَا تُعْنِوْنَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَحْمِلَهُمْ رَبُّهُمْ أَلَسْ بَالِ الْوَسِيلَةِ أَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ، أَنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْشُورًا » (١) .

ودليل الملائكة قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَالْإِيمَانُ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقْهُ فَمَا يَشَاءُ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقْهُ فَمَا يَشَاءُ » (٢) .

ودليل الأنبياء قول تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قَالَتْ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُونَ وَأَمْرِي إِلَهُي مَنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ ، أُنِ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ، إِنْ كُنْتُ نَفْسًا زَافِلًا فَانْصُرْنِي بِمَا كُنْتُ ، مَا أَقُولُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَوْحَى بِي أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَتَى الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَالِقُونَ ، وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَأَنْتَ الْغَالِبُ الْمُتَكَبِّرُ » (٣) .

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركون سُدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فسررنا بسُدرة ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « الله أكبر ، إنها السنن .. قلتم — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة » قال انكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغبر الله أبصيركم إليها وهو فضلكم على العالمين » (٤) .

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أعظم شركا من الأولين ، لأن الأولين يخلصون لله في الشدة ، ويشركون في الرخاء ، ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة .

(١) الإسراء : ٥٦ ، ٥٧ . (٢) سبأ : ٤٠ — ٤٢ .

(٣) الزائدة : ١١٦ — ١١٨ (٤) الأعراف : ١٣٨ — ١٤٠ .

والدليل قوله تعالى : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليستمعوا فسوف يعلمون » (١) .

تمت والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربى الله . فاذا قيل لك : أى شىء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل لك : أى شىء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض . فاذا قيل لك : أى شىء تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . واذا قيل لك : أى شىء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « أن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يفضى الليل النهار بطلبه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إلا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » (٢) .

فاذا قيل لك : أى شىء معنى الله ؟ فقل : معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فاذا قيل لك : لأى شىء الله خلقك ؟ فقل : لعبادته . فاذا قيل لك : أى شىء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته . فاذا قيل لك : أى شىء يدل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٣) .

واذا قيل لك : أى شىء أول ما فرض الله عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وإيمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » (٤) .

(١) المنكبات : ٦٥ ، ٦٦ . (٢) الاعراف : ٥٤ .

(٣) الداريات : ٥٦ . (٤) البقرة ٢٥٦ .

فاذا قيل لك : أى شيء العروة الوثقى ؟ فقل : لا اله الا الله ،
بمعنى « لا اله الا الله » لا اله : نفى الا الله . اثبات .

فاذا قيل لك : أى شيء أنت ناف ، وأى شيء أنت مثبت ؟ فقل .
ناف جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده
لا شريك له .

فاذا قيل لك : أى شيء الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى :
« واذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى
فطرنى » (١) .

فاذا قيل لك : أى شيء النفى ؟ وأى شيء الاثبات ؟ فقل :
دليل النفى : « واذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون » .
هذا النفى ، ودليل الاثبات : « الا الذى فطرنى » .

فاذا قيل لك : أى شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد
الالهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب ، مثل الخلق ، والرزق ،
والاحياء ، والامانة ، وانزال المطر ، وانبات النبات ، وتغيير الأمور .
وتوحيد الالهية ، فعل العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ،
والتوكل ، والافتابة ، والرغبة ، والرغبة ، والتذر ، والاستعانة ، وغير
ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أى شيء دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وأصله
وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحريض على
ذلك ، والمواالة فيه وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك فى عبادة
الله تعالى ، والتغليظ فى ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو
مبنى على خمسة أركان :

أولها : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام
الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة .

ودليل الشهادة قوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو واللائكة وأولوا العلم قائدا بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » (١) .

ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى : « ما كان محمد ابأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٢) .

والدليل على اخلاص العبادة والصلاة ، والزكاة قوله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (٣) .

ودليل الصوم قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٤) .

ودليل الحج قوله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٥) .

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فاذا قيل : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده مكة ، وهاجر الى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون ما نبيء فيها وثلاث وعشرون نبى رسول ، نبيء به « اقرأ » ، وأرسل به « المدثر » .

فاذا قيل : هو مات ، أم لم يموت ؟ فقل مات : ودينه لا يموت الى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : « انك ميت واتهم ميتون » ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (٦) .

(١) آل عمران : ١٨ . (٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) البينة : ٥ . (٤) البقرة : ١٨٣ .

(٥) آل عمران : ٩٧ . (٦) الزمر : ٣٠ ، ٣١ .

فاذا قيل : والناس اذا ماتوا يبعثون ؟ فقل : نعم . . والدليل قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (١) .

والذى ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : « زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى ودرى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (٢) .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

* * *

الرسالة الثانية :

هذه مسائل الجاهلية

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأمينين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدّها خطرا ، عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان انضاف الى ذلك استحصان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ، كما قال تعالى : « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون » (١) .

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته ، يربدون شفاعتهم عند الله ، كما قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٢) .

وقال تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال الا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار .

وهذه المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٤) .

(٢) يونس : ١٨ .

(٤) الانفال : ٣٩ .

(١) العنكبوت : ٥٢ .

(٣) الزمر : ٣ .

الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

وكذلك في دينهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وقال تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » (٣) .

ونهانا عن مشابهتهم بقوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » (٤) .

ونهانا عن التفرق في الدين بقوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٥) .

الثالثة : أن مخالفة ولى الأمر (عندهم) وعدم الاقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التى جمع بينها فيما ذكر عنه في « الصحيحين » أنه قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا : ألا تعبدوا الا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . ولم يقع خلل في دين الناس وديانهم الا بسبب الاخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبنى على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار اولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : « وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اننا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » (٦) .

(٢) الشورى : ١٣ .

(١) الروم : ٣٢ .

(٤) آل عمران : ١٠٥ .

(٣) الانعام : ١٥٩ .

(٦) الزخرف : ٢٣ .

(٥) آل عمران : ١٠٣ .

وقال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أول لو كان اثني عشر نبيا يدعوهم إلى عذاب السعير » (١) .

فأتاهم بقوله : « قل إذا أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة » (٢) الآية .

وقوله : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » (٣) .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغرته ، وقلة أهله ، فأتاهم (٤) بصد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : « فما بال أقرون الأولي » (٥) . « ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين » (٥) .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال ، وفي الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : « ولقد مكناهم فيها أن مكناكم فيه » (٦) الآية .

وقوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (٧) . « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٨) الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، كقوله : « يؤمن لك واتبعك الأرذالون » (٩) .

وقوله : « أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » (١٠) فرد الله بقسوله : « أليس الله بأعالم بالمشاكرين » (١١) .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : « يا أيها الذين

(١) لقمان : ٢١ .

(٢) سبأ : ٤٦ .

(٣) الأعراف : ٣ .

(٤) في الأصل « فأتتهم » .

(٥) طه : ٥١ .

(٦) المؤمنون : ٢٤ .

(٧) الأحقاف : ٢٦ .

(٨) البقرة : ٨٩ .

(٩) البقرة : ١٤٦ .

(١٠) الشعراء : ١١١ .

(١١) الأنعام : ٥٣ .

آمنوا أن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله (١) .

وبقوله : « لا تغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (٢) .

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم
حفظهم . كقوله : « بادي الرأي » (٣) .

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله :
« ان اتم الا بشر مثلنا » (٤) .

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ،
عدم فهم الجامع والفارق .

الثالثة عشرة : الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله :
« يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » (٥) .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبنى على قاعدة وهى الزنى والاثبات
فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم
كقوله : « قلوبنا خلف » (٦) « يا شبيب ما نفقه كثيرا وما نقرأ » (٧) .

فأكذبهم الله . وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع
بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر . كما
ذكر الله ذلك فى قوله : « نريد فريق من الذين أوتوا الكتاب نتاب الله
وراء ظهريهم فآبهم لا يطمعون . وانصروا ما نزلنا بالمشيطين على ما
سليمان » (٨) .

السابعة عشرة : سبب باطلهم الى الانساء ، قوله . « وما نغفر

- | | |
|--------------------|--------------------------|
| (١) التوبة : ٣٤ . | (٢) المائدة : ٧٧ . |
| (٣) هود : ٢٧ . | (٤) إبراهيم : ١٠ . |
| (٥) النساء : ١٧١ . | (٦) النساء : ١٥٥ . |
| (٧) عود : ٦١ . | (٨) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ . |

سليمان (١) وقوله : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا » (٢) .
الثامنة عشرة : تناقضهم في الاتساق ، ينتسبون الى ابراهيم ،
مع اظهارهم ترك اتباعه .

التاسعة عشرة : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ،
كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله
عليه وسلم .

العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات
الصالحين ، ونسبته الى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .
الحادية والعشرون : تعبدهم بالملكاء والتصدية .
الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا .

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء الله
منها يدل على رضاه ، كقوله : « نحن أكثر أمميا ولا ولادنا وما نحن
بمعتدين » (٣) .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق اذا سبقهم اليه الضعفاء
تكبرا وانفة ، فانزل الله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » (٤) الآية .
الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله :
« لو كان خيرا ما سبقونا اليه » (٥) .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون .

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها الى الله ،
كقوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من
عند الله » (٦) الآية .

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق الا الذي مع
طائفتهم ، كقوله : « نؤمن بما أنزل علينا » (٧) .

- | | |
|--------------------|---------------------|
| (١) البقرة : ١٠٢ . | (٢) آل عمران : ٦٧ . |
| (٣) سبأ : ٣٥ . | (٤) الأنعام : ٥٢ . |
| (٥) الاحقاف : ١١ . | (٦) البقرة : ٧٩ . |
| (٧) البقرة : ٩١ . | |

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » (١) .

الثلاثون : وهى من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، ورتكبوا ما نهى الله عنه من الآفة ، صار « كل حزب بما لديهم فرحون » (٢) .

الحادية والثلاثون : وهى من عجائب الله أيضا ، معاداتهم الدين الذى اتسبوا اليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم ، وفتنتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبی صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهى من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق اذا كان مع لا يهودونه كما قال تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » (٣) الآية .

الثالثة والثلاثون : انكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا فى حج البيت ، فقال تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه » (٤) .

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعى أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٥) .

ثم بين الصواب بقوله : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » (٦) الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات كقوله : « واذا فعلوا فاحشة » (٧) الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

- | | |
|--------------------|---------------------|
| (١) البقرة : ٩١ . | (٢) المؤمنون : ٥٣ . |
| (٣) البقرة : ١١٣ . | (٤) البقرة : ١٣٠ . |
| (٥) النمل : ٦٤١ . | (٦) البقرة : ١١٢ . |
| (٧) الاعراف : ٢٨ . | |

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأجبار والرهبان أربابا من دون الله •

الثامنة والثلاثون : الالحاد فى الصفات ، كقوله تعالى : « ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون » (١) •

التاسعة والثلاثون : الالحاد فى الأسماء ، كقوله تعالى : « وهم يكفرون بالرحمن » (٢) •

الأربعون : التعطيل : كقول آل فرعون (٣) •

الحادية والأربعون : نسبة النقائص الىه •

الثانية والأربعون : الشرك فى الملك ، كقول المجوس •

الثالثة والأربعون : جحد القدر •

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله •

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره •

السادسة والأربعون : مسبة الدهر ، قولهم : « وما يهلكنا إلا الدهر » (٤) •

السابعة والأربعون : اضافة نعم الله الى غيره كقوله : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » (٥) •

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات الله •

التاسعة والأربعون : جحد بعضها •

الخمسون : قولهم : « ما أنزل الله تعالى بشئ من شيء » (٦) •

الحادية والخمسون : قولهم فى القرآن : « ان هذا الا قول بالبشر » (٧) •

(١) فصلت : ٢٢ • (٢) الرعد : ٣٠ •

(٣) يثبیر يدلک الى ما حکاه الله عنه فى قوله « ما علمت لكم من الله غيرى » القصص : ٣٨ •

(٤) الحاثية : ٢٤ • (٥) النحل : ٨٣ •

(٦) الأنعام : ٩١ • (٧) المدثر : ٢٥ •

الثانية والخمسون : القدح فى حكمة الله •

الثالثة والخمسون : اعمال الصيل الظاهرة والباطنة فى دفع ما جاء به الرسل ، كقوله : « ومكروا ومكر الله » (١) . وقوله تعالى : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا ووجه النهار » (٢) •

الرابعة والخمسون : الاقرار بالحق ليتوصوا به الى دفعه كما قال فى الآية •

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله بعدها : « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » (٣) •

السادسة والخمسون : تسمية أتباع الاسلام شركاء ، كما ذكره فى قوله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » (٤) الآية •

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه •

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصبأة والحشوية •

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله •

الستون : كوجههم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى المشركين للسلوك : كما قال : « اتقوا موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض » (٥) •
الحادية والستون : رميهم اياهم بالفساد فى الأرض ، كما فى الآية •

الثانية والستون : رميهم اياهم باتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : « ويتركوا آلهتكم » (٦) •

وكما قال تعالى : « انى أخاف أن يبدل دينكم » (٧) الآية •

الثالثة والستون : رميهم اياهم باتقاص آلهة الملك ، كما فى الآية •

(٢) آل عمران : ٧٢

(٤) آل عمران : ٧٩ •

(٦) الأعراف : ١٢٧

(١) آل عمران : ٥٤

(٣) آل عمران : ٧٣

(٥) الأعراف : ١٢٧

(٧) غافر : ٢٦

- الرابعة والستون : رميهم اياهم بتبديل الدين ، كما قال :
 « انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد » (١) .
- الخامسة والستون : رميهم اياهم بانتقاص الملك ، كقولهم :
 « وينزلك والهتك » (٢) .
- السادسة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله :
 « تؤمن بما انزل علينا » (٣) مع تركهم اياه .
- السابعة والستون : الزيادة فى العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .
- الثامنة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .
- التاسعة والستون : تركهم الواجب ورعا (٤) .
- السبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .
- الحادية والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله .
- الثانية والسبعون : دعواهم الناس الى الضلال بغير علم .
- الثالثة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : « ان كنتم تحبون الله » (٥) الآية .
- الرابعة والسبعين : دعواهم اياهم الى الكفر مع العلم .
- الخامسة والسبعون : المكر الكبار ، كفعل قوم نوح .
- السادسة والسبعون : أن أئمتهم : اما عالم فاجر ، واما عابد جاهل ، كما فى قوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله » (٦) الى قوله : « وهنهم آميون » (٧) .
- السابعة والسبعون : تمنيهن الأمانى الكاذبة ، كقوله لهم :
 « لن تمسنا النار الا اياما معدودة » (٨) . وقولهم : « لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى » (٩) .

(١) غافر : ٢٦	(٢) الأعراف : ١٢٧
(٣) البقرة : ٩١	(٤) ترك ستر العورة اثناء الطواف .
(٥) آل عمران : ٣١	(٦) البقرة : ٥٧
(٧) البقرة : ٧٨	(٨) البقرة : ٨٠
(٩) البقرة : ١١١	

- الثامنة والسبعون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد •
- التاسعة والسبعون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر •
- والثمانون : اتخاذ السرج على القبور •
- الحادية والثمانون : اتخاذها أعيادا •
- الثانية والثمانون : الذبح عند القبور •
- الثالثة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار ابن حزم لبعث مكربة قريش •
- الرابعة والثمانون : الفخر بالأحساب •
- الخامسة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء •
- السادسة والثمانون : الطعن في الأنساب •
- السابعة والثمانون : النياحة •
- الثامنة والثمانون : أن أجل فضائلهم الفخر بالأنساب فذكر الله فيه ما ذكر •
- التاسعة والثمانون : أن أجل فضائلهم أيضا الفخر ولو بسحق ، فنهى عنه •
- التسعون : أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الإنسان لطائفته ، ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما ، فأنزل في ذلك ما أنزل •
- الحادية والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فانزل الله : « ولا تزدوا ذرة وذر أخرى » (١) •
- الثانية والتسعون : تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : « أعيرته بأمه ، تلك امرؤ فيك جاهلية » •
- الثالثة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : « مستكبرين به سامرا تهجرون » (٢) •

الرابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فقال الله
« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت » (١) الآية .

النامسة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين
على أهل الحرث .

السادسة والتسعون : عظمة الدنيا في قلوبهم ، كقواهم :
« لولا نزل هذا القرآن على رجل من القويتين عظيم » (٢) .
السابعة والتسعون : التحكم على الله كما في الآية .

الثامنة والتسعون : ازدراء الفقراء ، فاتهم بقوله : « ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغفلة والعشى » (٣) .

التاسعة والتسعون : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب
الدنيا ، فأجابهم بقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء » (٤)
الآية وأمثالها .

المائة : الكفر بالملائكة .

الحادية بعد المائة : الكفر بالرسل .

الثانية بعد المائة : الكفر بالكتب .

الثالثة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

الرابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الخامسة بعد المائة : التكذيب بلقاء الله .

السادسة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن
اليوم الآخر ، كما في قوله : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه » (٥) .
ومنها التكذيب بقوله : « مالك يوم الدين » (٦) . وقوله :
« لا بيع فيه ولا ملة ولا شفاعة » (٧) وقوله : « إلا من شهد بالحق
وهم يعلمون » (٨) .

(٢) الزخرف : ٣١

(٤) الأنعام : ٥٢

(٦) الفاتحة : ٤

(٨) الزخرف : ٨٦

(١) البقرة : ١٣٤

(٣) الأنعام : ٥٢

(٥) الكهف : ١٠٥

(٧) البقرة : ٢٥٤

- السابعة بعد المائة : الايمان بالعبث والطغوت
- الثامنة بعد المائة : تفضيل دين المنكرين على دين المسلمين
- التاسعة بعد المائة : لبس الحق بالباطل
- العاشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به
- الحادية عشرة بعد المائة : قناعة الضلال ، وهي التسول على الله بلا علم
- الثانية عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : « بل كذبوا بالحق لما بهم فهم في أمر مريج » (١)
- الثالثة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض
- الرابعة عشرة بعد المائة : التزيق بين الرسل
- الخامسة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم
- السادسة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم
- السابعة عشرة بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آمن به
- الثامنة عشرة بعد المائة : مودتهم الكثر والكافرين
- التاسعة عشرة بعد المائة ، والعشرون ، والحادية والعشرون ، والثانية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والرابعة والعشرون ، والخامسة والعشرون ، والسادسة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم
- صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

الرسالة الثالثة :

كشف الشبهات

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ،
وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به الى عباده .

فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله الى قومه لما غلوا في
الصالحين : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر .

وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كسر صور
هؤلاء الصالحين ، أرسله الله الى أناس يتعبدون ، ويحجون ،
ويتصدقون ، ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات
وسائط بينهم وبين الله . يقولون : فريد منهم انتفرب الى الله ، ونريد
شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من
الصالحين ، فبعث الله اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم يحدد لهم
دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد
محض حق الله ، لا بصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل .
فضلا عن غيرهما ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو
الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق الا هو ، ولا يحيى
ولا يميت الا الله ، ولا يدبر الأمر الا هو ، وأن جميع السعوات السبع
ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .
فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى : « قل من
يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج
الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن ينبر الأمر ، فسيقولون
الله ، قل أفلا تتقون » (١) .

(١) يونس : ٣١ .

وقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فاني تسحرون (١) » وغير ذلك من الآيات .

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت ان الوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد : كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات ، أو نبيا مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » (٢) .

وكما قال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (٣) .

وتحقت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله الله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن تصدعهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

وعرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا اله الا الله » : فان الاله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور . سواء أكان ملكا ، أو نبيا ، أو وليا ، أو شجرة . أو قبرا ، أو جنيا . لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وانما يعنون بالاله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ السيد : فأتاهم النبي صلى الله

(١) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ (٢) الجن : ١٨

(٣) الرعد : ١٤

عليه وسلم يدعوهم الى كلمة التوحيد، وهى : « لا اله الا الله » ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعليق ، والكفر بما يجب من دونه والبراءة منه ، فانه لما قال لهم : قواوا « لا اله الا الله » قالوا : « اجعل الآلهة كلها واحدا ، ان هذا لشيء عجاب » (١) .

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانى .

والحاذق منهم يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر الأمر الا الله . فلا خير فى رجل ، جهال الكفار أعلم منه بمعنى « لا اله الا الله » .

اذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه : « ان الله لا يفرق أن يشرك به » (٢) الآية ، وعرفت دين الله الذى بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الاولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (٣) .

وأفادك أيضا اخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعتذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصا ان ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم اتوه قائلين : « اجعل لنا الهة كما لهم آلهة » (٤) .

فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله . واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين .

(٢) النساء : ٤٨
(٤) الاعراف : ١٣٨

(١) سورة ص : ٥
(٣) يونس : ٥٨

الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (١) .
وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وذنوب كثيرة ، كما قال
تعالى : « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بها عندهم من العلم » (٢) .

إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله تعالى لا بد له من
أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة ودأب ووسوسة ، فالواجب عليك أن تعلم
من دين الله ما يصبر سلاحا لك تقاقل به هؤلاء الشياطين الذين قال
امامهم ومقدمهم لربك عز وجل : « لأقدمن لهم صراطك المستقيم » ثم
لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين (٣) .

ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصغيت الى حجج الله وبياناته فلا تخف
ولا تحزن « أن كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .
والعامى من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما
قال تعالى « وإن جندنا لهم الغالبون » (٥) .

فجند الله هم ، مغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون
بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحّد الذى يسلك الطريق وليس
معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله تبياناً لكل شيء ، وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتى صاحب باطل بحجة الا وفى القرآن
ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : « ولا يأتونك بمثل الا جئناك
بالحق وأحسن تفسيرا » (٦) .

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل
الباطل الى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله فى كتابه جواباً لكل ما احتج به
المشركون فى زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين :
مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ،

(١) الأنعام : ١١٢	(٢) غافر : ٨٣
(٣) الأعراف : ١٦ ، ١٧	(٤) النساء : ٧٦
(٥) الصافات : ١٧٣	(٦) الفرقان : ٣٣

وذلك قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله » (١) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » .
مثال ذلك ، اذا قال لك بعض المشركين :

« الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

أو أن الشفاعة حق ، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شىء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكره ، فجأبه بقولك : ان الله ذكر فى كتابه أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كثرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والاولياء ، مع قولهم : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٣) .

هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لى أيها المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى :
« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٤) .

وأما الجواب المنفصل ، فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذهب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجأبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم

(١) يونس : ٦٢

(٢) فضلت : ٣٥

(٣) آل عمران : ٧

(٤) يونس : ١٨

لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه •

فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجوابه بما تقدم ، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا من قصدوا الا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ، منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » (١) الآية .

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال تعالى : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه هدى كانا ياكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر انى يؤفكون . قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم » (٢) .

واذكر له قوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » (٣) .

وقوله تعالى : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلتة فقد علمته ، تعلم ما لى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب » (٤) .

فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فإن قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم •

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى :

(٢) المائدة : ٧٥ : ٧٦

(٤) المائدة : ١١٦

(١) الإسراء : ٥٧

(٣) سبأ : ٤٠ : ٤١

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » (١) وقوله تعالى : « وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ » (٢) .

والإمام أن هذه الشبهة الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الشبهة الثلاث في كتابه ، وفهمتها جيدا ، فما بعدها أيسر منها .

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إليهم ودعائهم ليس بعبادة . فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك اخلاص العبادة لله ؟ فإذا قال : نعم . فقل له : بين لي هذا الذي فرضه الله عليك ، وهو اخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك ، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها ، فبينها له بفولك : قال الله تعالى « ادعوا ربكم تضرعا وخفية إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكِبِينَ » (٣) .

فإذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلا نهارا ، خوفا وطمعا ، ثم دعوت في تلك الحاجة نيا أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فإذا علمت بقول الله تعالى : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَسِرْ » (٤) وأطعت الله ونعرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فإن نحرت لمخلوق ، نبي ، أو جنى ، أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم .

وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ، واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟ والا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاء والشفاعة وهذا ظاهر جدا . فإن قال : أتذكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأرجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى : كما قال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (٥) .

(٢) يونس : ١٨

(٤) الكوثر : ٢

(١) الزمر : ٣

(٣) الأعراف : ٥٥

(٥) الزمر : ٤٤

ولا يكون الا من بعد اذن الله ، كما قال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (١) •

ولا يشفع فى أحد الا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٢) •

وهو سبحانه لا يرضى الا للتوحيد ، كما قال تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فإلن يقبل منه » (٣) •

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون الا من بعد اذنه ، ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى الا لأهل التوحيد • تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمنى شفاعته ، اللهم شفعه فى ، وأمثال هذا • فان قال : النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ، وأنا أطلبها مما أعطاه الله •

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا • فقال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » (٤) •

فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه فى قوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » •

وأيضاً فان الشفاعة أعطيها النبى صلى الله عليه وسلم ، لصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت الى عبادة الصالحين التى ذكرها الله فى كتابه • وان قلت : لا بطل ذلك : اذا أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبها مما أعطاه الله •

فان قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك • فقل له : اذا كنت تقر أن الله يحرم الشرك أعظم من تحرير الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؟ فما هذا الأمر الذى يحرمه الله ، وذكر الله لا يغفره ؟ فانه لا يدري • فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليه هذا ، ويذكر أنه

(٢) الأنبياء : ٢٨

(٤) الجن : ١٨

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) آل عمران : ٨٥

لا يغفره ، ولا تسأل عنه لا تعرفه ؟ أظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟
فان قال : الشرك عبادة الأصنام ، وفصح لا نعبد الأصنام ، فقل له :
ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب
والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن •
وان قال : هو من قصد خشبة أو حجرا ، أو بنية على قبر ، أو غيره ،
يدعون ذلك ، ويدبحون له • يقولون : انه يقربنا الى الله زلفى ، ويدفع
الله عنا ببركته ، أو يعطينا ببركته • فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند
الأحجار والأبنية التى على القبور وغيرها فهذا أقصر ان فعلهم هذا هو
عبادة الأصنام ، فهو المطلوب •

ويقال له أيضا : قولك الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن
الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل
فى ذلك ؟ فهذا ما ذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة ،
أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله
أحدا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور فى القرآن ، وهذا هو
المطلوب ، وسر المسألة أنه اذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما
الشرك بالله ؟ فسر له • فان قال : هو عبادة الأصنام • فقل : وما معنى
عبادة الأصنام ؟ فسر لها • فان قال : أنا لا أعبد الا الله وحده •
فقل : ما معنى عبادة الله وحده ؟ فسر لها • فان فسر لها بما بينه القرآن ،
فهو المطلوب ، وان لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه ؟ وان فسر
ذلك بغير معناه ، بينت له الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله
وعبادة الأوثان ، أنه الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة
الله وحده لا شريك له هى التى ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح
إخوانهم حيث قالوا : « اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشي
عجاب » (١) •

فاذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ،
هو الشرك الذى نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا يأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء والأوثان مع الله ألا غي الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا » (١) .
وقال تعالى : « قل أرايتكم أن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون أن كنتم صادقين . بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه أن شاء وتنسون ما تشركون » (٢) .
وقال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه »
« إلى قوله : « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » (٣)
وقوله : « وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » (٤) .
فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، أما أنبياء ، وأما أولياء ، وأما ملائكة . أو يدعون أحجارا ، أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصى مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصنع سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله .

(٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١
(٤) لقمان : ٣٢

(١) الاسراء : ٦٧
(٣) الزمر : ٨

ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث . ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر . لم يدخل في الاسلام ، وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بـبعضه . كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد للصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج ، أنزل الله في حقهم : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » (١) .

كما قال تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا » (٢) الآية .

فاذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقا ، زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضا : اذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك اذا أقر بكل شيء الا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أعلم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو غسل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ ! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! • ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويؤذنون ويهللون فان قال : انهم يقولون : ان مسيلمة نبي • قلنا : هذا هو المطلوب • اذا كان من رفع رحلا الى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحمل مثله ودمه ، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا في رتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ! « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون » (١) •

ويقال أيضا : الذين حرقهم على بن أبي طالب رضى الله عنه بالنار ، كلهم يدعون الاسلام ، وهم من أصحاب على رضى الله عنه ، وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في على مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ ! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في على بن أبي طالب كفر •

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بنى العباس ، كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدعون الاسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فاما أظفروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم • وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استتقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين •

ويقال أيضا : اذا كان الأولون لم يكفروا الا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وانكار البعث • وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب ؟ « باب

حكم المرتد « وهو المسلم الذى يكفر بعد اسلامه ، ثم ذكروا أنواعا كثيرة ، كل نوع منها يكفر ، ويحل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب •

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : « يعطفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم » (١) •

أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون • لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » (٢) •

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد ايمانهم ، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح •

فتأمل هذه الشبهة ، وهى قولهم : تكفرون من المسلمين أفاسا يشهدون أن لا اله الا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فانه من أنفع ما فى هذه الأوراق •

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بنى اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم ، انهم قالوا لموسى : « اجعل لنا الها كما لهم آلهة » (٣) •

وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط • فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا مثل قول بنى اسرائيل لموسى : « اجعل لنا الها » •

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة • وهى أنهم يقولون : ان بنى اسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا •

فالجواب أن نقول : ان بنى اسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا • ولا خلاف أن بنى اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين فهاهم النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(١) التوبة : ٧٤

(٣) الاعراف : ١٣٨ •

عليه وسلم لو لم يطعموه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع نى أنواع من الشرك لا بدري عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكاييد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، الله لا يكفر ، كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر ، فانه يغلف عليه الكلام تغليظا شديدا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : ان النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال « لا اله الا الله » وقال : « أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » وأحاديث آخر فى الكف عن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون « لا اله الا الله » ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى خنيفة ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال « لا اله الا الله » ، وأن من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذى هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ، فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه الا خوفا على دمه وماله ، والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » (١) .

أى فتشبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فإن تبين منه بصد ذلك ما يخالف الاسلام قتل ، لقوله : « فتبينوا »
واو كان لا يقتل اذا فالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث
الأخر وأمثاله ، مناه ما ذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب
الكف عنه ، الا ان تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال :
« أتتله بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا : لا اله الا الله » هو الذى قال فى الخوارج : « أينما
لقيتموهم فاقتلوهم . لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد » مع كونهم من
أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى ان الصحابة يعقرون صلاتهم عندهم
وهم تعلموا العام من الصحابة ، فام تنفهم لا اله الا الله ، ولا كثرة
العبادة ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك
ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة .

وكذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزى بنى النضير لما
أخبره رجل انهم منعوا الزكاة ، حتى انزل الله تعالى : « يا أيها الذين
آمَنُوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين » (١) .

وكان الرجل كاذبا عليهم ، فكل هذا يدل على أن دراد النبى صلى
الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهى ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس
يوم القيامة يستغيثون بأدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بيسوى ،
ثم بيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

فالجواب أن نقول : سبحانه من طبع على قلوب أعدائه ، فان
الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا تنكرها ، كما قال تعالى فى قصة
حوسى : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عديه » (٢) .

وكما يستغيث الانسان بأصحابه فى الحرب وغيرها من الأشياء

التي يقدر عليها المخوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يمارسها عند دبر الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله . إذا ثبت ذلك . فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يعاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب المرقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي ، بهالك ويد مع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب زميل الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته . وأما بعد موته ، فدعاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقى في النار ، اعترض له جبريل في الرواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال ابراهيم عليه السلام : أما إليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا ، لم يعرضها على ابراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه : « شديد القوى » (١) .

فلو أذن الله له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع ابراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير ، يرى رجلا محتاجا ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئا يقضى به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام أن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا تفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف

شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكن لا تقدر أن تفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى : « اشترؤا بآيات الله ثمنا قليلا » (١) .

وغير ذلك من الآيات كقوله : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (٢) . فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص : « ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار » (٣) .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، تبين لك إذا تأملت في السنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دينه ، أو جاه ، أو مداراة . وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه ، فإذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ، أولاهما : ما تقدم من قوله : « لا تعجلوا قبل كفرتم بعد إيمانكم » (٤) .

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية : قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٥) .

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا ، فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفاً ، أو مداراة ،

(١) التوبة : ٩

(٢) البقرة : ١٤٦

(٣) النساء : ١٤٥

(٤) التوبة : ٦٦

(٥) النحل : ١٠٦

أو مشعة بوطنه ، أو أهله ، أو عشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض الا المكروه ، والآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى : قوله « الا من أكره » . فلم يستثن الله الا المكروه معلوم أن الانسان لا يكره الا على العمل أو الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : « ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » (١) .

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، والبغض للدين ، أو محبة الكفر ، وانما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فأثمه على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، آمين .

الرسالة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى •

اما بعد • • فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا • فقال أحدهما :
لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله • فاقا لا تقار انه نضل اليه بغير ذلك •
الجواب : الحمد لله رب العالمين • ان أراد بذلك أنه لا بد من
واسطة تبلغنا أمر الله ، فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله
ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعد له لأوليائه من كرامته ،
وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من
أسمائه الحسنی وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال
ذلك الا بالرسول الذي أرسلهم الله تعالى الى عباده •

فالْمُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ ، المتبعون لهم ، هم المهتدون الذين يقربهم
لديه زلفى ، ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة •
وأما المخالفون لرسول ، فانهم مملونون ، وهم عن ربهم ضالون
محبوبون • قال الله تعالى :

« يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى
واصطفى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) •
وقال تعالى :

« فاما ياتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى •
ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى •
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا • قال كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٢) •

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ،
أن لا يضل فى الدنيا • ولا يشتى فى الآخرة • وقال تعالى عن أهل النار :

« كذا الذى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير • قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا فى ضلال كبير » (١) •

وقال تعالى :

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاوها ففتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذروكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين » (٢) •

وقال تعالى :

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون » (٣) •

وقال الله تعالى :

« انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً • ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً • رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (٤) •

ومثل هذا فى قرآن كثير ، وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، فانهم يشبثون الرسائل بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره ، قال تعالى :

« الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » (٥) •

ومن أنكر هذه الرسائل ، فهو كافر باجماع أهل الملل • والسور التى أنزلها الله تعالى بمكة ، مثل : الأنعام والأعراف ، وذوات « الر » ، و « حم » ، و « نسي » ونحو ذلك ، هى متضمنة لأصول الدين ، كإيمان بالله ورساله واليوم الآخر ، وقد قص الله قصص الكفار الذين

(١) الملك : ٨ • ٩ (٢) الزمر : ٧١

(٣) الأنعام : ١٨ • ٢٩ (٤) النساء : ١٦٣ • ١٦٥

(٥) الحج : ٧٥

كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا • قال تعالى :
« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • أنهم لهم المنصورون • وإن
جنودنا لهم الغالبون » (١) •

وقال : « أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم
يقوم الأشهاد » (٢) •

فهذه الوسائط ، تطاع وتتبع ويقتدى بها ، كما قال تعالى :

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله » (٣) •

وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٤) •

وقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٥) •

وقال : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل
معه أولئك هم المفلحون » (٦) •

وقال تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا » (٧) •

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ، ودفع
المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ،
يسألونه ذلك ، ويرجعون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر
الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون
بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار • لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها
حق • قال الله تعالى :

« الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ، أفلا تتذكرون » (٨) •

(١) الصافات : ١٧١ — ١٧٣	(٢) غافر : ٥١
(٣) النساء : ٦٤	(٤) النساء : ٨٠
(٥) آل عمران : ٣١	(٦) الأعراف : ١٥٧
(٧) الأحزاب : ٢١	(٨) السجدة : ٤

وقال تعالى .

« وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » (١) .

وقال تعالى :

« وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » (٢) .

وقال سبحانه :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا » (٣) .
وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » (٤) .

وقالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول الناس كونوا عبادا من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيا أمركم بالكفر بعد أن أنتم مسلمون » (٥) .

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكرب ، وسد الفساقات ، فهو كافر باجماع المسلمين ، وقد قال : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون

(١) الأنعام : ٥١
(٢) الأنعام : ٧٠
(٣) الأسراء : ٥٦ - ٥٧
(٤) سبا : ٢٢ ، ٢٣
(٥) آل عمران : ٧٩ - ٨٠

إلا لن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • ومن يقل منهم أنى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين)) (١) •

وقال تعالى : ((إن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا)) (٢) •

وقال تعالى : ((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • لقد جئتم شيئا ادا • تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا • أن دعوا للرحمن ولدا • وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا • أن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا • لقد أحصاهم وعدهم عدا • وكلهم آتية يوم القيامة فردا)) (٣) •

وقال تعالى : ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون)) (٤) •

وقال تعالى : ((وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)) (٥) •

وقال تعالى : ((من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه)) (٦) •

وقال تعالى : ((وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضلته)) (٧) •

وقال تعالى : ((ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده)) (٨) •

وقال تعالى : ((قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)) (٩) •

(٢) النساء : ١٧٢

(٤) يونس : ١٨

(٦) البقرة : ٢٥٥

(٨) فاطر : ٢

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩

(٣) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٥) النجم : ٢٦

(٧) يونس : ١٠٧

(٩) الزمر : ٣٨

ومثل هذا كثير فى القرآن ، وأما سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين ، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمتة يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب فى ذلك •

وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وإن تمارعوا فى شئ ردوه الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر » (١) •

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه ، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب الى الملك من الطالب للحوائج •

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فان تاب ولا قتل •

وهؤلاء مشبهون لله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا • وفى القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التى بين المنوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه • ومن قال : ان الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج

(١) رواه ابو داود وغيره بسند حسن •

الأصوات باختلاف، اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، لا تغلظه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لئلا يعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدل . قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير » (١) .

وقال تعالى : « وقيل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا » (٢) .

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربّه ومليكه ، فهو الغنى عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم ، وفي الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمة في قضاء حوائج رعيته ، أما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وأما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بوالدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ، ويدعو له ، ويشفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده . أو يعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب .

ويخافه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي ان شئت ، اللهم ارحمني ان شئت ، ولكن ليحزم المسألة ، فانه لا مكره له » واشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، كما قال : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) .

وقال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٢) .

وقد قال تعالى : « قل اعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (٣) .

فبين أن كل من دعى من دونه ، ليس له ملك ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع الا لمن اذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة نخوف منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولا نعمهم عليه ، حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الوند ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعته سلوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعاة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ، ولا يخافه ، ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغنى . قال تعالى : « الا ان الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (٤) .

الى قوله : « قالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الأرض » (٥) .

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعدونه من الشفاعاة.

(٢) الانبياء : ٢٨

(٤) يونس : ٦٦

(١) البقرة : ٢٥٥

(٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(٥) يونس : ٦٨

قال تعالى : ((ويحسدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هل يؤمنون أشدّ منا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون)) (١) .

وقال تعالى : ((فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ،
بل ضلوا عنهم ، وذلك أفكهم وما كانوا يفترون)) (٢) .

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا : ((ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى)) (٣) .

وقال تعالى : ((ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ،
أأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)) (٤) .

وقال تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم
أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محظورا)) (٥) .

فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويلاه ،
وأنهم يرجون رحمته . ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه . فهو سبحانه
قد نهى ما أتبتوا للملائكة والأنبياء الا الشفاعة بأذنه . والشفاعة
هي الدعاء ، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد
أمر بذلك ، لكن ادعى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع الا بأذن الله
له في ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهى عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء
لهم بالمغفرة ، قال تعالى : ((ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم .
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه
عنو لله تبرا منه)) (٦) .

(٢) الأحقاف : ٢٨

(١) يونس : ١٨

(٤) آل عمران : ٨٠

(٣) الزمر : ٣

(٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤

(٥) الإسراء : ٥٦ ، ٥٧

وقال تعالى في حق المنافقين : «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم» (١) .

وقد ثبت في « الصحيح » أن الله تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين ، وأخبر أنه لا يغفر لهم ، كما في قوله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) .

وقوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » (٣) .

وقد قال تعالى : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » (٤) .

وقد قال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » (٥) .

في الدعاء ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين وفحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كإكافته على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون أن يقرؤا على ذلك . كما قال نوح : « ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين » (٦) .

قال تعالى : « قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعطاك ان تكون من الجاهلين ، قال رب اني اعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تفر لي وترحمني ان من الخاسرين » (٦) .

وكل داع شاذع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره ومشيتته ، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب ، والدعاء من جملة الأسباب

(١) المنافقون : ٦ (٢) النساء : ٤٨

(٣) التوبة : ٨٤ (٤) المنافقون : ٦

(٥) الأعراف : ٥٥ (٦) هود : ٤٥ - ٤٧

(٧ - مجموعة التوحيد)

التي قدرها الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان كذلك ، فالالتفات الى الأسباب .
شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ،
والاعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع .
بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه ومسأله ورغبته الى الله .
سبحانه وتعالى ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم
ما شاء .

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب
الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده
استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، والناس يطلبون الشفاعة يوم
القيامة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وله
شفاعات يختص بها . ومع هذا فقد ثبت في « الصحيحين »^(١) عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول .
ثم صلوا على ، فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا
الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو
أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم
القيامة » . وقد قال لعمر ، لما أراد أن يعتصر وودعه : « يا أخى .
لا تنسني من دعائك »^(٢) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ، ولكن
ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات
التي يثابون عليها ، مع أنه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم في كل
ما يعملونه ، فإنه قد صح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا
الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من
أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من
تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا » وهو داعي الأمة الى كل
هدى ، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه ، وكذلك اذا صلوا عليه .

(١) هذا من افراد مسلم ولم يخرج به البخارى .

(٢) رواه ابو داود وغيره بسند ضعيف .

فان الله يصلى على أحدهم عشرا ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له ، فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه •

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى « الصحيح » أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، الا وكل الله به مَلَكَ ، كما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » وفى حديث آخر : « أُسرِع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » •

فالدعاء للغير ينتفع به الداعى والمدعو له ، وان كان الداعى دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له • فمن قال لغيره : ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو فيه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسئول فعل ما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيشأب المأمور على فعله وإلأمر أيضا يشأب مثل ثوابه ، لكونه دعا اليه لا سيما ومن الادعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالى : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (١) •

فأمره بالاستغفار ، ثم قال : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجبوا لله توابا رحيمًا » (٢) • فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذاك ، مما أمر الله به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به ، بل ما أمر الله به العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة لله ، وطاعة ، وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه ، واذا فعل ذلك كان من أعظم احسان الله اليه وانعامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان •

والإيمان : قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملا للخير ، ازداد إيمانه •

هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله : « صراط الذين أنعمت
عليهم » (١) .

وفي قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم » (٢) .

بل نسب الدنيا بدون الدين ، هل هي من نعمة أم لا ؟ فيه قولان
مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم . والتحقيق أنها نعمة من وجه ،
وان لم تكن نعمة تامة من وجه .

واما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه ، فهو ما أمر الله به ، من
واجب ومستحب ، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين ، وهو
النعمة الحقيقية عند أهل السنة ، اذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل
الخير ، والقدرية عندهم اما أنعم بالقدره عليه الصالحة للضدين .

والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا الا ما كان
مصلحة لذلك المخلوق ، اما واجب ، أو مستحب ، فانه سبحانه لا يطلب
من العبد الا ذلك . فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد
حرم على العبد أن يسأل العبد ماله الا عند الضرورة ، وان كان قصده
مصلحة المأمور ، أو مصلحته ومصلحة المأمور ، فهذا يشاب على
ذلك ، وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور ،
فهذا من نفسه أتى ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط ، بل قد نهى
عنه ، اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته ،
والله يأمرنا أن نعبد ونرغب اليه ، ويأمرنا أن نحسن الى عباده ،
وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا ، فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو
الصلاة ، ولا قصد الاحساس الى الخلق الذي هو الزكاة ، وان كان
العبد لا يأنم بمثل هذا السؤال ، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد ،
وما يؤذن له فيه ، ألا ترى أنه قال في حديث السبعين ألفا الذين
يدخلون الجنة بغير حساب : « أنهم لا يسترقون » وان كان الاسترقاء
جائزا وهذا قد بسطنا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه ، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية ، فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : انها تماثيل الأنبياء والصالحين : وانها وسائل يتقربون بها إلى الله ، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى ، حيث قال : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (١) .

وقال تعالى : « واذا سالك عباده عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » (٢) .

أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمر والنهى ، وليؤمنوا بى ، أى أن أجيب دعاءهم بالمسألة والتضرع . وقال تعالى : « فلما فرقت فانصب . والى ربك فارغب » (٣) .

وقال تعالى : « واذا مسكم الضر فى البحر فسل من تدعون الا آياه » (٤) .

وقال تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض » (٥) .

وقال تعالى : « يسأله من فى السموات والارض ، كل يوم هو فى شأن » (٦) .

وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه ، وحسم مواد الاشارة به حتى لا يخاف أحد أحدا غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل الا عليه .

وقال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » (٧) .

« انما ذلكم الشيطان يخوف أولياه » (٨) .

أى يخوفكم أوليائه « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٩) .

(١) التوبة : ٣١	(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) الشرح : ٧ ، ٨	(٤) الاسراء : ٦٧
(٥) النمل : ٦٢	(٦) الرحمن : ٢٩
(٧) المائدة : ٤٤	(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) آل عمران : ١٧٥	

وقال تعالى : « ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » (١) .

وقال تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله » (٢) .
وقال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (٣) .

فبين أن الطاعة لله ورسوله .

وأما الخشية فله وحده ، وقال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيقطينا الله من فضله ورسوله » (٤) .
ونظيره قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٥) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ، ويحسم عنهم مواد الشرك ، اذ هذا تحقيق قولنا « لا اله الا الله » فان الاله هو الذى تأله القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والاجلال والاکرام ، والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد » وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » . وقال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وقال لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق ، وفلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك الا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضا : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وانما أنا عبد . فقولوا عبد الله ، ورسوله » وقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا

(١) النساء : ٧٧

(٢) النور : ٥٢

(٣) آل عمران : ١٧٣

(٤) التوبة : ١٨

(٥) التوبة : ٥٩

يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبوري عيدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » وقال في مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا •

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سببا لانبثات النبات قال الله تعالى : « وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة » (١) •

وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقصيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ، ويشب عليها المصلين عليه •

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ، بل لابد معه من أسباب أخرى ، ومع هذا فلها موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون الا أن يشاء الله •

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب الا بعلم ، فمن أثبت شيئا سببا بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلا ، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء •

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : « انه لا يأتي بخير ، وانما يستخرج به من البخيل » •

الثالث : ان الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا الا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناه على التوقيف ، فلا يجوز

للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه •

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وإن ظن ذلك ، فإن التسباطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك •

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان ، فلا يحل له ذلك ، إذا المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به . إذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها •

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجملة لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات • • والله أعلم •

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل •

* * *

الرسالة الخامسة :

هدية طيبة

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لوليه ، وانصلاة على نبيه •

«سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى : لا اله الا الله •
فأجاب بقوله : اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين
الكفر والاسلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي
جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، وليس
المراد بقولها باللسان مع الجهل بسعناها ، فان المنافقين يقولونها وهم
نحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ،
ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض
ما خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال :
لا اله الا الله مخلصا » وفي رواية : « خالسا من قلبه » وفي رواية :
« صادقاً من قلبه » • وفي حديث آخر : « من قال : لا اله الا الله •
وكفر بها يعبد من دون الله » • الى غير ذلك من الأحاديث الدالة على
جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة •

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات ، نفي الالهية عما سوى الله
تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلا
عن غيرهم من الأولياء والصالحين •
إذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التي أثبتها الله لنفسه ،
ونفاها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من
خردل •

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر
والولاية •

والاله معناه : الولي الذي فيه السر . وهو الناي يسموه :
الفقير والشيخ ، ونسميه العامة : السيد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم
يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجئ
اليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم . ويجعلهم واسطة بينه وبين الله .
فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط . هم الذين يسميهم
الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الاله . فقول الرجل : لا اله الا الله ،
ابطال للوسائط . وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :
الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرين
لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيى ،
ولا يميت ، ولا يدبر الأمور الا الله وحده ، كما قال تعالى :
« قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والأبصار ومن يخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر » فسيقولون
الله (١) (١) ١٠١

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهى أن تعرف أن الكفار شاهدون
بهذا كله ، ومقرون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، ولم
يحرم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضا يتصدقون ، ويحجون ،
ويتعمرون ، ويتعبدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله
عز وجل .

ولكن الأمر اننا نرى : هو الذى كفرهم ، وأحل دماءهم وأموالهم ،
وهو أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى
الا الله وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ،
ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فمن استغاث بغيره
فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ،
وأشباه ذلك .

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ، وعزير ،

وغيرهم من الأولياء . فكفروا بهذا ، مع اقرارهم بأن الله هو الخالق ،
الرازق ، المدبر .

إذا عرفت هذا . عرفت معنى « لا اله الا الله » وعرفت أن من
نجا^(١) نبيا . أو ملكا . أو نذبه ، أو استغاث به . فقد خرج من الاسلام ،
وهذا هو الكفر الذى ذاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فإن قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق ،
الرازق ، المدبر ، ولكن هؤلاء الصالحين مقربون ، ونحن ندعوهم
وتنذر لهم ، وتدخل عليهم ، وتستغيث بهم ، وتريد بذلك الوجاهة
والشفاعة ، والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق المدبر .

فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى
وعزيرا ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى :
« والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى » (٢) .

وقال : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٣) .

فاذا تأملت هذا تأملا جيدا ، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد
الربوبية ، وهو تفرده بخلق والرزق والتدبير ، وهم ينحون عيسى ،
والملائكة . والأولياء ، يقصدونهم لأنهم يقربونهم الى الله ،
ويشفعون عنده .

وعرفت أن من اكفار خصوصا النصارى ، منهم من يعبد الله
الليل والنهار ، ويذهب في الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزلا
في صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو لله ، مغلل في النار بسبب
اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوهم ، أو يذبح له ، أو ينذر
له ، تبين لك كيف سفة الاسلام الذى دعا اليه نبيك صلى الله عليه
وسلم ، وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل ، وتبين لك معنى
قوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وهى يعود غريبا
كما بدأ » .

(١) هكذا في الاسل . ولعله يقصد (نجا) ، وحا النىء : قصده .

(٢) الزمير : ٣

(٣) يونس : ١٨

فأثبته الله يا اخواني : تسسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ،
وأسمه ورأسه ، شهادة أن لا اله الا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها
وأحبوا أهلها ، واجماوهم اخوانكم . ولو كانوا بعيدين ، واكفروا
بالطواغيت وعادوهم . رأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ،
أو قال : ما على منهم ، أو قال : ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا
على الله واخترى ، فقد كذبه الله بهم . وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة
منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم .

فأثبته الله ، تسسكروا لعالمكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ،
اللهم توفنا مسلمين . وأحققنا بالصالحين .
ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين
من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

قال الله تعالى : « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
فلما نجاكم الى البر اعرضتم ، وكان الانسان كفورا » (١) .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر
تركوا السادة والمشايخ ، ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا لله وحده
لا شريك له ، واستغاثوا به وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى الله من
أهل العلم ، وفيه زهد ، واجتهاد ، وعبادة . اذا مسه الضر قام يستغيث
بغير الله ، مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني ، وأجل من هؤلاء ،
مثل زيد بن الخطاب والزيير ، وأجل من هؤلاء ، مثل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فأثبته المستعان ، وأعظم من ذلك وآثم أنهم يستغيثون
بالطواغيت ، والكفرة والمردة ، مثل شمسان ، وادريس ويونس وأمثالهم ،
والله سبحانه أعلم .

الحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على خير خلقه محمدا وآله
أجمعين .

الرسالة السادسة :

أوثق عرى الايمان

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين •

اعلم أولا ، يدك الله بتوقيفه ، أن أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله ، وهذا وجهه في أهل بلد مرتدين ، أو بادية^(١) ، وهم بنو عم ، ويجيء نهم ذكر عند الأمراء ، فيتسبب بالدفع عنهم حميه دنيوية ، اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم . هل يكون هذا موالاة نفاق ؟ أو يصير كفرا ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أو تلتفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ، وكذلك اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟ افتنا مأجورا •

فأقول : أولا : ان الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، ولا يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بالجهاد ، والاغلاظ عليهم باتقوله والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل ، كقوله : « ملعونين أين ما ثقفوا اخلوا وقتلوا تقتيلا » (٢) •

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر ان من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعى رجل محبة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله ؟ كما قيل :
تحب عدوى ثم ترعهم أنتى صدقتك ان الود عنك لعازب
وبالجملة : فاحذر مني الله ، والبغض في الله أسهل عظيم من أصول

(١) يريد الاعراب المنافقون . (٢) الاحزاب : ٦١ .

الايان ، يجب على انعيد مراعاته ولهذا جاء فى الحديث : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » •
ولذلك اكثر الله من ذكره فى القرآن ، قال تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ، الا أن تتقوا منهم تقاة » (١) •
قال بعض المفسرين : نهوا أن يولوا الكافرين ، كقرابة بينهم ، أو صداقة قبل الاسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التى يتصادق بها ويتعاشرون •

وقوله : « من دون المؤمنين » يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار ، فلا تؤثرهم عليهم ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ، أى ومن يتولى الكفرة ، فليس من ولاية الله فى شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعنى ، أنه منسلخ من ولاية الله رأسا • وهذا أمر معقول ، فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان •
« الا ان تتقوا منهم تقاة » •

فرخص فى موالاتهم اذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم الا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون اظهار العداوة لهم ، فحينئذ تجوز المعاشرة الظاهرة وانقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ينظر زوال المانع ، كما قال تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » (٢) •
قال ابن عباس : نيس التقية بالعمل ، انما التقية باللسان ، وقال أيضا : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، الا أن يكون انكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم فى الدين وذلك قوله : « الا أن تتقوا منهم تقاة » ذكره ابن جرير وابن أبى حاتم •

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا بطانة من دونكم » (٣)
الآية • قال القرطبي : لا تجعلوا خاصتكم وبناتكم منهم •
وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

(٢) النحل : ١٠٦

(١) آل عمران : ٢٨

(٣) آل عمران : ١١٨

أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم (١) .
الى آخر قوله : « فان حزب الله هم الغالبون » (٢) .

قال حذيفة : لـحق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ،
لهذه الآية : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » (٣) .

قال مجاهد في قوله تعالى : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم » (٤) .

قال : المنافقون في مصانعة اليهود ، ومداخلتهم واسترضاعهم
أولادهم إياهم .

وقال على رضى الله عنه في قوله تعالى : « اذلة على المؤمنين » (٥)
قال : أهل رقة على أهل دينهم « أعزة على الكافرين » وقال : أهل غلظة
على من خالفهم في دينهم . وكذا تقل معناه عن غير واحد من السلف .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتبعوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » (٦) .
وقال تعالى : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبس
ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون » (٧)
والآية بعدها .

وقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وماواهم جهنم وبئس المصير » (٨) .

فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ،
وأمر بالاغلاظ عليهم قولا وفعلا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما
في الآية : « جاهد الكفار » بالسيف « والمنافقين » باللسان
« واغلظ عليهم » قال : ذهب الرفق عنهم . وقال ابن مسعود رضى
الله عنه : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : بيده ، فان لم يستطع
فباسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر ، أى عابس متغير

(٢) المائة : ٥٦
(٤) المائة : ٥٢
(٦) المائة : ٥٧
(٨) التوبة : ٧٣

(١) المائة : ٥١
(٣) المائة : ٥١
(٥) المائة : ٥٤
(٧) المائة : ٨٠

من الغيظ والبغض • كره ابن أبي حاتم ، وجاء — معناه في حديث — مرفوع ، رواه البيهقي في « الشعب » •

وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم » (١) . الآية . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبة ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ، فضلا عن غيرهم •

وقال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (٢) • قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا • وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم • ومعنى تصطنعوهم : أى تولوهم الأعمال ، كمن يولى الفساق والفجار •

وقال الثورى : ومن لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلما ، أو ناولهم قرطاسا دخل فى هذا • قال بعض المفسرين : النهى فى الآية متناول للانحطاط فى هواهم ، والاتقطاع اليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومدامنتهم • والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزى بزيهم ، ومد العين الى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله : « ولا تركنوا » والركون : هو الميل اليسير •

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالوادة » الى قوله : « فأولئك هم الظالمون » (٣) •

وضح أن صدر هذه السورة نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة ، لما كتب الى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم • وجاء فى تفسير قوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » (٤) الآية : أنها فى أبى عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر ، كما رواه الطبرانى ، وابن أبى حاتم ، والحاكم وغيرهم •

وعن ابن جريج ، قال . حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة بمقط ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أفلت يا أبا بكر ؟ » فقال : والله لو كان السيف

(٢) هود : ١١٣

(٤) المجادلة : ٢٢

(١) المجادلة : ٢٢

(٣) المتحنة : ١ - ٩

فربما منى لضربته ، فنزلت : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » (١) .

رواه ابن المنذر ، وهذا والله أعلم في أول الاسلام ، فان أبا قحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجرا من مكة ، ولم بعد إليها الا بعد الاسلام في عمره مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فانما تناله ولاية الله بذلك . رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله الى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك الى فتعززت به ، فما عدت فيما لى عليك ؟ قال : يا رب .. وما لك على ؟ قال : هل واليت لى وليا . أو عاديت لى عدوا ؟ »

وقال تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (٢) .

فعقد تعالى الميراث بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبيير شيء عظيم ، وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر الا بالحب في الله ، والبغض في الله ، والمعاداة في الله والموالاتة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقا بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث مروى أحمد عن البراء بن عازب : « أوثق عرى الإيمان . الحب في الله والبغض في الله » . وفي حديث مرفوع : « اللهم لا تجعل للفاجر عذرى يدا ولا نعمة ، فيودعه قلبى ، فانى وجدت فيسا

أوحى الى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبي ذر مرفوعا : « أفضل الأعمال الحب في الله ، والبغض في الله » رواه أبو داود ، ورواه أحمد مطولا . وفي الصحيحين . عن ابن مسعود مرفوعا : « المرء مع من أحب » . وعن ابن مسعود مرفوعا : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن علي مرفوعا : « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » رواه الطبراني بإسناد جيد قال ابن المنذر ، وقد روى أحمد معناه : عن عائشة بإسناد جيد أيضا عنها مرفوعا : « الشرك أخفى من ديب الذر على الصفاي انليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض على شيء من العدل . وهل الدين الا الحب في الله ، والبغض في الله » ؟ قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (١) الآية ، رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : الحب على شيء من الجور وان قل ، والبغض على شيء من العدل وان قل من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعا : « لا تقولوا للمنافق سيد ، فانه ان يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل » رواه أبو داود ، والنسائي بإسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : « اذا قال الرجل للمنافق : يا سبدي فقد أغضب ربه عز وجل » وقال : صحيح الإسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعر تردى في بئر ، فهو ينزع بذنبه » رواه أبو داود ، وابن حبان . قال ابن المنذر : ومعنى الحديث : أنه وقع في الاثم ، وهلك البعر اذا تردى في بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث في ذلك كثيرة .

فصل في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة ، فنذكر منها بعضها :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دوتكم »
الى قوله : « ان الله عليهم بذات الصدور » (١) . والآية بعدها

قال ابن عباس في الآية : رجال من المسلمين يواصلون رجلا من
اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فأنزله الله
فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم : « يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة من دوتكم لا يالوتكم خيالا » قال : هم المنافقون
رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قيل له : ان هاهنا غلاما
من أهل الحيرة ، حافظا . كاتبنا فاو اتخذته كاتبنا ؟ قال : قد اتخذت
اذن بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبي شيبة .

وعن الربيع . « لا تتخذوا بطانة » قال : لا تستدخلوا المنافقين
تنولونهم دون المؤمنين . وفي « تفسير القرطبي » في الكلام على هذه
الآية : نهى الله سبحانه رتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين
واليهود وأهل الأهواء دخلا ووليجا يفاوضونهم في الآراء ، ويسندون
اليهم أمورهم ويقال : كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي
أن تتخذه . قال :

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .
وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « اعتبروا الناس
بأخداهم » . ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصللة .
قال : وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنه بحساب
فدفعه الى عمر فأعجبه ، فقال لأبي موسى : أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب

فى النفس ؟ فقال : الله لا يدخل المسجد • فقال : لم ؟ أجنب هو ؟
قال : انه نصرانى - قال : فانتهره - وقال : لا تدفهم وقد أقصاهم
الله ، ولا تكرههم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنهم وقد خونهم الله •
ومن كتاب الامام محمد بن وضاح ، قال : سئل (١) قال جاء فى
الأثر : « من جالس صاحب بدعة فقد مشى فى هدم الاسلام » وقال
الأوزاعى : كانت اسلامكم تشهد عليهم - أى على أهل البدع -
السننهم ، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم •
وقال الحسن . لا تجالس صاحب بدعة ، فانه يمرض قلبك • وقال
ابراهيم : لا تبالسوا أهل البدع ولا تكلموهم ، فانى أخاف أن ترند
قلوبكم • روى هذه الآثار ابن وضاح •
قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : اعلم رحمك
الله أن كلام السلف، فى معاداة أهل البدع والضلالة • انتهى •
فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم فى معاداة أهل الضلالات ،
وفيههم عن مجالسهم - فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين ، وجفافة الأعراب
الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والسعى فى مصالحهم ، والذب عنهم ،
وتحسين حالهم ، مع كونهم بين اثنتين : اما كافر أو منافق ، ومن بينهم
بمعرفة الاسلام منهم قليل ، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم ، وهو معهم
يحشر يوم القيامة . قال تعالى : « احشروا الذين ظلموا وازواجهم » (٢)
الآية . وقال تعالى : « واذا النفوس زوجت » (٣) •
وقد تقدم الحديث : « لا يجب رجل قوما الا حشر معهم » •

فصل

فى التنبيه على حاصل ما تقدم

قد فنى الله سبحانه عن موالاة الكفار ، وشدد فى ذلك ، وأخبر
أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : أن من أحب قوما حشر
معهم •

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل سائلا سأل عن صاحب البدعة .

(٢) التكوين : ٧

(٣) الصافات : ٢٢

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل فى تلك الآيات وتعرض للوعيد بميس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه •

أحدها : التولى العام • الثانى : المودة والمحبة الخاصة • والثالث : الركون القليل • قال تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا • اذن لأذقنالك ضعف الهيئة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (١) •

فاذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مدامنتهم ومداراتهم • قال الله تعالى : « ودوا لو تدمن فيدهنون » (٢) •

الخامس : ذنهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » (٣) • وقال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين » (٤) الآيات •

السادس : تقربهم فى الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام • السابع : مشاورتهم فى الأمور •

الثامن : استعماهم فى أمر من أمور المسلمين ، أى أمر كان : امارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك •

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين •

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم •

الحادى عشر : البشاشة لهم والطلاقة •

الثانى عشر : الاكرام العام •

الثالث عشر : استئمانهم وقد خونهم الله •

(١) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥

(٢) القلم : ٩

(٣) الكهف : ٢٨

(٤) القلم : ١٠

- الرابع عشر : معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل ، كبرى القلم ،
• وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم •
الخامس عشر : مناصحتهم •
السادس عشر : اتباع أهوائهم •
السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم •
الثامن عشر : الرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزىي بزيهم •
التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكام ،
كما يقال للطاغوت : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعى علم الطب : الحكيم ،
ونحو ذلك •

العشرون : السكنى معهم في ديارهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم :
« من جامع المشركين وسكن معهم ، فانه مثلهم » رواه أبو داود •
إذا تبين هذا ، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائهم
منهم ، أو مع غيرهم ، كما في آية المجادلة ، وحينئذ فالذى يتسبب بالدفع
عنهم حمية اما بطرح تدال ، أو دفن تقائص المسلمين ، أو يشير بكف
المسلمين عنهم ، من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين
وغيرهم ، خصوصا المرتدين ، ينبغي أن تكون الغلظة عليهم أشد من
الكافر الأصلي ، لأن هذا عادى الله على بصيرة ، وعادى رسوله صلى
الله عليه وسلم بعد ما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله ، فإذا
كان من أعان ظالما ، فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار
والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟ ! وإذا كان من أعان ظالما مسلما في
خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكا للظالم ، فكيف بمن يعين الكفار ،
ويذب عنهم عند الأمراء ؟ !

وإذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس • إذا بذلوا للأمر
مالا على أن يكف عنهم • فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسر الى الكفار
المودة ؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وغيره ، لكن طرح النكال
إن كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعى في إسقاطه بالرأى

• ونحوه حسن • وإن كان عن مرتد ، فلا نعماء لعثرته ولا كرامة • ويكنفى
• فى ذلك ما رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ،
والحاكم وصححه • عن ابن مسعود ، قال : لما كان يوم بدر جئ
بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما تأمرون فى هؤلاء الأسرى » ؟ فقال أبو بكر : قومك يا رسول الله
وأهلك ، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم - وفى حديث أنس ، عن أحمد :
تبرى أن تغفو عنهم ، وتقبل منهم الفداء رجح الحديث الى ابن مسعود ،
فقال عمر : يا رسول الله •• كذبوك ، وأخرجوك ، وقتلوك ، قدمهم
فاضرب أعناقهم • فدخل النبی صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم
شيئا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر مثلك
مثل إبراهيم عليه السلام ، قال : « فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى
فانك غفور رحيم » (١) •

ومثلك يا عمر كمثلك نوح قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا » (٢) •

أنتم عالة ، فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو بضرب عنق
فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يشحن فى الأرض » (٣) •
الآيتين مختصرا •

وفى حديث أنس : فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق » (٤) الآية •
وفى حديث ابن عمر ، عن أبى نعيم : خلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمر فقال : « كاد أن يصيبنا فى خلافك شر » وفى رواية
عنه عند ابن المنذر وابن مردويه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب
ما فلت الا عمر » •

فاذا كان هذا فى رأى للصدیق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ،
ونصح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حمية
دنيوية لا لغرض دين ، ولا يقصد وجه الله بذلك ، بل لا يقصد الا الدنيا ؟
لحاف قيل : فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه ،

(٢) نوح : ٢٦
(٤) الأنفال : ٦٨

(١) ابراهيم : ٣٦
(٣) الأنفال : ١٧

بل شبهه بإبراهيم وعيسى، ومبكائيل عليهم السلام ، وشبهه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة ، لا في خصوص هذه المسألة ، فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله ، ومع ذلك توعد الله في أخذ القداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويفرق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير بإسقاط النكال عنهم . من غير مسوغ شرعى ، بل مجرد المحبة الدنيوية . وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول فى الاسلام أو دخولوا فيه ، أو واعدته بالدخول فيه عن قريب ، وكان المصلحة فى تركهم قليلة ونحوه ، يجوز ذلك ، وإن كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشئ لا بقتال ولا نكال واغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بعد انديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب وراميه (بنى سلم) من بالعراق لقد أبعدت مرماك
وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم أن كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطئ آثم ؛ لأننا يجب على المرتد ضمان ما أتلّفه للمسلمين فى حال الردة ، خصوصاً من تكرر منه الردة مراراً ، فانه لا يقصد بذلك فى هذا الزمان إلا الاغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الاثم والعدوان ؛ ولهذا لما صار هذا الأمر سائفاً عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة فى بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد فى كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاته تفاق ، أم يكون كفراً ؟
فالجواب : أن كانت الموالاتة مع مساكنتهم فى ديارهم ، والخروج معهم فى قتالهم . ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قال تعالى : « ومن يتولهم منهم فانه منهم » (١) .

وقال تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر

بها ويستعزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذن مثلهم» (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال : « أنا براء من مسلم بين أظهر المشركين » رواهما أبوداود .

وان كانت الموالاة لهم في ديار الاسلام اذا قدموا اليهم ونحو ذلك ، فهذا عاص . آثم ، متعرض للوعيد ، وان كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله . وان كانت الموالاة لأجل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن أحب قوما حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله : حمية دنيوية ، يمكن هذا لا بلاغ المحبة في قلوبهم . والا فلو كان يبغضهم في الله وما يعاديهم ، لكان أقر شيء لعينه ما يسخطهم ، ولكن كما قال ابن القيم :

تحب أعداء الحبيب ، وتدعى حبا له ، ما ذاك في امكان وأما قول السائل : فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟

فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكا في كفرهم ، أو جاهلا به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ، ولكن بقدر على مواجهتهم وتفكيرهم . أو يقول : أقول : غيرهم كفار ، لا أقول : انهم كفار . فان كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ، فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر بأجماع العلماء ، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر .

وان كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ، ويدخل في قوله تعالى : « ودوا أو تدهن فيبهنون » (٢) وله حكم أمثاله من أحسن الذنوب .

وان كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقول هم كفار ، فهذا

يحكم منه بإسلامهم ، اذ لا واسطة بين الكفر والاسلام ، فان لم يكونوا كفارا فهم مسلمون ، وحينئذ فمن سمي الكفر اسلاما • أو سمي الكفار مسلمين فهو كافر ، فيكون هذا كافرا •

وأما قوله : اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟

فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه الى الله سبحانه ، وتعرفه قبيح ما ارتكبه ، فان تاب فهذا هو المطلوب ، وان أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه ، ان كاذ ، كفرا فكافر ، وان كان معصية أو اثما فعاص آثم ، يجب الانكار عليه • وتأديبه وهجره وابعاده حتى يتوب ، وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم ، فكيف بمن يوالى الكفار ، ويظهر لهم المودة ؟ ! وهذا ما قلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ، ابن الشيخ رحمه الله وعفا عنه •

* * *

الرسالة السابعة :

هذا سؤال أورده الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء ، فأجاب الشيخ العالِم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابي بطين هذا الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم — دام فضلكم — فى تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهى ؟ وما معنى الاله ؟ وما معنى الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب : انحمد لله رب العالمين •• أما العبادة فى اللغة فهى من الذل : يقال بعير معبد : أى مذلل ، وطريق معبد : اذا كان مذلا ، وقد وطلتته الأقدام ، وكذلك الدين أيضا من الذل • يقال : دنته فدان : أى أذلتته فذل •

وأما تعريفها فى الشرع • فقد اختلفت عباراتهم فى تعريفها والمعنى واحد ، فعرفها طائفة بقولهم : هى ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى • وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع • وقال أبو العباس رحمه الله تعالى : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأتوان الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصديق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان الى الجار ، واليتيم ، والمساكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والافتابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، واخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله دخل فى العبادة • انتهى •

ومن عرفها بانحجب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والافتقار له ، فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه . فبحسب محبة العبد لربه وذلك له تكون طاعته .
فمحبة العبد لربه ، وذلك له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس العبادة غير توحيد لمحبة . مع خضوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض مالا يرتضى بجنائ
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذى الاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ، فمن أحب شيئاً وخضع له . فقد تعبد قلبه له ، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر ، فمن خضع لإنسان مع بغضه له ، لم يكن عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له : لم يكن عابداً له ، كما يجب ولده وصديقه ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شئ . وأن يكون أعظم عنده من كل شئ ، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه . اذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها ، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً ، لبس أحدهما دون الآخر ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وأبى عن الاقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هى ، فهى أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً ، فكل موحد عابد لله ، وليس كل من عبد الله يكون موحداً .
ولهذا يقال عن المشرك : أنه يعبد الله ، مع كونه مشركاً . كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم : « افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم وآبائكم الاقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين » (١) .

وقال عليه السلام : « اننى براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانه مسيئهم » (١) .

فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه ، فان قيل : ما معنى النفى فى قوله سبحانه : « ولا انتم عابدون ما أعبد » (٢) .

قيل : انما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد .

وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف فى « بدائع الفوائد » فقال لما انجز كلامه على سورة « قل يا أيها الكافرون » :

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفى فى حقهم الا باسم الفاعل ، وفى جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ، وذلك — والله أعلم — لحكمة بديعة ، وهى أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفى كل وقت ، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى فى هذا النفى بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت ، فأفاد فى النفى الأول أن هذا لا يقع منى ، وأفاد فى الثانى أن هذا ليس وصفى ولا شأنى ، فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلاً لى ولا وصفاً ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفى . وأما فى حقهم فأنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أى الوصف الثابت الملازم للعباد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم ، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة ، لم يشرك معه فيها أحداً ، وأنتم لما عبدتم غيره فليست من عابديه . وان عبدوه فى بعض الأحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : « وإذا اعتزلتموه وما يعبدون الا الله » (٣) أى اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه . وكذا قول المشركين عن معبوديهم : « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٤) .

فهم كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، لم ينف عنهم الفعل

(٢) الكافرون : ٣ ، ٥

(٤) الزمر : ٣

(١) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٣) الكهف : ١٦

لوقوعه منهم ، وثقى الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها .

فتأمل هذه انكته البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بالله عابد لله وان عبده ولا المستقيم على عبادته الا من انقطع اليه بكليته ، وتبتل اليه تبتيلا ، ولم يلتفت الى غيره . ولم يشرك به أحدا في عبادته ، وأنه ان عبده وأشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له .

وهذا من اسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحد سورتي الاخلاص التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه الا من منحه الله فهما من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وأما الاخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وارادته ونيته ، وهذه هي انخيفية ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام : « ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (١) .

وهي ملة ابراهيم التي رغب عنها فهو من أسفه السفهاء : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » (٢) .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .

ولهذا كان السالك الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ، ويرون الاخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، ويعمل الأعمال وآفاتهما ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، واسا بهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة نه .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئا أشد على من نيتي لأنها .
تقلب على •

وقال يوسف بن أسباط : تخلص النية من فسادها أشد على
العاملين من طول الاجتهاد •

وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شيء أشق من الاخلاص
لأنه ليس لها فيه نصيب •

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الاخلاص ، وكم
أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر فيجب
على من نصيح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من
الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ، لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى » •

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهي
أو مطلق ؟ فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة .
عموما مطلقا ، وأن العبادة المطلوبة شرعا هي نفس توحيد العبادة ،
ودل كلام ابن القيم - رحمه الله - أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص .
حيث قال :

فأواحد كن واحدا في واحد	أعنى سبيل الحق والايمن
هذا وثاني نوعي التوحيد تو	حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدا ولا	تعبد بغير شريعة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان وا!	احسان في سر وفي اعلان
والصدق والاخلاص ركننا ذلك	التوحيد كالركنين للبيان

الى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المراد فلا يزاحمه مراد ثاني
والصدق توحيد الارادة هو بذل الجهد لا كسلا ولا متواني
والسنة المثلى لسانكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان
فقوله رحمه الله : والصدق والاخلاص ركننا ذلك التوحيد ، جعل
الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر
الصدق بما ذكر وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص •

فعرفنا — رحمه الله — أن توحيد العبادة أهم من الاخلاص ، ولم يذكر
الا عموما مطلقا •

وأما العموم الوحي ، فالظاهر أن المراد به اذا كان أحد الشيتين
أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذى بين مطلق العبادة
وبين توحيد العبادة ، والاخلاص مطلقا لا وجهى • وأما الاله فهو
الذى تأله القلوب بالحب ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع
ذلك من الرغبة والرغبة • والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ،
والنذر ، والسجود ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو اله
بمعنى مآلوه ، أى معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله •

قال الجوهري : أنه — بالفتح — الاله ، أى عبد عبادة : قال :
ومنه قولنا : الله • وأصله اله على فعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مآلوه
بمعنى معبود ، كقولنا : أمام ، فعال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به
قال : والتأليه : التعبد • والتأله : التنسك والتعبد • قال رؤبة : سجن
واسرجعن من تأله • انتهى •

وقال فى انفساموس : أله الالهة وألوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ
الجلالة • واختلاف فيه على عشرين قولاً ، يعنى فى لفظ الجلالة قال :
وأصله الاله بمعنى مآلوه وكل ما اتخذ معبودا اله عند متخذه • قال
والتأله : التنسك والتعبد • انتهى •

وجميع العلماء من المفسرين وشرح الحديث والفقه وغيرهم
يفسرون الاله بأنه المعبود • وانما غلط فى ذلك بعض أئمة المتكلمين ،
فظن أن الاله هو القادر على الاختراع ، وهذه عظمة وغلط فاحش ،
اذا تصوره العاقل تبين له بطلانه ، وكأنه هذا القائل لم يستحضر
ما حكاه الله عن المشركين فى مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركى
العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك
مشركون • ومن أبعد الأشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر
بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، هذا ما لا يفعله من له
أدنى مسكة من عقل •

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالاله هو القادر

على اختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله ، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد . كما قال : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (١) .

وقال تعالى : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول سيقولون الله ، قل أفلا تذكرون » (٢) الآيات .

وقد تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٣) . قال ابن عباس : تسألهم من خالق السموات والأرض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ! وهذا التوحيد من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجردة عن الأشرار الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد إلا إياه ، فيكون دينه لله . والآله هو المألوه الذي تأله القلوب ، فهو اله بمعنى مألوه لا بمعنى اله . انتهى .

وقد دل صريح القرآن على معنى الآله ، وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى : « وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه » (٤) . قال المفسرون : هي كلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » باقية في عقبه ، أي ذريته .

قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده . والمعنى جعل هذه المولاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية إبراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة « لا إله إلا الله » .

فتبين أن مولاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هو معنى لا إله إلا الله .

(٢) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥
(٤) الزخرف : ٢٦ - ٢٨
(٩ - مجموعة التوحيد)

(١) لقمان : ٢٥
(٣) يوسف : ١٠٦

اذ تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها ، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذها الها ، وأشركه مع الله فى خالص حقه ، وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركا . ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها ، فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك . ومن المعلوم أن الشرك انما حرم لقبه فى نفسه ، وكونه متضمنا مسبة الرب . وتنقصه ، وتشبيهه بالخلقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه ، كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين ، وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزانى زان شاء أم أبى ، والمرايى مراب شاء أم أبى . وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائرا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبنى آدم قديما وحديثا ، أخرج لهم الشرك فى قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغير اسمه بتسميته إياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك . والله الهادى الى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت : فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ، ثم قلبت الواو ألفا . قال النحويون : وزنه فعالت ، والتاء زائدة . قال الواحدى : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحدا وجمعا ، وبذكر ويؤنث ، قال تعالى : « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » (١) فهذا فى الواحد . وقال تعالى فى الجمع : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات » (٢) . وقال فى المؤنث : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » (٣) .

(٢) البقرة : ٢٥٧

(١) النساء : ٦٠

(٣) الزمر : ١٧ .

قال : ومثله فى أسماء الفلك ، يكون واحدا وجبعا ، ومذكرا ومؤنثا .
قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجهاير أهل اللغة : الطاغوت : كل
ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن والشيطان
وكل رأس فى الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف :
كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس
رضى الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوى جدا ، فانه يشمل كل ما عليه أهل
الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والابتنصار بها . وقال
الواحدى عند قول الله تعالى : « **يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاغُوتِ** » (١) .
كل معبود من دون الله فهو جبت وطلاغوت .

قال ابن عباس فى رواية تطليقة : الجبت : الأصنام ، والطاغوت
ترجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يعبرون عنها الكذب
ليضلوا الناس . وقال فى رواية الوالبى : الجبت : الكاهن ، والطاغوت :
الساحر . وقال بعض السلف فى قوله سبحانه : « **يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا
إِلَى الطَّاغُوتِ** » (٢) .

أنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حى بن أخطب ، وانما
استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولا فراطهما فى الطغيان ،
واغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما فى معصية الله ، فكل من كان
بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى « **يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** » .
لما ذكر ما قيل : انها نزلت فى طلب التحاكم الى كعب بن الأشرف ،
أو الى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها
دائمة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم الى ما سواهما من الباطل ،
وهو المراد بالطاغوت هاهنا ، فتحصل من مجموع كلامهم — رحمهم الله —
أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس فى الضلال
يدعو الى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم

بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضا الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان الى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة ، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من قصده ، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه • وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر • • والله سبحانه وتعالى أعلم •

وهذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين ، شكر الله سعيه •

* * *

الرسالة الثامنة :

هذه رسالة
أسباب نجات السؤل من السيف السلؤل

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم علماء المسلمين فى رجل يقول : نحن نقول لا اله الا الله
ولا تكفون عنا ، والكفار الأولون اذا قالوها كف عنهم ؟ وأقم تقولون :
انكم تقولونها وتشركون ، فما تقول حتى تكفوا عنا ؟ أفتونا مأجورين •
المسألة الثانية : هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من
المذاهب الأربعة أم لا ؟ وما يجب عليه فى ذلك ؟ يئسوا لنا الجواب
رحمكم الله •

الحمد لله الذى جبل عباده على طبائع شتى ، فمنهم شاكر ، ومنهم
كفور ، وجعلهم فريقين : فريق منهم يتقربون اليه بالذبح لغير الله ،
والنذر للطواغيت ، وبالدف والطبل والزمور ، وفريق منهم يتقربون
اليه بتوحيده ، واقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصوم ، وبالحج
المبرور ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مخلص
فى توحيده غير شاك ولا كفور وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى
أحيا به الأمة الحنيفة حتى أضاء الحق ، وتمزق الديجور ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ، صلاة دائمة الى يوم
البعث والنشور ، وسلم تسليما •

أما بعد •• فالجواب عن المسألة الأولى وهى قول السائل :
ما تقولون فى « لا اله الا الله » ؟ فنقول : « لا اله الا الله » هى كلمة
الاسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة
الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسموات ، وفطر الله عليها جميع
المخلوقات ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهى محض حق الله على
العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان ، وتميزت دار النعيم من
دار الشقاء والهوان ، وهى العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر

كلامه « لا اله الا الله » دخل الجنة ، وهى الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهى المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد الا به ، والحبل الذى لا يصل الى الله الا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس الى شقى وسعيد . ومقبول وطريد ، فهى وان كانت كلمة قيدت بالقيود الثقالة .

فاذا كان امام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا اله الا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاتة وهو امام المحبين الا بالمعاداة ، كما قال تعالى : « افرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم واباؤكم الاقدمون . فانهم عبدو لى الا رب العالمين » (١) . فانه لا ولى الا ييرا ، ولا ولاء لله الا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا اله الا الله ، كما قال تعالى : « واذا قال ابراهيم لابييه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه » (٢) فتأورثها امام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعا اليها ، أمره الله أن يبين هذين الركنين ، كما ذكر الله ذلك فى سورة « الاخلاص » أمره أن يقول : « قل يا ايها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون » . الى قوله : « لكم دينكم ولى دين » (٣) .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم الى قول : لا اله الا الله ، قالوا : « اجعل الالهة الها واحدا ، ان هذا لشيء عجاب » (٤) .

وكذلك ما جرى له صلى الله عليه وسلم مع عمه عند وفاته لما قال له : « يا عم . قل : لا اله الا الله » وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ عرفوا معناها ان فيها التولى والتبرع .

وكذلك صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يدعو أهل الكتاب اليها . يقولونها . قال تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الزخرف : ٢٦ — ٢٨
(٣) الكافرون : ١١ — ٦ (٤) سورة ص : ٥

بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (١) الآية .

وفى « صحيح مسلم » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » . فتبين بذلك خطأ المغرورين ، وبطلان حجة المبطلين . فإن لا إله إلا الله معناها كما تقدم النفي والاثبات ، وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لا بد مع ذلك من البغض والاعتزال للداعي والمدعو ، والعابد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر الله ذلك . قال تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٢) .

وكذلك ما جرى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة ، وما جرى لسعد مع أمه رضى الله عنه . وكما ذكر الله ذلك أيضا عن الخليل عليه السلام مخبرا ، قال تعالى : « واعتزلكم وما تدعون من دون الله » (٣) الآية . وقال تعالى مخبرا عن أهل الكهف : « وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله » (٤) . فذكر الله عنهم في هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين : واعتزلوهم قبل المعبودين ، فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان إذا كان علماءهم لا يعرفون معناها كما عرف جهال الكفار ؟ ولا يعملون بمقتضاها وهي كلمة عليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، ونبه الله على فضلها ، وعظم شأنها أنبيأؤه ورسله .

قال تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » (٥) .

أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك في الحديث المشهور عنه صلى الله

(٢) المتحنة : ٤

(٤) الكهف : ١٦

(١) آل عمران : ٦٤

(٣) مريم : ٤٨

(٥) محمد : ١٩

عليه وسام : « أن موسى قال : يا رب .. علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به ؟ قال : يا موسى .. قال : لا اله الا الله . قال يا رب .. كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى . والأرضين السبع فى كفة ، والا اله الا الله فى كفة ، لماالت بهن لا اله الا الله » .

فليتأمل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها فى المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها فى المنتهى ، فاذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة فى البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها فى النهاية مع سيد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فما الظن بغيرهما ؟ والآيات والأخبار فى ذلك كثيرة معلومة ، وانما ذكرنا اشارة على ما قيدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح فى ذلك ، ولكن ما تسمعه هذه الأوراق ومعناها الجامع : « لا اله » ، أى لا معبود فى الوجود بحق الا الله ، ولاجل هذا المعنى قال تعالى : « **الر ، كتاب احكمت آياته . ثم فصلت من لدن حكيم خبير . الا تعبدوا الا الله** » (١) . فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتاباً محكماً ، مفصلاً ، ألا يعبدوا الا هو . وقوله : « **ان لا تعبدوا** » (٢) .

من : ارادة من أجل ألا تعبدوا الا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضاً هو معنى لا اله الا الله .
وأما الاله فأصله فى اللغة من الوله . يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل اذا اشتد حبه الى أمه ، فقلبت الواو همزة ، فالاله من تأله القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والافابة والذبح والنذر والرغبة والرغبة والخشية والتوبة ، فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف الا به .

وسر « لا اله الا الله » افراد الله بذلك كله وتوابعه ، والاله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشيء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرك فهو اله ، كما فى حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى حنين — ونحن حسدنا عهد بكنفس — وللمتريكين .
سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط
فمررنا بسدرة أخرى ، فقلنا : يا رسول الله . . اجعل لنا ذات أنواط
كما لهم ذات أنواط ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر — ثلاثا —
انها السنن قلت — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى :
« اجعل لنا الها كما لهم آلهة » (١) قال : « لتركبن سنن من كان قبلكم »
رواه الترمذى وصححه .

ومن لوازم الآله ألا يلجأ الا اليه ، ولا يطاع الا أمره ، فهذا
هو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبه ،
انقائم بها قولاً وفعلاً . قال تعالى : « والذين هم بشهاداتهم قائمون » (٢)
فلم يكن قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه ، وفي قلبه وقالبه ، الا من
كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما
ان حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أنفع للعبد من اقباله على الله ،
واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبه وإشاره لمرضاته . ويتفاوت
في ذلك الخلق تفاوتاً عظيماً ، حتى ان منهم من يدخل الجنة بغير حساب
ولا عذاب ، كما في حديث السبعين الألف ، ووصفهم صلى الله عليه
وسلم بأنهم : « الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، ولا يتطيرون ،
وعلى ربهم يتوكلون » فأهل لا اله الا الله ، المحققون لها في نعيم الدنيا ،
وفي البرزخ ، وفي الآخرة في الجنة ، وحرمتهم الله على النار . وبقدر
ما ينقص العبد في معرفتها ، والعمل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق
العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط
في الدنيا الا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط في الآخرة .
بقدر سيرهم واستقامتهم ، فمعطى ومحروم ، والفضل بيد الله ، نسأل
الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها
برحمته انه أرحم الراحمين .

* * *

فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ، فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبين لنا الحكمة في ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى : « **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** » (١) . قال المفسرون : أى شرك « **وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** » (١) والدين اسم عام ، وهو ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : « **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** » (٢) وقال تعالى : « **وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** » (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئا » ... الحديث .

الوجه الثاني : أن الله أمر بقتال المشركين كافة ، وبين لنا ذلك قال تعالى : « **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** » الى قوله : « **فَإِنْ تَابُوا** » أى عن الشرك : « **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ** » (٤) .

فبين سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الاسلام الظاهرة ، وهى هذه الثلاثة الأركان كما ذكر الله فى الآية المتقدمة فى قوله تعالى : « **وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** » الى قوله : « **وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ** » (٥) .

وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل** » .

وهذه الثلاثة الأركان أيضا أمر صلى الله عليه وسلم معاذ لما بعثه الى اليمن أن يدعو اليها ، ونبهه على الأهم فالأهم ، كما فى حديثه ،

(٢) الزمر : ٢ ، ٣
(٤) التوبة : ٥

(١) الأنفال : ٣٩
(٣) البينة : ٥
(٥) البينة : ٥

وأخذ بذلك الخلفاء رضى الله عنهم ، فأبو بكر قاتل مانعى الزكاة وهم يقولون : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وفاتلوا طوائف أهل الردة وهم يقولونها •

وهذا الذى ذكرنا هو الذى يجب به الكف عن قتال العامة اذا أقاموه كما تقدم •

الوجه الثالث : ما يجب به الكف عن الخاصة فى مثل هذا الزمان وغيره ، فهى الكلمة التى تفيد الفعل والترك ، كما فى حديث أبى معبد المقدم بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله •• أرايت ان لقيت رجلا من المشركين ، فاقتتلنا ، فضرب احدى يدي بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسألت الله ، أأقتله ؟ قال : « لا ، فانك ان قتلته كان بمنزلك ، وكنت بمنزلته قبل ذلك » متفق عليه •

والمعنى : أنه بمنزلك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزلة ، أى مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزلة فى الدين ، والله أعلم •
فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولا بد مع ذلك أن يكون بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فإن اختلف نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلما كما ذكر الله ذلك وبينه فى كتابه ، فاذا كان الرجل مسلما وعاملا بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام فى غزوة تبوك : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » (١) ١٠١

وقال تعالى فى حق الآخرين : « ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » (٢) •

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جعلوا التناظر بها عادة وهذيانا ، والتمسقة بحروفها ، فهى عندهم الاسلام ، والايمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذى هو حق لله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد والأوثان ، وضيعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزين لهم ما ارتكبوه من التبذع والتنطع والمصيان ، الا أنهم يقولون : لا اله الا

الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : « لا اله الا الله » سماها الله كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور • وذكرنا عليها اشارة على طريق الايجاز والاختصار • خشية الاطالة • • والله المستعان • وأما الذى يجب به الكف عن القتال ، فهو لابد من اقامة اعلام الاسلام الظاهرة المتقدمة فى الآيات المحككات ، ذكرها الله بعد الأمر بالقتال ، وكذلك فى الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ، وترك الشرك ، ثم ذكر بعده : « **واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** » (١) •

ثم ذكر بعد ذلك : « **فخلوا سبيلهم** » •

والنبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة : « فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام » وفى بعض الآيات :

« **ويكون الدين كله لله** » (٢) •

وهذا الذى يجب به الكف ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وفعل سلف الأمة ، وهذا الذى عليه الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين • وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف اذا أظهر بقول أو فعل ما يدل على تركه دينه ودخوله فى الاسلام كما تقدم فى الحديث • وليس المراد بالجواب الخاصة ، انما يراد به العامة ، فاذا وجدت طائفة ممتنعة عن احدى الثلاثة المذكورة ، قوتلوا أما التوحيد الذى هو محض حق الله على العبيد ، أو الصلاة التى هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، أو الزكاة التى أجمع الصحابة رضى الله عنهم على قتال مانعيها • وكذلك أجمع العلماء أيضا على ذلك ، وتتبع ما ورد فى ذلك يطول ، اذ كل منصف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله ، وهذا مصرح به فى كتبهم ، ولو قالوا : « لا اله الا الله » لم يكف عنهم ، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضا ، ولكن : « **من يهتد الله فهو** المتهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (٣) •

* * *

فصل

وأما المسألة الثانية ، هل يلزم الرجل أن يتبع مذهبا من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربه ، كما ذكر الله ذلك في آي القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السنة . وعاق الله النجاة والفلاح باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وذكر الله ذلك في كم موضع . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلا بعينه غيره صلى الله عليه وسلم ، وانقسم في ذلك الناس أقساما ، وتحزبوا أحزابا ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

والاتباع والافتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (٢) .

وقال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » (٣) .

وقال تعالى : « إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » (٤) الآية .

وقال تعالى : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا » (٥) الآية .

النوع الثاني : ما ذكره الله عن أهل الكتاب في تقليدهم ، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وهذا أيضا يحرم على كل مسلم مشابعتهم .

(٢) البقرة : ١٧٠

(٤) المائدة : ١٠٤

(١) المؤمنون : ٥٣

(٣) الزخرف : ٢٣

(٥) الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧

قال أبو بكر فى « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع :

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد فى غير موضع من كتابه فقال : « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (١) .

وروى عن حذيفة رضى الله عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدى بن حاتم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنقى صليب . فقال : « يا عدى ! ألق هذا الوثن من عنقك » وانهت اليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » .

قال : فقلت يا رسول الله . . انا، لم تتخذهم أربابا . قال : « بلى : ليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ، ويحرمون ما أحل لكم فتحرمونه » ؟ فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . والحديث فى « المسند » و « الترمذى » مطولا .

وقال أبو البخترى فى قوله عز وجل : « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

قال : أما انهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف فى المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ، كما كان هذا هو الواقع من أهل الزمان ، وليس لهم حجة الا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون بأنهم ينتسبون الى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فان من انتسب الى شىء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فان النصارى لم ينفعهم انتسابهم الى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم الى موسى .

وقد قال الله تعالى لنبيه : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (١) الى قوله : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) ثم بعد ذلك « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم » (٣) . الى قوله : « أفلا تذكرون » (٤) . ولأن الله تعالى قال : « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم » (٥) .

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : جمع الله الطرق في طريقين : اما هدى ، واما هوى ، وكذلك في الآية المتقدمة : اما متبع لشريعته صلى الله عليه وسلم التي جعلها الله عليها ، ورضيها لعباده ، واما متخذ الهه هواه ، أعادنا الله من الآراء المحدثه ، والأهواء المضاهة .
وأما الأئمة رضى الله عنهم ، فهم أئمة الهدى ، اجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط .

واختلف العلماء في تقليدهم ، فطائفة نفوا لتقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : اما عامي فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه ، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين ، فانه كالأمي الذي يدعى أنه يقرأ وليس بقارئ ، أو يدعى أنه يكتب وليس بكتّاب ، فيدعى أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف .
والرجل الثاني فقيه ، فلا يصح له أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل . والتقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة ، وطائفة — وهم أكثر الفقهاء — توسطوا في ذلك لم يخرجوا عما قاله الأئمة رضى الله عنهم ، وهم عندهم أكفاء في موارد النزاع ، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة ، كما بين ذلك شيخ الاسلام في كتابه « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » . وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ، تمسكوا بالسنة حيث بانّت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم أهل النجاة من هذه الأمة ، فان الأئمة رضى الله عنهم نهوا عن تقليدهم — وهو الواجب عليهم — الا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد

(٢) الجائبة : ٢١

(٤) الجائبة : ٢٣

(١) الجائبة : ١٨

(٣) الجائبة : ٢٣

(٥) القصص : ٥٠

والاتباع هو النوع الثالث الممدوح ، لا كما تقدم • ولنذكر طرفا من مقالة الأئمة :

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولاً — وإن كان له فضل — يتبع عليه ، لقول الله عز وجل « فبشر عبادى • الذين يستمعون للقول فيتبعون أحسنه » (١) •

وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا • وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : هذا رأى ، فمن جاءنا برأى خير منه قبلناه • وقال : حل لأحد قول مع قول النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وقال مالك رضى الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم •

وقد صرح مالك رضى الله عنه بأن : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول ابراهيم النخعى أنه يستتاب ، فكيف من ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هو دون ابراهيم ومثله • وذكر البيهقى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ، وقال رضى الله عنه : اذا صح الحديث فهو مذهبي ، الى غير ذلك عنه • وقال أبو داود : قلت لأحمد : الأزاعى هل هو أهل أن يقلد أم مالك ، قال : لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ، الا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ • وفى لفظ : وخذ من حيث أخذوا • وقال رضى الله عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد فى دينه الرجال ، وتتبع ذلك يطول •

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلو فيه ، وتعاق به طائفة ، اذا التزموا مذهباً من المذاهب الأربعة ، قالو : لا يجوز مخالفته ، ولا بد من اتباعه على كل حالة ، وجعلوا كل امام فى أتباعه بمنزلة النبى فى أمته ، وهذا تبديل للدين •

قال أحمد رضي الله عنه : عجيب لقوم عرفوا الاسناد وصحته
يدهبون الى رأى سفيان ، والله يقول : « فليحذر الذين يخالفون من
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (١) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة
من السماء أقول : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة : اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقال :
ما يبكيك ؟ قال : رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم
كالصبيان عند أمهاتهم ، ما فهوهم عنه انتهوا ، وما أمرهم به ائتمروا .
قال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تنقاد ، وإنسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلد أحدكم رجلا ، إن آمن آمن ، وإن كفر
كفر ، فإنه لا أسوة في الشر .

وقال أيضا رضي الله عنه : اغد عالما ، أو متعلما ولا تغد أمعة
فيما بين ذلك .

وروى عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين
المسألتين يطول ، وإنما ذكرنا عليهما ما ييسر مع التقصير ، لأنهما
يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا أجبت المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة . آخره . والحمد لله رب
العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الرسالة التاسعة :

هذه رسالة

في مقادير فيء الزوال

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان قبل النوروز يومين فظل الزوال ثلاثة أقدام وثلاث ،
وفي اثني عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفي أربعة وعشرين ظل الزوال
أربعة أقدام وربع • وفي ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف •
وفي ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام • وفي الستين ظل الزوال
سته أقدام ونصف • وفي ثلاث وسبعين ظل الزوال سبعة أقدام •
وفي ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفي اثنين وتسعين
ظل الزوال ثمانية أقدام الأربع • وفي مائة وأحد عشر ظل الزوال
سبعة أقدام ونصف • وفي مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام
وثلاث • وفي مائة وسبعة وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وربع •
وفي مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام • وفي مائة وثمانية
وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفي مائة وثمانية وخمسين
ظل الزوال ستة أقدام • وفي مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسة
أقدام ونصف • وفي مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسة أقدام •
وفي مائة وأحد وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفي مائة وستة
وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفي مائتين وأحد عشر ظل الزوال
ثلاثة أقدام • وفي مائتين وستة عشر ظل الزوال قدامان ونصف • وفي
مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدامان • وفي مائتين واثنين وأربعين
ظل الزوال قدام وثلاث • وفي مائتين وست وأربعين ظل الزوال قدم •
وفي مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم • وفي مائتين وسبع
وستين ظل الزوال ثلث قدم • وفي مائتين وسبع وسبعين يحتاط
للزوال بثلث قدم • وفي مائتين وواحد وثمانين بعدم ظهور ظل الزوال •
وفي ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلث قدم • وفي ثلاثمائة وثمانية
عشر ظل الزوال ثلث قدم • وفي ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظل الزوال

قدم • وفي ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قسمان • وفي ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلاث •

اللهم انا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، وتوكل عليك ، وتنتى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك •

اللهم اياك نعبد ، واليك فصلى ونسجد ، واليك فسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق •

* * *

الرسالة العاشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

كتاب التوحيد
الذى هو حق الله على العبيد
تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وقول الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .
وقوله : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت » (٢) الآية . وقوله : « وقفى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا » (٣) . الآية .

وقوله : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٤) الآية .
وقوله : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به
شيئا » (٥) الايات .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمد
صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : « قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم » - الى قوله - « وان ههنا صراطى
مستقيما » (٦) الآية .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله
عليه وسلم على حمار فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على
العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال :
« فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد

(٢) النحل : ٣٦

(٤) النساء : ٣٦

(٦) الأنعام : ١٥٣

(١) الداريات : ٥٦

(٣) الاسراء : ٢٣

(٥) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣

على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً « فقلت : يا رسول الله • • أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم نيتكائرا » أخرجاه في « الصحيحين » •
فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والانس •

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه •

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : « ولا اتهم عابدون ما أعبد » (١) •

الرابعة : الحكمة في ارسال الرسل •

الخامسة : أن الرسالة عت كل أمة •

السادسة : أن دين الأنبياء واحد •

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت : ففيه معنى قوله : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله » (٢) الآية •

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله •

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل : أولها النهي عن الشرك •

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها ثمانى عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : « لا تجعل مع الله الها آخر فتقع مذموما مخلولا » (٣) وختمها بقوله : « ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا » (٤) . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة » (٥) •

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة . بدأها الله تعالى بقوله : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » (٦) •

(١) الكائنون : ٣ ، ٥

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) الاسراء : ٢٢

(٤) الاسراء : ٣٩

(٥) الاسراء : ٣٩

(٦) النساء : ٣٦

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند موته •

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا •

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه اذ أدوا حقه •

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة •

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة •

السابعة عشرة : استحياب المسلم بما يسره •

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله •

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم •

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض •

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار

مع الأرذاف عليه •

الثانية والعشرون : جواز الأرذاف على الدابة •

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل •

الرابعة والعشرون : عظم هذه المسألة •

باب

فصل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » (١) •

الآية • عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على

(١) الأنعام : ٨٢ •

ما كان من العمل « أخرجاه • ولهما في حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » •

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال موسى : يا رب • علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به • قال : قل يا موسى : لا اله الا الله • قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا • قال : يا موسى • لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن جبان والحاكم وصححه •

وللترمذى وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك به شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » • فيه مسائل :

- الأولى : سعة فضل الله •
- الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله •
- الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب •
- الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التى فى سورة الأنعام •
- الخامسة : تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة •
- السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا اله الا الله » وتبين لك خطأ المغرورين •
- السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان •
- الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله •
- التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات • مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزاته •
- العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات •
- الحادية عشرة : أن لهن عمارا •
- الثانية عشرة : اثبات الصفات ، خلافا للأشعرية •

الثالثة عشرة : أنك اذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتيان : « فإن الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله ، يبتغى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ، ليس قولها باللسان •

الرابعة عشرة : تأمل الجبع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه •

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله •

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه •

السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار •

الثامنة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان •

العشرون : معرفة ذكر الوجه •



باب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » (١) •

وقوله : « والذين هم بربهم لا يشركون » (٢) •

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أبكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ فقلت : أنا • ثم قلت : أما أنى لم أكن فى صلاة ، ولكنى لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت . قال : فمأملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة • قال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع • ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الأمم ،

قرأت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، اذ رفع لى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتى ، فقل لى : هذا موسى وقومه ، فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله . فخاض الناس فى أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : « هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن . فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال « سبقك بها عكاشة » .

فيه مسائل :

- الأولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .
- الثانية : ما معنى تحقيقه .
- الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين .
- الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .
- الخامسة : كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .
- السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .
- السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك الا بالعمل .

- الثامنة : حرصهم على الخير .
- التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .
- العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .
- الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، الصلاة والسلام .
- الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

- الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .
- الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .
- الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .
- السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .
- السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .
- الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الأئسان بما ليس فيه .
- التاسعة عشرة : قوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .
- العشرون : فضيلة عكاشة .
- الحادية والعشرون : استعمال المعارض .
- الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

* * *

باب

الخسوف من الشرك

وقول الله عز وجل : « أن الله لا يغفر أن يشرك به ويففر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) . وقال الخليل عليه السلام : « واجنبنى وبنى ان نعبد الأصنام » (٢) .

وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فستل عنه فقال : « الرياء » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخارى . ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقي الله لا يشرك به شيء دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

(٢) إبراهيم : ٣٥

(١) النساء : ٤٨

- الثافية : أن الرياء من الشرك .
- الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .
- الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .
- الخامسة : قرب الجنة والنار .
- السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .
- السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .
- الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقبابة عبادة الأصنام .
- التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ، لقوله : « رب انهن اضللن كثيرا من الناس » (١) .
- العاشرة : فيه تفسير « لا اله الا الله » كما ذكره البخارى .
- الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

* * *

باب

الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى : « قل هذه سبلى ادعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعنى » (١) الآية .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بعث معاذاً الى اليمن قال له : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله — وفى رواية : الى أن يوحدوا الله — فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك . فأعلمهم أن

(٢) يوسف : ١٠٨

(١) ابراهيم : ٣٦

الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه •

ولهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه فأرسلوا اليه ، فأتى به فبصق فى عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « اتق على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم » ، يدوكون : أى يخوضون •
فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم •
الثانية : التنبيه على الاخلاص • لأن كثيرا لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه •

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض •

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه قنزيها لله تعالى عن المسبة •

الخامسة : أن من قبح الشرح كونه مسبة لله •

السادسة : — وهى من أهمها — ابعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك •

السابعة : كون التوحيد أول واجب •

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة •

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن لا اله الا الله •

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها
أو يعرفها ولا يعمل بها •

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج •

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم •

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة •

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم •

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الأموال •

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم •

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب •

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين

وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء •

التاسعة عشرة : قوله : « لأعطين الراية » الخ • علم من أعلام

النبوة •

العشرون : ثقله في عينيه علم من أعلامها أيضا •

الحادية والعشرون : فضيلة على رضى الله عنه •

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكم تلك الليلة عن بشاره

الفتح •

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها

ومنعها عن سعى •

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : « على رسلك » •

الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال •

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا •

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما

يجب عليهم » •

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام •

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد •

الثلاثون : الحلف على التتيا •

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة
أيهم أقرب » (١) الآية .

وقوله : « واذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون
الا الذى فطرنى » (٢) الآية .

وقوله : « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٣)
الآية .

وقوله : « ومن الناس من يتخذ من دون الله آئادا يحبونهم
كحب الله » (٤) الآية .

وفى « الصحيح » عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« من قال « لا اله الا الله » وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ،
وحسابه على الله عز وجل » وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب .
فيه أكبر المسائل وأهمها : وهى تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ،
وبينها بأمور واضحة •

منها آية الاسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون
الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر •

ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أجبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا الا بأن يعبدوا انهم
واحدا ، مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد
فى المعصية ، لادعائهم اياهم •

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : « اننى براء مما تعبدون •
الا الذى فطرنى » (٥) •

فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه

(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٤) البقرة : ١٦٥

(١) الاسراء : ٥٧

(٣) التوبة : ٣١

(٥) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

الموالة : هي تفسير شهادة لا اله الا الله . فقال : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » (١) .

ومنها آية البقرة : في الكفار الذين قال الله فيهم : « وما هم بخارجين من النار » (٢) .

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله ؟! فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ؟! ولم يحب الله ؟! ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله »

وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا اله الا الله » فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

* * *

باب

من الشرك : ليس الحلقة والخييط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : « قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أن يرزقهم الله بغير هل هن كاشفات ضره » (٣) الآية .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال « ما هذا » ؟ قال : من الواهنة . قال : « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ، فانك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عقبة بن عامر رضى الله عنه مرفوعا : « من تعلّى تميمة فلا أتم الله له ،

(٢) البقرة : ١٦٧

(١) الزخرف : ٢٨

(٣) الزمر : ٣٨

ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له • وفى رواية : « من تعلق تيممة فقد أشرك » • ولابن أبي حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلاً فى يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (١) •

فيه مسائل :

- الأولى : التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك •
- الثانية : أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح • فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر •
- الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة •
- الرابعة : أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً » •

- الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك •
- السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه •
- السابعة : التصريح بأن من تعلق تيممة فقد أشرك •
- الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك •
- التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة •

- العاشرة : أن تعليق الودع على العين من ذلك •
- الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تيممة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أى لا ترك الله له •

* * *

باب

ما جاء فى الرقى والتائم

فى « الصحيح » عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فأرسل رسـمـ ولا أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت • وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا : « من تعلق شيئا وكل اليه » رواه أحمد والترمذى •

التائم : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن اذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، وجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه •
الرقى : هى التى تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من انشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين وانحى •

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يجيب المرأة انى زوجها والرجل الى امرأته •
وروى أحمد عن رويغ قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رويغ •• لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجدى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمدا يرى منه » •

وعن سعيد بن جبیر رضى الله عنه ، قال : « من قطع تيمة من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع • وله عن ابراهيم قال : كانوا يكرهون التائم كلها ، من القرآن وغير القرآن •
فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتائم •

الثانية : تفسير التولة •

- الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء •
- الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك •
- الخامسة : أن التيممة اذا كافت من القرآن فقد اختلف العلماء :
هل هي من ذلك أم لا ؟
- السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك •
- السابعة : الوعيد الشديد على من تعلّق وترا •
- الثامنة : فضل ثواب من قطع تيممة من انسان •
- التاسعة : أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ،
لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود •

* * *

باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى » (١) الآيات .

عن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركون سُدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسُدرة ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. انها السنن ، قلتم — والذي نفسي بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اجعل لنا الهة كما لهم آلهة » قال انكم قوم تجهلون » (٢) لتركن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم •

- الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا •
- الثالثة : كونهم لم يفعلوا •
- الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك ، لظنهم أنه يجب •
- الخامسة : أنهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل •
- السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم •
- السابعة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « الله أكبر •• انها السنن ، لتبعن سنن من كان قبلكم » ، فغلظ الأمر بهذه الثلاث •
- الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطليبة بنى اسرائيل لما قالوا لموسى : « اجعل لنا الها » (١) •
- التاسعة : أن نفى هذا ، من معنى « لا اله الا الله » مع دقته وخفائه على أولئك •
- العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف الا لمصلحة •
- الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يريدوا بهذا •
- الثانية عشرة : قولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » فيه ان غيرهم لا يحهل ذلك •
- الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافا لمن كرهه •
- الرابعة عشرة : سد الذرائع •
- الخامسة عشرة : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية •
- السادسة عشرة : الغضب عند التعليم •
- السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « انها السنن » •
- الثامن عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر •
- التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا •

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر ،
فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما « من ربك » ؟ فواضح ،
وأما « من نبيك » ؟ فمن اخباره بأبناء الغيب ، وأما « ما ديك » ؟
فمن قولهم : « اجعل لنا الها . . » الخ .
الحادية والعشرون : أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .
الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن
أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين . لا شريك له » (١) الآية ، وقوله : « فصل لربك
وانحر » (٢) .

عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن الله من والديه .
لعن الله من آوى محدثا . لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم .
وعن طارق بن شهاد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب » . قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « مر رجلان على قوم لهم صنم
لا يجوز له أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال :
ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا ،
فدخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب . قال : ما كنت
لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، ف ضربوا عنقه فدخل الجنة »
رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير : « إن صلاتي ونسكي » .

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) الكوثر : ٢

الثانية : تفسير « فصل لربك وانحر » •

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله •

الرابعة : لعن من لعن والديه • ومنه أن تلعن والدى الرجل
فيلعن والديك •

الخامسة : لعن من آوى محدثاً وهو يحدث شيئاً يجب فيه حق
الله فيلتجئ الى من يبيّره من ذلك •

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهى المراسيم التى تفرق
بين حقائق من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير •

السابعة : الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل
العسوم •

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب •

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده ،
بل فعله تخلصاً من شرهم •

العاشرة : معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك
عائى القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه
الا العمل الظاهر •

الحادية عشرة : أن الذى دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً
لم يقل : « دخل النار فى ذباب » •

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : « الجنة أقرب الى
أحدكم من شرك فعله ، والنار مثل ذلك » •

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى
عند عبدة الأوثان •

باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : « لا تقم فيه أبدا » الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر ابلا
ببواقة ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن
من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد
من أعيادهم » ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أوف بنذرك ، فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك
ابن آدم » . رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الاولى تفسير قوله : « لا تقم فيه أبدا » .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشككة الى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من

الموافق .

السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية

ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

بِسَابِ

من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : « يوفون بالنذر » (١) ، وقوله : « وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه » (٢) .

وفى « الصحيح » عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

* * *

بِسَابِ

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : « والله كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (٣) .

وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » . رواه مسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

(١) الانسان : ٧ (٢) البقرة : ٢٧٠

(٣) الجن : ٦

الثانية : كونه من الشرك •

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك •

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره •

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك •

* * *

بَاب

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فإِنَّكَ أَذِنَ مِنَ الظَّالِمِينَ • » وأن يمسسك الله بغير فلا كاشف له . (الاحقاف) الآية .

وقوله : « فابتنوا عند الله الرزق واعبدوه » (٢) . الآية .

وقوله : « ومن أفضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة » (٣) الابتنان .

وقوله : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » (٤) .

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل » •

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص •

(١) يونس : ١٠٦ ، ١٠٧

(٢) العنكبوت : ١٧

(٣) الأحقاف : ٥

(٤) النمل : ٦٣

الثانية : تفسير قوله : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك » (١) •

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر •

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار من الظالمين •

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها •

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا •

السابعة : تفسير الآية الثالثة •

الثامنة : أن طلب الرب لا ينبغي الا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب

الا منه •

التاسعة : تفسير الآية الرابعة •

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله •

الحادية عشرة : أنه عاقل عن دعاء الداعي لا يدري عنه •

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي

وعداوته له •

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو •

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة •

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس •

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة •

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو اقرار عبدة الأوثان : أنه

لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجل هذا يدعوه في الشدائد مخلصين

له الدين •

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد

والتأديب مع الله عز وجل •

* * *

بِسَابِ

قول الله تعالى : « ائشركون مالا يخلق شبيهاً وهم يخلقون » .
ولا يستطيعون لهم نصراً (١) الآية .

وقوله : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطعير » (٢) الآية .

وفى « الصحيح » عن أنس قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » ؟ فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء » (٣) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر : « اللهم العن فلانا وفلاناً » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فانزل الله : « ليس لك من الأمر شيء » (٤) .

وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث ابن هشام ، فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء » .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه : « وانزلو عشرينك الأقرين » (٥) .

قال : « يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليمانى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

(٢) فاطر : ٣١
(٤) آل عمران : ١٢٨

(١) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢
(٣) آل عمران : ١٢٨
(٥) الشعراء : ٢١٤

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة •

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار •
الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار • منها :
شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم •

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء » •
السابعة : قوله : « أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » (١)
فتاب عليهم فأمنوا •

الثامنة : القنوت في النوازل •
التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم •
العاشر : لعنة المعين في القنوت •
الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه :
« وأبذر عشيرتك الأقرين » (٢) •

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو فعله مسلم الآن •
الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لا أغنى عنك من الله شيئاً » حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً »
فاذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قنوت خواص الناس الآن ، تبين له النوحيد وغربة الدين •

* * *

باب

قوله تعالى : « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » (٣) •

(٢) الشعراء : ٢١٤

(١) آل عمران : ١٢٨

(٣) سبأ : ٢٣

وفى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاء لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفلهم ذلك » حتى اذا فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » •

فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها الى من نحت ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته - حتى يلقىها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلفها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة • فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » •

وعن النواس بن سميان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي . أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة شديدة - خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا • فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سألته ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : « قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » (١) •

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل • فينتهى جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل » •
فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية •

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين ، وهى الآية التى قيل : انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب •

الثالثة : تفسير قوله : « قالوا الحق ، وهو العلى الكبير » •

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك •

الخامسة : أن جبريل هو الذى يجيبهم بعد ذلك بقوله : « قال كذا وكذا » •

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل •

السابعة : أنه يقوله لأهل السموات كلهم ، لأنهم يسألونه •

الثامنة : أن الغشى يعم أهل السموات كلهم •

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله •

العاشر : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى الى حيث أمره الله •

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين •

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا •

الثالثة عشرة : ارسال الشهب •

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة

يلقيها فى أذن وليه من الانس قبل أن يدركه •

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق فى بعض الأحيان •

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة •

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه ولا بتلك الكلمة التى سمعت

عن السماء •

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة

ولا يعتبرون بمائة ؟ !

التاسعة عشرة : كونهم يلقي بعضهم الى بعض تلك الكلمة

ويحفظونها ويستدلون بها •

العشرون : اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة •

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى (كانا)

خوفا من الله عز وجل •

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجدا •

باب الشفاعة

وقول الله تعالى : « واتلوه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » (١) .

وقوله : « قل لله الشفاعة جميعا » (٢) .

وقوله : « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » (٣) .

وقوله : « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٤) .

وقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض » (٥) الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » (٦) .

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون ، هى منتفية يوم القيامة كما نقاها القرآن ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده — لا يبدأ بالشفاعة أولاً — ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .

وقال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه » فذلك الشفاعة لأهل الإخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال ان مقام المحمود فالشفاعة التى نقاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بآذنه فى مواضع ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

(٢) الزمر : ٤٤

(٤) النجم : ٢٦

(٦) الأنبياء : ٢٨

(١) الأنعام : ٥١

(٣) البقرة : ٢٥٥

(٥) ساء : ٢٢

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات •

الثانية : صفة الشفاعة المنفية •

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة •

الرابعة . ذكر الشفاعة الكبرى ، وهى المقام المحمود •

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يبدأ

بالشفاعة أولاً بل يسجد ، فاذا أذن الله له شفع •

السادسة : من أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله •

الثامنة : بيان حقيقتها •

بباب

قول الله تعالى : « انك لا تهدي من أحببت » (١) الآية .

وفى الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت
أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله
ابن أبى أمية وأبو جهل ، فقال له : يا عم • • قل لا اله الا الله ، كلمة
أحاج لك بها عند الله • فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فأعاد
عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على
ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا اله الا الله • فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل :
« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » (٢) الآية .

وأنزل الله فى ابى طالب : « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء » •

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله : « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » (١) .

الثانية : تفسير قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » (٢) الآية .

الثالثة : وهي المسألة الكبرى - تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قل : لا اله الا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال للرجل : « قل لا اله الا الله » فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبايعته في اسلام عمه .

السادسة : الرد على زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نهى عن ذلك .

الثامنة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين . لأن

في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبايعته صلى الله عليه وسلم وتكرره ، فلاجل عظمتها ووضوحها ، اقتصروا عليها .

باب

ما جاء ان سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم
هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل : « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم » (١) .

وفى « الصحيح » عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى :
« وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواها ولا يفوت يعوق
ونسرا » (٢) .

قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى
الشیطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها
أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك .
أولئك ونسخ العلم ، عبدت » .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكنوا
على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .
وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... ولا تطرونى
كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »
أخرجاه ، ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » . ولمسلم
عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلك
المتنطمون » قالها ثلاثا .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وباين بعده ، تبين له غربة الاسلام ،
ورأى من فطرة الله وتقليبه للقلوب العجب .
الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشجة
الصالحين .

الثالثة : أول شيء غير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة
أن الله أرسلهم .

(١) النساء : ١٧١

(٢) نوح : ٢٣

(١٢) - مجموعة التوحيد (

- الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردّها •
- الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين • والثاني فعل اناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً • فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره •
- السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح •
- السابعة : جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه ، والباطل يزيد •
- الثامنة : أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر •
- التاسعة : معرفة الشيطان بما تثول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل •
- العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو ، ومعرفة ما يثول اليه •
- الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح •
- الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل ، والحكمة في ازالتها •
- الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة اليها مع العقبة عنها •
- الرابعة عشرة : وهي أعجب وأعجب : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال •
- الخامسة عشرة : التصريح أنهم لم يريدوا الا الشفاعة •
- السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك •
- السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على من بلغ تبلاغ المبين •
- الثامنة عشرة : نصيحته إياها بهلاك المنتطعين •

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسخ العلم . ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقدته .

المشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

باب

ما جاء من التفليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

فكيف اذا عبده ؟

في الصحيح « عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصورة فقال : « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدا ، وصورة فيه تلك الصور . أولئك شرار الخلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها : قالت : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا ، أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ، فان الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، الا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه فى آخر حياته - ثم انه لعن - وهو فى السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبين مسجد ، وهو معنى قولها : خشى أن يتخذ مسجدا ، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا . وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم فى « صحيحه » •

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح • ولو صحت نية الفاعل •

الثانية : النهى عن التماثيل ، وغلظ الأمر فى ذلك •

الثالثة : العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم •

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر •

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم •

السادسة : لعنه إياهم على ذلك •

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره •

الثامنة : العلة فى عدم إبراز قبره •

التاسعة : فى معنى اتخاذها مسجدا •

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته •

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من الاثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة ، والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور • وهم أول من بنى عليها المساجد •

الثانية عشرة : ما بلى به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع •

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلعة •

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة •

- الخامسة عشرة : التبريح بأن الصديق أفضل الصحابة •
- السادسة عشرة : الإشارة الى خلافته •

باب

ما جاء ان القلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا
تعبد من دون الله

روى مالك في « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولا بن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله « تعالى : « افرايتم اللات والعزى » (١) قال : اكن يلت لهم السوق فمات فعكفوا على قبره • وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السوق للحاج • وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج ، رواه أهل السنن (٢) •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير الأوثان •
- الثانية : تفسير العبادة •
- الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعدّ الا مما يخاف وقوعه •
- الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد •
- الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله •
- السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان •
- السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح •
- الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية •

(١) الأنجم : ١٩

(٢) قال ناصر الدين اسناده ضعيف . لكن للجملة الاولى والثانية شواهد كثيرة ذكرتها في « تحذير الساجد » .

التاسعة : لعنه زوارات القبور •

العاشرة : لعنه من أسرجها^(١) •

باب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم » (٢) الآية •

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا
على • فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » رواه أبو داود بإسناد حسن ،
ورواه ثقات • وعن على بن الحسين : أنه رأى رجلاً يجرى الى فرجة
كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ،
وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم : قال : « لا تتخذوا قبرى عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ،
وصلوا على ، فان تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه البخارى •
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة •

الثانية : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته •

الرابعة : فيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته
من أفضل الأعمال •

الخامسة : فيه عن الاكثار من الزيارة •

(١) لكن الحديث فى ذلك ضعيف كما سبق آنفاً ، وليس له شاهد
يقويه كما بينته فى « ارواء الغليل » فيكنى فى النهى عن ذلك أنه اضاعة
للمال وتشبيهه بالكفار •

(٢) التوبة : ١٢٨

- السادسة : حثه على النافلة في البيت •
- السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة •
- الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد • فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب •
- التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه •

بَاب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الاوثان

وقول الله تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت (١) والطاغوت (٢) » •

وقوله تعالى : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت (٣) » •

وقوله تعالى : « قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجدا (٤) » •

عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » • قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فممن ؟ » — أخرجاه • ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة • وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال :

(١) الجبت : كل من عبد من دون الله ، والكاهن ، والساحر ، والسحر
(٢) النساء : ٥١
(٣) المائدة : ٦٠
(٤) انكف : ٢١

يا محمد .. اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك أن لا
أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح
بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها . حتى يكون بعضهم يهلك بعضا
ويسبى بعضهم بعضا « ورواه البرقاني فى « صحيحه » وزاد : « وانما
أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى
يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى
يمبد فئام من أمتى الأوثان ، وانه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون ،
كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى . ولا تزال
طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر
الله تبارك وتعالى » (١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : — وهى أهمها — : معنى الايمان بالجبت والطاغوت فى
هذا الموضع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها ، مع بغضها
ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلا
من المؤمنين .

السادسة : — وهى المقصود بالترجمة — أن هذا لا بد أن يوجد
فى هذه الأمة ، كما تقرر فى حديث أبى سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة
فى جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجيب خروج من يدعى النبوة ، مثل المختار ،
مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق .
وأن القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق فى .

(١) رواه بهذه الزيادة أبو داود أيضا بسند صحيح .

هذا كله مع التضاد الواضح • وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة،
وتبعه فئام كثيرة •

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فينا مضى •
بل لا تزال عليه طائفة •

العاشر : الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم •

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط الى قيام الساعة •

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة • منها : اخباره بأن
الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوق كما أخبر •
بخلاف الجنوب والشمال • وأخبره بأنه أعطى الكثرين ، وأخبره
باجابة دعوته لأمته فى الاثنتين ، وأخبره بأنه منح الثالثة ، وأخبره
بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع اذا وقع ، وأخبره باهلاك بعضهم بعضا
وسبى بعضهم بعضا ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، وأخبره
بظهور المنتبين فى هذه الأمة ، وأخبره ببقاء الطائفة المنصورة وكل
هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون فى العقول •
الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين •

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان •

بَاب

ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى : « ولقد علموا ان اشتراه ماله فى الآخرة من
خلاق » (١) •

وقوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » (٢) •

قال عمر : « الجبت » : السحر ، « والطاغوت » : الشيطان
وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حى
واحد •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (١) . وعن جندب مرفوعا : « حد الساحر ضربه بالسيف » . رواه الترمذى ، وقال : الصحيح أنه موقوف . وفى « صحيح البخارى » عن بجاللة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن قتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح عن حفصة رضى الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتهما ، فقتلت . وكذلك صح عن جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة .
- الثانية : تفسير آية النساء .
- الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .
- الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الانس .
- الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالتهى .
- السادسة : أن الساحر يكفر .
- السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .
- الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ !

بَاب

بيان شئ من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

قال عوف : العيافة : زجر الطير • والطرق • الخط يخط بالأرض •
والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان • اسناده جيد ولأبي داوود
والنسائي وابن حبان في « صحيحه » المسند منه •
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ،
زاد ما زاد » رواه أبو داوود ، واسناده صحيح •
والنسائي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « من عقد عقدة
ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل
اليه » •
وعن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ألا هل أنبئكم ما العضة ؟ هي التيمة ، القالة بين الناس » رواه
مسلم •

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « ان من البيان لسحرا » •
فيه مسائل :

- الأولى : أن العيافة والطرق والطيعة من الجبت •
- الثانية : تفسير العيافة والطرق •
- الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر •
- الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك •
- الخامسة : أن التيمة من ذلك •
- السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة •

* * *

باب

ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في « صحيحه » عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله
عن شيء فصدقه بما يقول ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو داود • وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . عن أبي هريرة رضى الله عنه : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفا •

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعا : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » • رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى •• » الى آخره •

قال البغوى : العراف : الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك • وقيل : هو الكاهن والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل • وقيل الذى يخبر عما فى الضمير •

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق • وقال ابن عباس — فى قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون فى النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق • فيه مسائل :

- الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن •
- الثانية : التصريح بأنه كفر •
- الثالثة : ذكر من تكهن له •
- الرابعة : ذكر من تطير له •
- الخامسة : ذكر من سحر له •
- السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد •
- السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف •

باب

ما جاء في النشرة

عن جابر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن انشرة فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفى « البخارى » عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، انما يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . اهـ .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر الا ساحر .
قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان : أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذى من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشيطان بما يجب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثانية : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الانكسار .

* * *

باب

ما جاء في التطهير

وقول الله تعالى : « الا انما طائرتهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون » (١) .

وقوله : « قالوا طائرتكم معكم » (٢) الآية .

(٢) يس : ١٩

(١) الاعراف : ١٣١

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه : زاد مسلم : « ولا نوء ، ولا غول » .

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » .

ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك .. وما منا الا (١) ، ولكن الله يذهب بالتوكل » رواه أبو داوود ، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمر : « ومن رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك » . وله من حديث الفضل ابن العباس رضى الله عنهما : انما الطيرة ما أمضاك أو ردك .

فيه مسائل :

الاولى : التنبيه على قوله : « ألا انهما طائرهم عند الله » (٢) ،

مع قوله : « طائرهم معكم » (٣) .

الثانية : نفى العدوى .

الثالثة : نفى الطيرة .

الرابعة : نفى الهامة .

الخامسة : نفى الصفر .

(١) في هذا الحديث حذف يعرف بالقرينة ، أى : الا ويقع في نفسه

شئ .

(٢) يس : ١٩ .

(٣) الأعراف : ١٣١

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب •

السابعة : تفسير الفأل •

الثامنة : أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب به الله بالتوكل •

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده •

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك •

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة •

* * *

باب

ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها • فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به • ا • ه •

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه • ذكره حرب عنهما ، ورخص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق •

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر » رواه أحمد وابن حبان فى « صحيحه » •

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق النجوم •

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك •

الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل •

الرابعة : الوعيد فىمن صدق بشئ من السحر ولو عرف أنه باطل •

* * *

بَاب

ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » (١)

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطمع فى الأنساب • والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » • وقال : « النائحة ان لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » • رواه مسلم •

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى ، مؤمن بالكواكب » •

ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه ، قال بعضهم : لقد صدق : نوء كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية : « فلا أقسم بمواقع النجوم » (٢) إلى قوله : « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » (٣) • فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة •

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية •

الثالثة : ذكر الكفر فى بعضها •

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة •

الخامسة : قوله : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر » بسبب

نزول النعمة •

- السادسة : التنظن للإيمان في هذا الموضع •
- السابعة : التنظن للكفر في هذا الموضع •
- الثامنة : التنظن لقوله : « لقد صدق فوء كذا وكذا » •
- التاسعة : اخراج العالم للمتعلّم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله :
« أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » •
- العاشرة : وعيد النائحة •

* * *

باب

قول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله آئذاً يحبونهم كحب الله » (١) الآية . وقوله : « قل إن كان آباؤكم وإبنائكم » إلى قوله : « أحب إليكم من الله ورسوله » (٢) الآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجه . ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى .. » إلى آخره •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من أحب في الله ، وأبغض في الله • ووالى في الله ، وعادى في الله ، فأنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك • وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهل شيئا ، رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وتقطع بهم الأسباب » (٣) قال : المودة .

(٢) التوبة : ٢٤

(١) البقرة : ١٦٥

(٣) البقرة : ١٦٦

فيه مسائل :

• الأولى : تفسير آية البقرة •

• الثانية : تفسير آية براءة •

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم (وتقديهما) على النفس والأهل والمال •

الرابعة : أن هي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام •

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها •

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله الا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها •

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا •

الثامنة : تفسير : « وتقطعت بهم الأسباب » (١) •

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا •

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية (٢) أحب اليه من دينه •

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر •

* * *

باب

قول الله تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٣) •

وقوله : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله » (٤) الآية .

(١) البقرة : ١٦٦

(٢) يشير بذلك الى قوله تعالى : « قل ان كان آبائكم وابناؤكم واخوانكم ... » التوبة ، ٢٤ •

(٣) آل عمران : ١٧٥ (٤) التوبة : ١٨

وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذنا أودى في الله جعل
فتنة الناس كعذاب الله » (١) الآية .

عن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعا : « ان من ضعف اليقين : أن
ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله وأن يذمهم
على ما لم يؤتكم الله ، ان رزق الله لا يجره حرص حريص » لا يريده
كراهية كاره » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس ، رضى الله عنه وأرضى
عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس يسخط الله ، سخط الله عليه
وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى « صحيحه » .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية آل عمران .
- الثانية : تفسير آية براءة .
- الثالثة : تفسير آية العنكبوت .
- الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .
- الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث (٢) .
- السادسة : أن اخلاص الخوف لله من الفرائض
- السابعة : ذكر ثواب من فعله .
- الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

* * *

(١) العنكبوت : ١٠ .

(٢) يقصد حديث أبى سعيد المتقدم

باب

قول الله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (١) .
وقوله : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (٢)
الآية .

وقوله : « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٣)
وقوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٤) .
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » (٥) .
قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : « ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٦) .

رواه البخارى والنسائى .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الايمان .

الثالثة تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة (٦) ، وأنها قول ابراهيم ومحمد

صلى الله عليهما وسلم فى الشدائد .

* * *

(١) المائدة : ٢٣	(٢) الأنفال : ٢
(٣) الأنفال : ٦٤	(٤) الطلاق : ٣
(٥) آل عمران : ١٧٣	(٦) وهى : « حسبنا الله ونعم الوكيل »

باب

قول الله تعالى : « أفامنوا مكر الله ، فلا يامن مكر الله الا القسوم
الخاسرون » (١) •

وقوله : « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (٢) •

عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن الكبائر . فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن
من مكر الله » •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « أكبر الكبائر : الإشراف
بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من حمة الله ، واليأس من روح
الله » رواه عبد الرزاق •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف •

الثانية : تفسير آية الحجر •

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله •

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط •

باب

من الإيمان بالله الصبر على اقدار الله

وقول الله تعالى : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٣) •

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ،

فيرضى ويسلم •

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن
فى النسب ، والنياحة على الميت » • ولهما عن ابن مسعود مرفوعا :
« ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » •

(٢) الحجر : ٥٦

(١) الأعراف : ٩٩

(٣) التغابن : ١١

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » . واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذى .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية التغابن .
 - الثانية : أن هذا من الايمان بالله .
 - الثالثة : الطعن فى النسب .
 - الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .
 - الخامسة : علامة ارادة الله بعبده الخير .
 - السادسة : ارادة الله به الشر .
 - السابعة : علامة حب الله للعبد .
 - الثامنة : تحريم السخط .
 - التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .
- * * *

باب

ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى : « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم الله واحد » (١) الآية .

• وعن أبى هريرة مرفوعا : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى غيرى تركته وشركه » . رواه مسلم .

وعن أبى سعيد مرفوعا : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى
من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك الخفى ،
يقوم الرجل فيصلى ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » .
رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم فى رد العمل الصالح اذا دخله شيء
لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله ، لكن يزنيها لما يرى
من نظر رجل اليه .

* * *

باب

من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها » (١) الايتين .

فى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس
عبد الخميصة (٢) ، تعس عبد الخميصة (٣) ، ان أعطى رضى ، وان لم يعط

(١) هود : ١٥ ، ١٦

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع له طمان .

(٣) الخميصة : القطيفة ، والثوب المخمل ، كالكساء .

سخط . تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش^(١) . طوي لعيد أخذ
بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماء ان كان في
الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقة كان في الساقة . ان
استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » .

فيه مسائل :

الأولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة
والقטיפه .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله : « واذا شيك فلا انتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

* * *

باب

من اطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله
او تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ،
أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر
وعمر !

وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون
الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » (٢) .

(١) أى اذا اصابته شوكة فلا يقدر على اخراجها بالمناقيش ، وهى
جملة دعائية .

(٢) النور : ٦٣

أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعنه اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك *
 عن عدى بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : « اتخزنوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » الآية .
 فقلت له : انا لسنا نعبدهم قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ » فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم »
 رواه أحمد ، والترمذي وحسنه *

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور *

الثانية : تفسير آية براءة *

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أفكرها عدى *

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان *

الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية ، حتى صار عند الأكثر

عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية * وعبادة الأحرار ،

هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى أن عبد من دون الله من ليس من

المصلحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين *

* * *

باب

قول الله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل

اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا

أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٢) الآيات .

وقوله : « وإذا قيل لهم لا تفسسوا في الأرض قالوا إنما نحن

مصلحون » (٣) *

وقوله : « ولا تفسسوا في الأرض بعد إصلاحها » (٤) الآية .

وقوله : « افحكم الجاهلية يبغون » (٥) الآية .

(٢) النساء : ٦٠

(٤) الاعراف : ٥٦

(١) التوبة : ٣١

(٣) البقرة ١١

(٥) المائدة : ٥٠

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب « الحجة » بإسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : تتحاكم الى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق : تتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهنا فى جبهة فيتحاكما اليه ، فنزلت : « ألم تر الى الذين يزعمون .. » (١) الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : ترفع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : الى كعب بن الأشرف ، ثم ترفعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله . فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .
الثانية : تفسير آية البقرة : « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض » (٢) .

الثالثة : تفسير آية الاعراف : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » (٣) .

الرابعة : تفسير : « افحكم الجاهلية يبغون » (٤) .
الخامسة : ما قاله الشعبى فى نزول الآية الأولى .
السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .
السابعة : قصة عمر مع المنافق .
الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) البقرة : ١٧١

(٢) المائدة : ٥٠

(٣) النساء : ٦٠

(٤) الاعراف : ٥٦

باب

من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : « وهم يكفرون بالرحمن » (١) الآية .

وفى « صحيح البخارى » قال على : « حدثوا الناس بما يعرفون
أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس :
أنه رأى رجلاً انتفض — لما سمع حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى الصفات ، استنكاراً لذلك — فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند
محكمه ، ويهلكون عند متشابهه » انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر :
« الرحمن » أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : « وهم يكفرون بالرحمن » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحدث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر الطلة أنه يفضى الى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم
يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك . وأنه هلكه .

* * *

باب

قول الله تعالى : « يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها وأكثرهم
الكافرون » (٣) .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالى ، ورثته عن آبائى .

(٢) الرعد : ٣٠

(١) الرعد : ٣٠

(٣) النحل : ٨٣

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا •

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا •

وقال أبو العباس — بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « ان الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ... » الحديث ، وقد تقدم — وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ، ويشرك به •

قال بعض السلف : هو كفولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها •

الثانية : معرفة أن هذا جار على السنة كثير •

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكارا للنعمة •

الرابعة : اجتماع التضدين في القلب •

* * *

باب

قول الله تعالى : « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (١) •

قال ابن عباس في الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتي • وتقول لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص • وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان • لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك • رواه ابن أبي حاتم •

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر — أو أشرك — » رواه

الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم • وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا •
وعن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح •
وجاء عن ابراهيم النخعى ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك • قال : ويقول : لولا الله ثم فلان • ولا تقولوا : لولا الله وفلان •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة فى الأنداد •
الثانية : أن الصحابة رضى الله عنهم يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر •
الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك •
الرابعة : أنه اذا حلف بغير الله صادقا ، فهو أكبر من اليقين •
الشموس •

الخامسة : الفرق بين « الواو » و « ثم » فى اللفظ •

باب

ما جاء فىمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ومن حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض • ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن •
فيه مسائل :

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء •
الثانية : الأمر للمحلف له بالله أن يرضى •
الثالثة : وعيد من لم يرض •

باب

قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة ، أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يطفئوها أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله أيضا عن ابن عباس : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » .
ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود ، قلت : انكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : انكم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته . قال : « هل أخبرت بها أحدا » ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد . . فان طفيل رأى رؤيا ، أخبر بها من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمة كان يمنعنى كذا وكذا أن أنهاكم عنها . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى .

الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : « أجعلتنى لله ندا » ؟

فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر ، لقوله : « يمنعنى

كذا وكذا » .

الخامسة : أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام .

باب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » (١) الآية .

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقرب الليل والنهار » وفي رواية : « لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن سب الدهر .
- الثانية : تسميته آذى لله .
- الثالثة : التأمل في قواه : « فان الله هو الدهر » .
- الرابعة : أنه قد يكون سبابا ولو لم يقصده بقلبه .

* * *

باب

التسبي بقاضي القضاة ونحوه

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخضع اسم عند الله . رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك الا الله » قال سنيان : مثل « شاهان شاه » .

وفي رواية : « أخضع » يعني أوضع .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن التسي بملك الأملاك .

الثانية : التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه •
الرابعة : التفطن أن هذا الاجلال لله سبحانه •

* * *

باب

احترام اسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو الحكم ، واليه الحكم » ، فقال : ان قومى اذا اختلفوا فى شىء أتونى ، فحكمت بينهم ، فرضى كلا الفريقين • فقال : « ما أحسن هذا ! فما لك من الولد » ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله • قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : « فأنت أبو شريح » . رواه أبو داود وغيره •

فيه مسائل :

- الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه •
- الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك •
- الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية •

* * *

باب

من هزل بشىء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » (١) الآية .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة . — دخل حديث بعضهم فى بعض — : أنه قال رجل فى غزوة تبوك : ما رأينا

مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء .
 — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء — فقال
 له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ،
 فوجد القرآن قد سبقه • فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله • • انما كنا
 فخوض وتحدث حديث اركب ، تقطع به عنا الطريق • فقال ابن عمر :
 كأنى انظر إليه متعلقاً بنسعة^(١) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وان الحجارة تنكب رجله — وهو يقول : انما كنا فخوض ونلعب —
 فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ابالله وآياته ورسوله
 كنتم تستهزئون »^(٢) ما يلتفت اليه وما يزيد عليه •

فيه مسائل :

- الأولى : وهى العظيمة ، أن من هزل بهذا فهو كافر •
- الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان •
- الثالثة : الفرق بين النيمة والنصيحة لله ورسوله •
- الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على
 أعداء الله •

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغى أن يقبل •

* * *

باب

ما جاء فى قول الله تعالى : « ولئن أنقشاه رحمة منا من بعد ضراء
 مسته ليقولن هذا لى »^(٣) الآية •

قال مجاهد : هذا بعملى وأنا محقوق به • وقال ابن عباس : يريد
 من عندى •

(١) النسع جمع نسمة : وهو سير عريض تشد به الرحال •

(٢) التوبة : ٦٥

(٣) فصلت : ٥٠

(١٤ — مجموعة التوحيد)

وقوله : « **قال انما اوتيته على علم عندي** » (١) : قال قتادة :
 على علم منى بوجوده المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله
 انى له اهل . وهذا معنى قول مجاهد : اوتيته على شرف .
 وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « ان ثلاثة من بنى اسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ،
 فأراد الله أن يتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فأتى الابرص ، فقال : أى
 شئ أحب اليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذى
 قذرني الناس (به) قال : فمسحه ، فذهب عنه قدره ، وأعطى لونا حسنا .
 وجلدا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الابل — أو البقر —
 شك اسحاق — فأعطى ناقة عشراء ، وقال بارك الله لك فيها . قال :
 فأتى الأقرع فقال : أى شئ أحب اليك ؟ قال شعر حسن ، ويذهب
 عني الذى قذرني الناس (به) (٢) فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى
 شعرا حسنا . فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال : البقر — أو الابل —
 فأعطى بقرة حاملا ، قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال :
 أى شئ أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الى بصرى ، فأبصر به الناس ،
 فمسحه ، نرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال :
 الغنم . فأعطى شاة والدا ، فأتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد
 من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم افه
 أتى الأبرص فى صورته وهيته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ،
 قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم
 بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ،
 بعيرا اتبلغ به فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأنى
 أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرک الناس ، فقيرا ، فأعطاك الله عز وجل
 المال ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان
 كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : وأتى الأقرع فى صورته ،

(١) القصص : ٧٨

(٢) كلمة (به) ليست فى « الصحيحين » هنا ولا فيما بعدها ،
 ولعلها تفسير .

فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بى الجبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتباع بها فى سفرى . فقال : كنت أعمى فرد الله الى بصرى : فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهلك اليوم بشيء أخذته نه . فقال : أنسك مالك ، فانما ابتليتكم فقد رضى الله عنك ، وسخط على ساجديك »
أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : « ليقولن هذا لى » (١) .

الثالثة : ما معنى قوله : « أوتيته على علم عندى » (٢) .

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

* * *

باب

قول الله تعالى : « فلما آتاهما صالحا جلا له شركاء فيما آتاهما » (٣) الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب (٤) .
وعن ابن عباس فى الآية قال : لما تخشاها آدم حملت : فأتاهما ابليس فقال : انى صابكما الذى أخرجكما من الجنة ، لتطيعانى أو لأجعلن له قرنى أيل : فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن — يخوفهما — سمياه عبد الحارث ، فأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركما حب الولد ، فسمياه

(٢) القصص : ٧٨

(١) فصلت : ٥٠

(٣) الأعراف : ١٩٠

(٤) أى لم يتفقوا بل اختلفوا على تحريم هذا الاسم .

مبد الحارث فذلك قوله تعالى : « جملأ له شركاء فيما آتاهما »
رواه ابن أبي حاتم •

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن
في عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : « لئن آتيتنا
صالحا » (١) •

قال : أشفقأ أن لا يكون انسانا ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد
وغيرهما •

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله •

الثانية : تفسير الآية •

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها •

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية ، من النعم •

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة ، والشرك

في العبادة •

* * *

باب

قول الله تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين
يلحنون في أسمائهم » (٢) الآية .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : « يا حسنة في أسمائهم »
يشركون • وعنه : سمو اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، وعن
الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها •

فيه مسائل :

الأولى : اثبات الأسماء •

الثانية : كونها حسنى •

الثالثة : الأمر بدعائه •

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين •

الخامسة : تفسير الالحاد فيها •

السادسة : وعيد من ألد •

* * *

بـباب

لا يقال : السلام على الله

فى « الصحيح » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا اذا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده • السلام على فلان ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام » •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام •

الثانية : أنه تحية •

الثالثة : أنها لا تصلح لله •

الرابعة : العلة فى ذلك •

الخامسة : تعليمهم التحية التى تصلح لله •

* * *

بـباب

قول : اللهم اغفر لى ان شئت

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له » • ولمسلم : « ولبعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء أعطاه » •

فيه مسائل :

- الأولى : النهى عن الاستثناء فى الدعاء •
- الثانية : بيان العلة فى ذلك •
- الثالثة : قوله يعزم المسألة •
- الرابعة : اعظام الرغبة •
- الخامسة : التعليل لهذا الأمر •

باب

لا يقول عبيدى وأمتى

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضى ربك • وليقل سيدى ومولائى • ولا يقل أحدكم : عبيدى وأمتى • وليقل : فتائى وفتاتى وغلामى » •

فيه مسائل :

- الأولى : النهى عن قول : عبيدى وأمتى •
- الثانية : لا يقول العبد : ربى ، ولا يقال له : أطعم ربك •
- الثالثة : تعليم الأول قول : فتائى وفتاتى وغلामى •
- الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدى ومولائى •
- الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ •

باب

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن

صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه . فادعوا له .
حتى تروا انكم قد كافئتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : اعادة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل بالله .

الثالثة : اجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا انكم قد كافئتموه » .

* * *

باب

لا يستبطل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يستبطل
بوجه الله الا الجنة » رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن أن يستل بوجه الله الا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفة الوجه .

* * *

باب

ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : « يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا
هاهنا » (١) .

وقوله : « الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا » (١)
الآية .

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن . . وان أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان » .

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .
- الثانية : النهي الصريح عن قول « لو » اذا أصابك شيء .
- الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .
- الرابعة : الارشاد الى الكلام الحسن .
- الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .
- السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

* * *

باب

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم انا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » .
صححه الترمذى .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن سب الريح .

- الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان ما يكره .
الثالثة : الارشاد الى أنها مأمورة .
الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

* * *
باب

قول الله تعالى : « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله » (١) الآية . وقوله : « الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء » (٢) الآية .
قال ابن القيم فى الآية الأولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح ، وانما كان هذا ظن السوء . لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحملته ووعد الصديق ، فمن ظن أنه يدبيل الباطل على الحق ادالة مستقرة بضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيتة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا .
« فويل للذين كفروا من النار » (٣) .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعلون بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحملته .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب الى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعتنا على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

(٢) الفتح : ٦

(١) آل عمران : ١٥٤

(٣) سورة ص : ٢٧

فان تنج منها تنج من ذى عظمة ، والا فاني لا أخالك فاجيا •
فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران •

الثانية : تفسير آية الفتح •

الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر •

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك الا من عرف الأسماء والصفات

وعرف نفسه •

* * *

باب

ما جاء في منكرى القدر

وقال ابن عمر : والذى نفس ابن عمر بيده : لو كان لأحدهم مثل
أحد ذهباً ، ثم أفقهه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر •
ثم استدلل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الايمان : أن تؤمن
بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر
خيره وشره » رواه مسلم •

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى •• لك ان تجد طعم
الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن
ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول
ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب • فقال : رب •• وماذا أكتب ؟
قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بنى •• سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا
فليس منى » •

وفى رواية لأحمد : « أن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له :

اكتب ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » •

وفى رواية لابن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ••• فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » •

وفى « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمي قال : أتيت أبى
ابن كعب ، فقلت : فى نفسى شئ من القدر ، فحدثنى بشئ لعل الله
يذهبه من قلبى ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى
تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك
لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال :
فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ،
فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . حديث
صحيح رواه الحاكم فى « صحيحه » (١) .

فيه مسائل :

- الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .
- الثانية : بيان كيفية الايمان به .
- الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .
- الرابعة : الاخبار بأن أحدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .
- الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .
- السادسة : أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة الى قيام الساعة .
- السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .
- الثامنة : عادة السلف فى ازالة الشبهة بسؤال العلماء .
- التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم
فسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

* * *

باب

ما جاء فى المصورين

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا
ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

(١) أى فى « مستدركه » .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » •
ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب
بها في جهنم » •
ولهما عنه مرفوعا : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ
فيها الروح ، وليس بنافخ » •
ولمسلم عن أبي الهياج قال : قال لى على : ألا أبعثك على ما بعثنى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة الا طمسها ،
ولا قبراً مشرفا الا سويته •

فيه مسائل :

- الأولى : التغليظ الشديد في المصورين •
- الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله :
« ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » •
- الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة
أو شعيرة » •
- الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا •
- الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفسا يعذب بها
في جهنم •
- السادسة : أن يكلف أن ينفخ فيها الروح •
- السابعة : الأمر بطمسها اذا وجدت •

بـ

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » (١) •

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه • وعن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيىمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري الا يمينه ولا يبيع الا يمينه » رواه الطبرانى بسند صحيح •

وفى « الصحيح » عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري اذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ - ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخوفون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » • وفيه عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » •

قال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار • فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان •

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة •

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري الا يمينه •

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى •

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون •

السادسة : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة ،

أو الأربعة ، وذكر ما يحدث بعده .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون •
الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والعهد •

* * *

بـسـابـ

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : « وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
الأيمان بعد توكيدها » (١) الآية .

عن بريدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرا
على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، فقال :
« اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ،
ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من
المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهم ما أجابوك
فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل
منهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم
أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ،
فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ،
يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء
الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك
فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم • وإذا
حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل
لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم
ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة
نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ،
فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك • فانك لا تدري ،
أتصيب حكم الله فيهم أو لا ؟ رواه مسلم •

فيه مسائل :

- الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
- الثانية : الارشاد الى أقل الأمرين خطرا .
- الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .
- الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .
- الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .
- السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .
- السابعة : كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟

* * *

باب

ما جاء في الاقسام على الله

- عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذي
يتبألى على أن لا أغفر لفلان ؟ اني قد غفرت له وأحببت عملك »
• رواه مسلم .
- وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة :
تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته •

فيه مسائل :

- الأولى : التحذير من التألى على الله .
- الثانية : كون النار أقرب الى أحدنا من شرك نعله .
- الثالثة : أن الجنة مثل ذلك •
- الرابعة : فيه شاهد لقوله : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ... » الخ •
- الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور اليه •

* * *

بـسـاب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسقى لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، اتدرى ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » وذكر الحديث . رواه أبو داود .

فيه مسائل :

- الأولى : انكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .
- الثانية : تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .
- الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .
- الرابعة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .



بـسـاب

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد

وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت في وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داود بسند جيد .

• عن أنس ، رضي الله عنه ، أن ناسا قالوا : يا رسول الله .
يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ،

قوالوا بقولكم ، أو بعض قوالكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة : قوله : « ولا يستجريكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا

إلا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

* * *

باب

ما جاء في قول الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (١) الآية .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من الأبحار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد . . انا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » الآية .

وفى رواية لمسلم : « والجبال والشجر على اصبع ، ثم يهزهن ، فيقول : أنا الملك ، أنا الله » وفى رواية للبخارى : « يجعل السموات على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع » أخرجه . ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : « يطوى الله السموات يوم القيامة . ثم يأخذهن بيده اليسرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين

(١) الزمر : ٦٧

المتكبرون ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »

وروى عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم •

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » • قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » •

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم • أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله • ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق • وعن العباس ابن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون كم بين السماء والأرض » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم • قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره (١) •

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة • لا خمسمائة ، رواه أحمد بلفظ (خمسمائة) كما في الكتاب وفي سند الحديث مجهول ، وهو هلته ، وليست اللة ابن أبي ثور كما ظن السيد رشيد رضا فانه قد تويع ، كما بينه الشيخ أحمد شاكر في التعليق على المسند ١٧٧ • و١٧٨ ، ولكنه خفيت الة الحديث الحقيقية فصحه •

فيه مسائل :

- الأولى : تفسير قوله : « الأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (١) .
- الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين نزلت عندهم ، صلى الله عليه وسلم لم ينكروها وام يأولوها .
- الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ، صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .
- الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحبر هذا العالم العظيم .
- الخامسة : التصريح بذكر اليمين ، وأن السموات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى .
- السادسة : التصريح بتسويتها الشمال .
- السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .
- الثامنة : قوله : « كخردلة في كف أحدكم » .
- التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات .
- العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .
- الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .
- الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .
- الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والعرش .
- الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .
- الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .
- السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

- السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض •
- الامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة •
- التاسعة عشرة : أن البحر الذى فوق السموات بين أعلاه وأسفله
مسيرة . ثمانمائة سنة •
- والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا •

* * *

الرسالة الحادية عشرة :

حكم موالة أهل الاشرار

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله ان الانسان اذا اذبح للشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فانه كافر مثلهم ، وان كان يكره دينهم ويمنعهم ويحب الاسلام والمسلمين . هذا اذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف اذا كان في دار منعة ، واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاتة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعدما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ؟ فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك الا المكروه ، وهو الذي يستولى عليه المشركون فيقولون له : اكفر ، أو افعل كذا ، والا فاعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا ، وطمعا في الدنيا ؟ ! وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده .

الدليل الأول : قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (١) .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق . ثم قال تعالى : « قل ان هدى الله فهو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » (١) وفي الآية الأخرى : « انك اذن لمن الظالمين » (٢) .

فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يوافقهم على دينهم ظاهرا من غير عقيدة القلب ، لكن خوفا من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم ؟ فانهم لا يرضون الا بذلك .

(٢) البقرة : ١٤٥

(١) البقرة : ١٢٠

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : « ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة ، واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (١) .

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ان استطاعوا ، ولم يرخص في موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة ، بل أخبر عن واقفهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فان مات على رده بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن واقفهم من غير قتال ؟ فاذا كان من واقفهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون اليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون .

والدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة » (٢) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وان كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء ، أى لا يكون من اولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ، الا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الانسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغيضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم اولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله ، فما جعل الله الخوف منهم عذرا ، بل قال تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٣) .

الدليل الرابع : قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان طيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين » (٤) .

(٢) آل عمران : ٢٨
(٤) آل عمران : ١٤٦

(١) البقرة : ٢١٧
(٣) آل عمران : ١٧٥

فأخبر تعالى أن المؤمنين أن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الاسلام ، فانهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم أن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ولم يرخس في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم ، وهذا هو الواقع ، فانهم لا يقنعون ممن وافقهم الا بشهادة أنهم على حق ، واطهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم . ثم قال : « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » (١) .

فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين . وفى ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ، ونشأوا فيه ، ودانوا به زمانا ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين ، وخير الناصرين ، الى ولاية القباب وأهلها ، ورضوا بها بدلا عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ؟! بشئ للظالمين بدلا . الدليل الخامس : قوله تعالى : « افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٢) .

فأخبر تعالى أنه لا يستوى من اتبع رضوان الله ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ، فلا يستوى عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات ، وكان مع المشركين . فان قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتهم . وأيضا فما جعل الله الخوف عذرا فى اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه وكثير من أهل الباطل انما يتركون الحق خوفا من زوال دنيائهم والا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظاهري أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (٣) .

(٢) آل عمران : ١٦٢

(١) آل عمران : ١٥٠

(٣) النساء : ٩٧

أى فى أى فريق كنتم ، أى فريق المسلمين ، أم فى فريق المشركين ، فاعتذروا عن كونهم ليسوا فى فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : « ألم تكن أرض الله الواسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك ماوأهم جهنم ، وساءت مصيرا » (١) .

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفى فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت فى أفاس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون الى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الاسلام فخلعوا ربقتهم من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا فى طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سييلهم ، وخطوؤهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم ونسيهم ، والآن يستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم فى ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها ، واختيارا لا اضطرارا ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن ، وخوفا من الكفار ، وخرجوا فى جيشهم مكرهين خائفين . فان قال قائل : هلا كان الاكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذرا ، لأنهم فى أول الأمر لم يكونوا معذورين اذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالاكراه ، لأنهم السبب فى ذلك قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع : قوله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستتهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم انما مثلهم » (٢) .

فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين فى الكتاب أنهم اذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستتهزا بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وأن من جالس مع الكافرين بآيات الله ، المستهزئين

بها في حال كفرهم واستنزائهم ، فليسوا مثابهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره . إلا المكره ، وهذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده : فدعا الكافرين بآيات الله . المستهزئين بها الى بلاده ، واتخذوهم أولياء وأصحابا وجلساء . وسبع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم ، وبارد أهل التوحيد وأبعدهم ؟

الدليل الثامن : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلفوا لليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين » (١) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذهم اليهود والنصارى أولياء . وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم ، فان جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بشركيين ، بان أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفا من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر ، لما في قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا الى أهل الشرك ، خوفا أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : « فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (٢) .

الدليل التاسع : قوله تعالى : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » (٣) فذكر الله تعالى ان موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود في العذاب بسجودها ، وان كان الانسان خائفا ، إلا من أكره بشرطه ، فكيف اذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟

الدليل العاشر : قوله تعالى : « ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي .

(٢) المائدة : ٥٢

(١) المائدة : ٥١

(٣) المائدة : ٨٠

وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (١). فلما كثر
تعالى ان موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي صلى الله عليه وسلم
وما أنزل اليه . ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون ، ولم
يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حال كثير من
هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون ، فجرهم ذلك الى موالاة
الكفار ، والردة عن الاسلام ، نعوذ بالله من ذلك .

الدليل الحادى عشر : قوله تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى
أوليائهم ليجادلوكم وان اطعموهم انكم لمشركون » (٢) . وهذه الآية
نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنزل
الله هذه الآية . فاذا كان من أطاع المشركين فى تحليل الميتة مشركا من
غير فرق بين الخائف وغيره الا المكروه ، فكيف بمن أطاعهم فى تحليل
موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال
دماء المسلمين وأموالهم ، والخروج عن جماعة المسلمين الى جماعة
المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .
الدليل الثانى عشر : قوله تعالى : « وائل عليهم نبا الذى آتيناها
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين » (٣) وهذه الآية
نزلت فى عالم عابد فى زمان بنى اسرائيل ، يقال له بلعام ، وكان يعلم
الاسم الأعظم .

قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، لما نزل بهم موسى عليه
السلام - يعنى بالجبارين - أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : ان موسى
رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وأنه ان يظهر علينا يهلكنا ، فادع
الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : انى ان دعوت ذهبت ديناى
وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسלخه الله مما كان عليه .
فذلك قوله تعالى : « فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين » .
وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعنى الذين حاربوا موسى
وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه

الله إياها . وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها . أى ترك العمل بها ، وذكر فى انسلخه منها ما معناه أنه مظاهره المشركين ومعاونتهم برأيه : والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه . أن يردهم الله عن قومه خوفا على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحق ، ويشهد به ، ويتعبد ، ولكن سده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه واخلاده الى الأرض ، فكان هذا انسلخا من آيات الله تعالى . وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين ، وأعظم ، فان الله أعطاهم آياته التى فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهى عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله جميعا ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة المشركين ، وبغضهم وجهادهم وفراقهم ، والأمر بهدم الأوثان ، وإزالة القحاب^(١) واللاواط والمنكرات ، وعرفوها وأقروا بها . ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : « ولا تتركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون »^(٢) . فذكر تعالى أن الركون الى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسكن النار ، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره الا المكروه . فكيف بمن اتخذ الركون اليهم ديناً ورأياً حسناً ، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأى ، وأحب زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟ فان هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الرابع عشر : قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » . ذلك بأنهم استحيوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين »^(٣) . فحكم تعالى حكماً لا يبدل أن من رجع عن دينه الى الكفر ، فهو كافر ، سواء كان له عذر خوفا على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره

(١) القحاب : جمع قحبة ، وهى البغى الفاجر .

(٢) هود : ١١ (٣) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧ .

دون باطلنه ، وسواء كفر بشعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعا في دنيا ينالها من المشركين أم لا . فهو كافر على كل حال ، إلا المكره ، وهو في لغتنا : المغضوب ، إذا آكراه الإنسان على الكفر وقيل له : اكفر والا قتلناك أو ضربناك ، أو أخذناك المشركون فضربوه ، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم ، جاز له موافقتهم في الظاهر ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان ، أي ثابتا عليه ، معتقدا له نأما ان وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرها حتى يعذبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسام عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار . وقال الله تعالى : « **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** » (١) ، فقلب أحمد وجهه الى الجانب الآخر ، فقال يحيى : لا يقبل عذرا .

فلما خرج يحيى قال أحمد : يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأتم قيل لكم : تريد أن تضربكم ، فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد وان كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا الا خوفا ، فعلمهم غصب من الله ولهم عذاب عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإساءة سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فأثمه على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : « **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** » وان الله لا يهدي القوم الكافرين » (٢) . فكفرهم تعالى . وأخبر انه لا يهديهم مع كونهم يعتدرون بمحبة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

ثم أخبر خبرا مؤكدا محققا أنهم فى الآخرة هم الخاسرون .
الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن اهل الكهف : « انهم ان
يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذن أبدا » (١)
فذكر تعالى عن اهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم ان فُهِروكم
وغلِبوكم فهم بين أمرين : اما ان يرجموكم ، أى يقتلوكم شر قتلة
بالرجم ، واما أن يعيدوكم فى ملتهم ودينهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا ،
أى ان وافقتموهم على دينهم بعد ان غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا
اذن أبدا ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم
وراسلهم من بعيد ، وأجابهم الى ما طلبوه من غير غلبة ولا اكراه ،
ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟!

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله
على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » (٢) .

فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف ، أى على
طرف « فان أصابه خير » أى نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ،
ونحو ذلك — « اطمأن به » — أى ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا
فيه الا خيرا — « وان أصابته فتنة » — أى خوف ومرض وفقر ونحو
ذلك — « انقلب على وجهه » — أى ارتد عن دينه ورجع الى اهل
الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم فى هذه الفتنة ، ويعبدون
الله على حرف ، أى على طرف ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ،
فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين
وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين : فهم
معهم فى الآخرة ، كما هم معهم فى الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ،
ذلك هو الخسران المبين هذا مع أن كثيرا منهم فى عافية ، ما آتاهم
من عدو ، وانما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يدل الباطل وأهله على الحق
وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء :
« وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين » (٣)

(٢) الحج : ١١

(١) الكهف : ٢٠

(٣) فصلت : ٢٣

وأنت يا من من الله عليه بالثبات على الاسلام ، احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب ، أو تحسب أمر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين واطهار طاعتهم رأى حسن ، حذرا على الأتفس والأموال والمحارم ، فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيرا من الأولين والآخرين في الشرك بالله ، ولم يعذرهم الله بذلك ، والا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وانما يدننون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه ، فلم يعذر بها احدا ولا ببعضها ، فقال : « قل ان كان آبائكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله رسوله وجهاد في سبيله فترى صوا حتى ياتى الله بامر ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » (١) .

الدليل السابع عشر : قوله تعالى : « ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم . ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يصلم اسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم » (٢) فذكر تعالى عن المرتدين على ادبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرهم الشيطان بتسويله . وتزين ما ارتكبوه من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرهم الشيطان ، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبة الشهادة به لا يضرهم ما فعلوه ، ونسوا أن كثيرا من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ، ولكن يتركون متابعتة والعمل به محبة للدنيا ، وخوفا على الأتفس والأموال ، والمآكل والرئاسات .

ثم قال تعالى : « ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر » (٣) فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة ، وتسويل الشيطان ، واملائته لهم ، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الامر ، فاذا كان من وعبد المشركين الكارهين لما

أنزل الله بطاعتهم فى بعض الأمر كافرا ، وإن لم يفعل ما وعدهم به ، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون فى قتالهم ، وأن الصواب فى مسألتهم ، والدخول فى دينهم الباطل ؟ فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم فى بعض الأمر ، ثم أخبر من حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال « ذلك » الأمر الفظيع عند الوفاة « بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم » (١) ، ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين ، والدخول فى جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخطه الله ، وكرهه رضوانه ، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول : ما جرى منا شيء ونحن على ديننا .

الدليل الثامن عشر : قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتهم لننصرتكم والله يشهد أنهم لكاذبون » (٢) فعقد تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار ، وأخبر أنهم يقولون لهم فى السر : « لئن أخرجتم لنخرجن معكم » ، أى لئن قلبكم محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجكم من بلادكم « لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا » أى لا نسمع من أحد فيكم قولا ، ولا نعطى فيكم طاعة . « وإن قوتلتهم لننصرتكم » ، أى إن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم لننصركم ونكون معكم ، ثم شهد تعالى أنهم كاذبون فى هذا القول ، فإذا كان وعد المشركين فى السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم إن أجلوا ، تفافا وكفرا وإن كان كذبا ، فكيف بمن أظهر ذلك صادقا ، وقدم عليهم ، ودخل فى طاعتهم ، ودعا إليها ، ونصرهم واتقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأى ، هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسهرون فيههم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » (٣) .

فكذا حال كثير من المرتدين فى هذه الفتنة ، فان عذر كثير منهم هو هذا العذر الذى ذكر الله عن الذين فى قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : « فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لعكم ، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين » (١) .

ثم قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين » (٢) فأخبر تعالى انه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزة والغلبة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ، فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وان ادعى انه خائف ، فقد قال تعالى : « ولا يخافون لومة لائم » (٣) ، وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين ، ثم قال تعالى : يجاهدون فى سبيل الله » (٤) . أى فى توحيدهم ، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هى العليا ، ولا يخافون لومة لائم ، أى لا يبالون بمن لامهم وآذاهم فى دينهم ، بل يمشون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخاق ولا لسخطه ولا لرضاه ، انما هممهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كان همه وغاية مطلوبه رضى عباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجاءهم ، والهرب مما يسخطهم ، فان هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » فأخبر تعالى ان هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل الايمان اثابتن على دينهم عند وقوع الفتن ، ليس بحد ولا هم ولا نقوتهم ، وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو النضل العظيم ،

(٢) المائة : ٥٣

(٤) المائة : ٥٤

(١) المائة : ٥٢ ، ٥٣

(٣) المائة : ٥٤

ثم قال : « **أما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** » (١) .

فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين — وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أى الحزبين أقرب إلى الله ورسوله — وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة فالمتولى لصددهم ، واضع للولاية في غير محلها ، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤمنين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب . ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال : « **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** » (٢) .

للدليل التاسع عشر : قوله تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** » (٣) الآية . فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للإيمان ، مضاد له ، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قل تعالى في موضع آخر : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** » (٤) . ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر يُشاهد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، إذا كان لهم يرخص لأحد في موادتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم ، وإيثاراً لرضائهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباة وأولياء وأصحاباً ، وأظفر بهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض الأمور ومجبة ؟ ومن العجب استحسنهم لذلك واستحللهم له ، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام .

الدليل العشرون : قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** » إلى قوله : « **ومن يفعل** »

(٢) المائدة : ٥٦

(٤) التوبة : ٢٣

(١٦) — مجموعة التوحيد

(١) المائدة : ٥٥

(٣) المجادلة : ٢٢

منكم فقد ضل سواء السبيل» (١) . فآخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ، أى أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه الى الضلالة .

فأين هذا ممن يدعى أنه على الصراط المستقيم ، لم يخرج عنه ؟ فإن هذا تكذيب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ، ومن استحل محرما فهو كافر .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال : « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير » (٢) .

فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليهم ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغنى من عذاب الله شيئا ، كما قال فى الآية الأخرى : « فإذا نفخ فى الصور فلا أعتاب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (٣) .

الدليل الحادى والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جامع المشرك وسكن معه ، فإنه مثله » . فجعل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث من جامع المشرك - أى اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ فإن قالوا : خفنا ، قيل لهم : كذبتهم .

وأىضا فليس الخوف يعذر ، كما قال تعالى : « ومن الناس من يقول . آمنا بالله فإذا أؤذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » (٤) .

فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف ؟ وإنما جاءوا الى الباطل محبة له وخوفا من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفى هذا كفاية لمن أراد الله هدايته .

(١) المتحنة : ١
(٢) المتحنة : ٣
(٣) المؤمنون : ١٠١
(٤) العنكبوت : ١٠

واما من اراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : « ان الذين حققت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون » ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم (١) » .

ونسأل الله الكريم المنان أن يهب لنا مسامحة ، وأن يتوبنا عما فعلنا
وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا فتورين . برحمة الله وبرحمته
الرحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .



«الرسالة الثانية عشرة»:

هذا كتاب

بيان النجاة والذكاة من موالاة

المرتدين وأهل الأشرار

جمع شيخنا أحمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما بلا اعوجاج ، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه ، في الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بابضاح الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذي مزق الله ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد .. فإني قد كنت تكلمت وشدت في النهي عن موالاة المشركين ، ودعوت من حولي من المسلمين الى عداوة الكافرين . ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه ، مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت اظن أن من قرأ القرآن ، وآمن أنه كلام الله ، وأن الله تعبدنا بالعمل به ، والقيام ، اذا سمع ذلك أذعن له وانقاد ، وبادر الى السمع والطاعة لحكمه ، لقول الله تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون » (١) . وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

وقال تعالى « فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٣) .

(٢) النساء : ٦٥

(١) الأعراف : ٣

(٣) طه : ١٢٣ - ١٢٦

فحصل من بعض الجاهلين والمعادين انكار لذلك ، وجحدوا لما
أوجب الله الاقرار به والقيام : ففسار المنتسبون الى العام المدعون
انهم من طلبته في ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنت المعارضة الجاهلة الضالة ورنسيتها ، وان
لم تصرح بذلك ، فانه ظاهر على وجوبها •

وطائفة كرهت المعارضة ، واستجهلت صاحبها ، لكنها لم تفعل ما
أوجب الله عليها من رد ذلك ، والانكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاء ،
لما كان المعارض مساويا لمن يجاوبه •

فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة
مفيدة في الرد على هذا المعارض ، تقض فيها أقواله تقضا بديعا ، وهي
كافية في الرد عليه ، فصار شيخنا هو امام الطائفة ، الراد لأقوال أهل
الباطل المنكرة لها ، والله ناصر دينه ، ومظهره على الدين كله ولو كره
الكافرون • ثم انى - كتبت - ان شاء الله - كلمات فيها بيان لأشياء
وقع القلط فيها ممن ينتسب الى العلم : نقول الله تعالى : « ان الذين
يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) •

وقوله تعالى : « واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبينه
الناس ولا تكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
ما يشترون » (٢) •

منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم ، ومنها ما يصير به
الرجل مرتدا ، ومنها ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، ويظهر
الطاعة لهم ، ومنها مسألة اظهار الدين - ومنها مسألة الاستضعاف ،
ومنها وجوب الهجرة ، وأنها باقية ، وسميت هذا الكتاب « سبيل النجاة
والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك » وأسأل الله تعالى أن
يجعله مبنيا على الاخلاص ، وأن ينفع به من قرأه طلبا للنجاة والخلاص •

* * *

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، فبين للناس ما نزل اليهم ، فسا من خير الا دلهم عليه ، وعرفهم الطرق الموصلة اليه ، وما من شر الا حذرهم منه ، وسد عليهم أبوابه المفضية اليه . ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .

وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويمسى كافرا ، ويمسى كافرا ويصبح مؤمنا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لما وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك ، (و) وصفهم بأنهم صغار العيون ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة . ومعنى ذلف الأنوف ، أنها قصار مبطحة .

والمجان : جمع مجن . وهو الترس ، أراد وجوههم مستديرة ناتئة وجنتها . هذا معنى كلام البغوى فى « شرح السنة » فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم ، لما ظهرت فيهم الملة الضعيفة ، ودعوا الى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية . فجرى ما هو ثابت فى الأقدار الأزلية ، وان كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعالى : « لا يستل عما يفعل وهم يستلون » (١) . وامتنح أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى حادثة ظهور التتار فى زمنه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فان هذه الفتنة التى ابتلى بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المغازى التى أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا الى يوم

(١) : الأنبياء : ٢٣

القيامة . فان نصوص الكتاب والسنة المدين هما دعود مرسلة سلى الله عليه وسلم . تتناول عموم الخلق بالعصوم القملى . وبالعصوم المعسوى وعهود الله فى كتابه وسنته . تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أوليا .
وانما قص الله علينا قصص من قبلنا من الامم . لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للسوء من من المستأخرين شبه بما كان للسوء من من المستقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين .
كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة ، وأجل ذكر قصص الانبياء « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » (١) .
وقال لما ذكر قصة فرعون : « فآخذ الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » (٢) .
وقال فى محاصرة بنى النضير : « هو الذى اخرج الدين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم » الى قوله : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » (٣) .
فأمر أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة ومن قبلنا ، وذكر فى غير موضع ، أن سنته فى ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنفركنك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٤) .
وقال تعالى : « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٥) .
وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .
فينبغى للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه فى عباده ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيما فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبق الخافقين خبرها ، واستطار نرى جميع الديار شررها : وانلع فيها النفاق ناصية

(٢) النازعات : ٢٥ : ٢٦

(٤) الاحزاب : ٦٠ - ٦٢

(١) يوسف : ١١١

(٣) الحشر : ٢

(٥) الفتح : ٢٢ ، ٢٣

رأسه ، وكشر فيها الكفر عن أنيابه واضراسه ، وكاد فيها عسود الكتاب ان يبتث ويخترم ، وجبل الايسان ان ينقطع ويصطلم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن ، « واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا » (١) .

ان لن ينقلب حزب الله ورسوله الى أهليهم ابدا ، وزين ذلك في قلوبهم ، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا .
ونزلت فتنة تركت الحليم حيران ، وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران .

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى ان الرجل بنفسه شغل عن ان يغيث اللفظان ، ويميز الله فيها أهل البصائر والايقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف ايمان . ورفع بها أقواما الى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقوامها الى المنزلة الهاوية ، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى .

فان الناس تفرقوا فيها ما بين شقى وسعيد ، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود . ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى الا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ، وظهرت الحنايا التي تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يكون صاحبه أحوج ما كان اليه في المال ، وذم سادته وكبراءه من أطاعهم فأضاره السبيل ، كما حمد ربه من صدق في ايمانه واتخذ مع الرسول سبيلا وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الاخبار بما يكون ، وواطأها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون — أى ملهمون — كما تواطأت عليها المبشرات التي أريها المؤمنون ، وتبين أنها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد في فصرة الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر

خارج عن شريعة الاسلام ، واقسم الناس بين مأجور ومغرور ،
واخر قد غره بالله الغرور وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما .
« ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ان الله كان عفورا رحيفا » (١) .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد راينا ما هو فظيره . او اعظم
منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساما .
أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساع في ذلك بكل جهده . وهم
القليلون عددا ، الأعظمون عند الله أجرا .

القسم الثاني : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعوتهم .
القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين
ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « من أعان صاحب باطل ليدحض يبطله حقا فقد برئت
منه ذمة الله وذمة نبيه » (٢) .

* * *

فصل

وهذا أوان الشروع في المقصود ، فأما معاداة الكفار والمشركين .
فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد ايجابه ، وحرم
موالاتهم وشدد فيها ، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من
الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده ،
قال الله تعالى : « والذليل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن
مصلحون » (٣) .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون في الأرض
بمعصيتهم ربهم : وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ،
وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد التصديق الا به ، والايقان
بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيمون من

(١) الأحزاب : ٢٤

(٢) رواه الطبراني في المعجم الثلاثة . وفي اسناد « الكبير » حشش
وهو متروك ، وفي اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف

(٣) البقرة : ١١

الشك والتكذيب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

قال ابن كثير : وهذا الذى قاله حسن ، فان من الفساد فى الأرض ، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء . كما قال تعالى : « **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** » (١) .
فقطع المودة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** » (٢) الآية .
وقوله : « **إنما نحن مصالحو** » أى نريد ان ندأى الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصلح مع هؤلاء وهؤلاء . يقول الله : « **إلا أنهم هم المفسدون** » (٣) .

يقول : ألا ان هذا الذى يعتسدون ويوعون أنه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد . ا . ه . وهذا الذى ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله اذا قيل لهم ، ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دينانا منهم ، ويكون (لنا) يد عندهم . وبعضهم اذا ظن بالله ظن السوء من (ايذاء) أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم ، وتوصل اليهم ، اتخذهم صديقا ، ورضى به ، قائلا بلسان حاله : « **نخشى أن نصيبنا دائرة** » (٤) . « **إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** » (٥) .

وقال تعالى : « **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبستون عندهم العزة فان العزة لله جميعا** » (٦) الى قوله : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** » (٧) .

قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعنى معهم فى الحقيقة ، يوالونهم ويسرون اليهم بالموودة ، ويقولون لهم اذا خلوا بهم : « **إنا معكم إنما نحن مستهزئون** » (٨) .

(١) الأنفال : ٧٣	(٢) النساء : ١٤٤
(٣) البقرة : ١٢	(٤) المائدة : ٥٢
(٥) البقرة : ١٢	(٦) النساء : ١٣٨ ، ١٣٩
(٧) النساء : ١٤٤	(٨) البقرة : ١٤

أى بالمؤمنين فى اظهارنا لهم الموافقة • قال الله تعالى منكرا عليهم
فيما سلكوه من موالاة الكافرين : « ليتفنون عنهم العزة » (١) •

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له : ولما جعلها له .
كما قال تعالى فى الآية الأخرى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » (٢)
وقال تعالى : « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » (٣) الآية .

والمقصود من هذا : التمهيج على طلب العزة من جانب الله تعالى •
والالتجاء الى عبوديته ، والانتظام فى جملة عباد المؤمنين الذين لهم
النصرة فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد •

قلت : فاذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين • فهذا كاف
فى تحريمها والنهى عنها ، وقال تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء » (٤) •
فهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال : « ومن يفعل
ذلك » •

أى ومن يوال الكافرين ، فليس من الله فى شيء ، أى فقد برىء
من الله ، وبرىء الله منه • وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، حفظا
للإسلام والترعيد •

وقال تعالى : « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون •
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ،
ولكن كثيرا منهم فاسقون » (٥) •

قال شيخ الإسلام : فبين سبحانه (أن) الايمان بالله والنبي وما أنزل
إليه ، ما تنزى بعدم ولايتهم • فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ، لأن
عدم اللازم يقتضى عدم المازوم •

قلت : وتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ، والخلود فى
العذاب . وأخبر أن ولايتهم لا تحصل الا ممن ليس بسوء من . وأما أهل

(٢) فاطر : ١٠
(٤) آل عمران : ٢٨

(١) النساء : ١٣٩
(٣) المنافقون : ٨
(٥) المائدة : ٨٠ ، ٨١

الايان بالله وكتابه ورسوله ، فانهم لا يوالونهم ، بل يعادونهم كما أخبر الله عن ابراهيم والذين معه من المرسلين : كما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى . وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين » (١) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى . وذكر أن من تولاهم فهو منهم . أى من تولى اليهود فهو يهودى . ومن تولى النصارى فهو نصرانى . وقد روى ابن أبى حاتم ، عن محمد بن سيرين . قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية :

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » الى قوله : « فانه منهم » (٢) الآية .

وكذلك المشرك ، فهو مشرك ، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمى ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار . ثم أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض ، أى شك في الدين وشبهة ، يسارعون في الكفر قائلين : « نخشى أن تصيبنا دائرة » (٣) . أى اذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين . قالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل ، فيتسلطوا علينا ، فيأخذوا أموالنا ، ويشردونا من بلداتنا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذى قال فيه : « الظالين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » (٤) .

(٢) المائة : ٥١

(٤) الفتح : ٦

(١) المائة : ٥١ ، ٥٢

(٣) المائة : ٥٢

ولهذا قال تعالى في هذه الآية : « فاعسى الله أن ياتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (١) .

وعسى من الله واجب والحمد لله الذى أتى بالفتح . فانسبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله أن كنتم مؤمنين » (٢) .

فهى سبحانه وتعالى المؤمنین عن موالاته أهل الكتابین وغيرهم من الكفار وبين أن موالاتهم تنافى الإيمان . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخواتكم أولياء أن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخواتكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٣) .

فهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاته آبيه وأخيه — اللذين مما أقرب الناس إليه — إذا كان دينهما غير الإيمان ، وبين أن الذى يتولى آباء وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ؟ أفلا يكون هذا ظالما ؟ بلى والله انه لمن أظلم الظالمين .

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرا فى موالاته الكافرين ، فليس لأحد أن يوالىهم خوفا على آبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مشخته بعشيرته ، أو مضافته على زوجاته ، فإن الله قد سد على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر . فإن قيل : قد قال كثير من المنسرين : ان هذه الآية نزلت فى شأن الجهاد ، فالجواب من وجهين : أحدهما أن نقول : إذا كانت هذه الثمانية ، ليس بينها عذرا فى ترك الجهاد الذى هو فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذرا فى ترك عدوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

(٢) المائدة : ٥٧

(١) المائدة : ٥٢

(٣) التوبة : ٢٣ ، ٢٤

الوجه الثاني : أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا . كما دلت على الجهاد ، فإنه قال : « أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله » (١) .

فمحبية الله ورسوله توجب ايثار عداوة المشركين ومقاتلتهم على هذه الثمانية ، وتقديسها عليها . كما أن محبة الجهاد توجب ايثاره عليها . وبالله التوفيق .

وهذا اذا سمعه المنصف يكون (عنده) ظاهرا . وأما من أعشى الله بصيرته بسبب تعصبه ، كما قال تعالى : « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم » (٢) .

وقال تعالى : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (٣) .

ثم قال : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (٤) .

فأخبر أن الكافرين اذا لم يوال بعضهم بعضا بأن ينجازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، والا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين بترك واجباته ، وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال . فأين هذا من أقوال المفسدين : أن موالة المشركين صلاح وعافية وسلامة . وقال تعالى : « ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون بسوء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فإن تولوا فخذلوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولية ولا نصيرا » (٥) .

فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا ، ثم نهى أهل الايمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الاسلام وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء

(٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧
(٤) الأنفال : ٧٣

(١) التوبة : ٢٤
(٣) الأنفال : ٧٢
(٥) النساء : ٨٩

تلقون اليهم بالوعدة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون إليهم بالسودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » . إلى قوله : « أما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . إلى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (١) .

وقد ثبت في «الصحيح» أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عام الفتح ، فأُنزل الله هذه الآيات يخبر (عن) هذا الكتاب .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب ، فوجده في عقيصة رأسها ، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويحلف أنه ما شك ، ولكنه ليس له من يحيى (من وراءه) من أهله بمكة وأنه أراد بهذا يدا عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة في قتله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فلو أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب . ففي هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاتلتهم أدلة كثيرة ، فنهى تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ

عدوه وعدوهم • وهذا تهيج على عداوتهم ، فإن عداوة المعادى لربك باعة وداعية الى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثلاً ، والله المثل الأعلى ، فقد نرسك مملوكاً لانسان هو سيدك ، والسبب فى حصول مصالحك ومنع مضارك ، وسيدك له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجوز فى عتاك أن تتخذ عدو سيدك ولياً ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟! فكيف اذا نهاك عن ذلك أشد النهى ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل اليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟! فكيف اذا كان هذا العدو ، لسيدك ، عدو لك ؟! فاذا واليته مع ذلك كله ، انك اذن لمن الظالمين الجاهلين •

ثم قال : « تلقون اليهم بالمودة » (١) وهذا كاف فى ابطال شبهة المشركين • فانه اذا أنكر عليهم موالاته المشركين وموادتهم قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بالسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين • فآين هذا من الكتاب الذى نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله اللقاء بالمودة ، وهذا ظاهر جدا •

ثم قال : « وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم » (٢) •

فذكر ما يدعو الى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذى جاء من عند الله ، واخراجهم النبى صلى الله عليه وسلم وأهل الاسلام لأجل الأيمان بالله •

ثم حذر تعالى من موالاتهم ، بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد •

ثم قال : « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » (٣) أى من يتولى أعداء الله ويلقى اليهم بالمودة ، ويسر اليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب •

ثم قال : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء » (٤) الآية . فبين

أنهم ان قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ،
« ويسطوا اليكم ايديهم والسنتهم » (١) بالضرب والقتل ، وبالكلام
الغليظ ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم ، فانهم لا يرضون
عنه و (لا) يسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال :
« وودوا لو تكفرون » (٢) كما قال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم » (٣) .

ثم قال : « لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة » (٤)
الآية : فبين أن كون الرجل له ارحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح
له موالاتهم كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة ارحاما وأولادا ،
فلم يعذره الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب
الى الانسان من ولده ووالده والناس اجمعين . فقله : « لن تنفعكم
ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة » اى : لن ينجوكم من عذاب الله ،
فكيف تقدمونهم على مراد الله ، ولأجلهم توالون أعداء الله ! والله تعالى
مطلع عليكم بصير بأئوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بين أن هذا الذى دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه
من موالاة الكافرين ، ليس هو أمرا لهم وحدهم ، بل هو الصراط
المتقيم الذى عليه جميع المرسلين . فقال : « قد كانت لكم أسسوة
حسنة في ابراهيم والذين معه » من المرسلين « اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم ومما تصبسون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العدوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٥) .

فقله : « قد كانت لكم أسسوة حسنة » كقله تعالى : « ثم أوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا » (٦) .

فأمرنا سبحانه أن تتأذى بابراهيم الخليل ومن معه من المرسلين
في قوالهم لقومهم « انا برآء منكم ومما تصبسون من دون الله »
الى آخره . واذا كان هذا واجبا علم المسلم أن يقول هذا لقومه الذى

(٢) البقرة : ١٢٠

(١) المتحنة : ٢

(٤) المتحنة : ٤

(٣) المتحنة : ٣

(٦) النحل : ١٢٣

(٥) النحل : ١٢٣

(١٧ - مجموعة التوحيد)

هو بين أظهرهم ، فكونه واجبا مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له في جميع الأمور آيين وآيين •

وما هنا تكتة بديعة في قوله : « **انما يراء منكم ومما تعبدون من دون الله** » وهي ان الله تعالى قدم البراءة من المشركين العاصدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثاني ، فانه من يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه • وأما اذا تبرأ من المشركين ، فان هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : « **واعترلكم وما تدعون من دون الله** » وادعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (١) فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم . وكذا قوله : « **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** » (٢) وقوله : « **واذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله** » (٣) فعليك بهذه النكت ، فانها تفتح بابا الى عداوة أعداء الله فكم من انسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادى أهله ، فلا يكون مسلما بذلك اذا ترك دين جميع المرسلين •

ثم قال : « **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده** » (٤) فقوله : « **وبدا** » أى ظهر وبان . وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين ينتتين •

واعلم أنه وان كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين • وأما اذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فان ذلك يدل على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فانه يجلو عنك شبهات كثيرة •

ثم قال : « **انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين والخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم** » ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون (٥) . فذكر سبحانه وتعالى أفعالا تدعو الى مقاطعتهم ،

(٢) الكهف : ١٦
(٤) الممتحنة : ٩

(١) مريم : ٤٨ ، ٤٩
(٣) الممتحنة : ٤

وترك مولاتهم وهى أنهم يقاتلون فى الدين — أى من أجل — يعنى أن الذى حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم . وأيضا يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفى هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن مولاتهم محرمة منافية للإيمان . وذلك أنه قال : « **انما ينهاكم الله** » فجمع بين لفظة « **انما** » المفيدة للحصر ، وبين النهى الصريح ، وذكر الخصال الثلاث ، وضير الحصر وهو لفظة « **هم** » .

ثم قال : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** » (١) .

فنهى سبحانه أهل الأيمان عن « **تولاة** » الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالى من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فإن مولاته له تنافى الأيمان بالله تعالى .

فصل

وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها . وتعين الاعتناء بها لئتم لنا عليها مجانبة دين المشركين .

الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها قال تعالى : « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** » قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » (٢) .

قال شيخ الإسلام : فانظر كيف قال فى الخبر « **ملتهم** » ، وقال فى النهى : « **أهواءهم** » . لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الله ، مطلقا ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم فى قليل أو كثير ، وقال تعالى لموسى وهارون : « **فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** » (٣) « **وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومي وأصلح ولا تتبع سبيل** »

(٢) البقرة : ١٢٠

(١) الممتحنة : ١٣

(٣) يونس : ٨٩

المفسدين» (١) وقال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ، وساءت مصيرا » (٢) وقال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » (٣) إلى قوله : « ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » (٤) وقال تعالى : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفصلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . أنهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين » (٥) .

وقال شيخ الإسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بني إسرائيل بدين والهدى ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم لبعض ، ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل في الذين لا يعاسون كل من خالف شريعته ، وأهواءهم ما يهوونه .
قلت : فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلك ما يحبونه منها دنة يوسوس عليه ، فهذا هو المثلوب . وما ذاك إلا خوفا من اتباعهم في أصل دينهم الباطل .

وقال تعالى : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » (٦) .
فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكما عربيا ، ثم (ذكر) توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد .
وقال تعالى : « ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا وأنذرتهم

(٢) النساء : ١١٥

(٤) المائدة : ٤٩

(٦) الرعد : ٣٧

(١) الأعراف : ١٤٢

(٣) المائدة : ٤٨

(٥) البقرة : ١٦ - ١٩

لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون» (١) الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم القوادح في الدين .

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين . وأخبر أن المسلمين أن اطاعوهم ردوهم عن الايمان الى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » (٢) وقال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٣) .

وقال تعالى : « وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وان اطعوهم انكم لمشركون » (٤) قال تعالى : « وان تطع أكثر من في الأرض يفسدوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (٥) وقال تعالى : « ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ، فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا » (٦) . وقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » (٧) وقال تعالى : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليهما حكيما » (٨) . وقال تعالى اخبارا عن اطاع رؤساء الكفر : « وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا » (٩) وقال تعالى : « اتخذوا أحياءهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (١٠) .

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم اتخاذهم أربابا أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فاذا كان من اطاع الأجرار وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، فمن اطاع الجهال والفساق في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما

- | | |
|-------------------|-----------------------|
| (١) الأنعام : ١٥٠ | (٢) آل عمران : ١٠٠ |
| (٣) الكهف : ٢٨ | (٤) الأنعام : ١٢١ |
| (٥) الأنعام : ١١٦ | (٦) الفرقان : ٥١ ، ٥٢ |
| (٧) التوبة : ٧٣ | (٨) الأحزاب : ١ |
| (٩) الأحزاب : ٦٧ | (١٠) التوبة : ٣١ |

ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى •
الأمر الثالث : ترك الركون الى الكفرة والظالمين •

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فتمسكهم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون » (١) •

فنهى سبحانه وتعالى عن الركون الى الظلمة ، وتوعد على ذلك
بمسيس النار ، وعدم النصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم كما
قال تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (٢) فمن ركن الى أهل الشرك ،
أى مال اليهم ورضى بشيء من أعمالهم ، فانه مستحق لأن يعذبه الله
بالنار ، وأن يخذله فى الدنيا والآخرة •

وقال تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا •
اذن لا ذنباك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (٣)
فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم ،
لركن الى المشركين شيئا قليلا ، وأنه لو ركن اليهم لأذاقه عذاب الدنيا
والآخرة مضاعفا ، ولكن الله ثبته فلم يركن اليهم ، بل عاداهم وقطع
اليدهم ، ولكن اذا كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع
عصمته ، فغيره أولى بلحق هذا الوعيد به •

... الأمر الرابع : ترك موادة اعداء الله ، قال الله تعالى : « لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا
آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (٤) •

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن
يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يواد
كافرا ، فمن واد كافرا فليس بمؤمن •

قلت : فاذا كان الله قد نفى الايمان عن واد أباه وأخاه وعشيرته
اذا كانوا محادين الله ورسوله ، فمن واد الكفار الأبعدين عنه ، فهو
أولى بأن لا يكون مؤمنا •

(٢) لقمان : ١٣
(٤) المجادلة : ٢٢

(١) هود : ١١٣
(٣) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة ومولاة في الباطن . كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى أن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في در غربة : كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم . وإن كانا في مصرهما ، لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف به اختصاص عن بلد الغربة . بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، فكأن بينهما مشابهة في العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا ما لا يألفون غيرهم ، حتى أن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أما على الدين ، فتجد الملوك من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ، ومقتضاها ، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والمولاة لهم ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية ؟! فإن إقصاءها إلى نوع من المولاة أكثر وأشد . هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .

قلت : فإذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة إنما نهى عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ، ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية ، والمحذور أشد والمنع منه وتحريمه أؤكد ، وهذا هو المطلوب ، ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركون ، روى أبو داود في « سننه » عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » . قال شيخ الاسلام : إسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم . كما في قوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » (١) وهو نظير ما سنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « من بنى بأرض المشركون ، وصنع نيروزهم ، ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة » .

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة^(١) . وقالت :
« لا تشبهوا باليهود » .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال
عمر بن الخطاب : « لا تعدوا رفاة الأعاجم ، ولا تدخاوا على المشركين
في كنائسهم يوم عيدهم ، فإن السخط ينزل عليهم » .
وزرد بإسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن
أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « من بنى بيلاذ الأعاجم
فصنع نيزوزهم ومهرجانيهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ،
حشر معهم يوم القيامة » .

فإذا عر نبي عن تعلم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم
يوم عيدهم (فكيف بن) يفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من
مقتضيات دينهم ؟! أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في
اللغة ؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم — أي أعمال عيدهم — أعظم من مجرد
الدخول عليهم في عيدهم ؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم
بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أو بعضه ، أليس قد تعرض
إلى العقوبة ؟

وأما عبد الله بن عمرو فصرح : أنه من بنى بيلاذهم ، وصنع
نيزوزهم ومهرجانيهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم ، وهذا
يقتضي أنه جعله كافرا بشاركتهم في مجموع هذه الأطوار ، أو جعل
ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وإن كان الأول ظاهر لفظه ، فتكون
المشاركة في بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق
العقوبة لم يجر جعله جزءا من المقتضى ، إذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس
الذم على بعض ذلك مشروطا ببعض ، إلا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم
منفردا .

وعن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : قال عمر رضي الله عنه :
كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جسع حتى تطلع الشمس ، ويقولون :
أشرق ثبير كيما نغير فخالقهم النبي صلى الله عليهم وسلم ، وأفاض قبل
طلوع الشمس ، وقد روى في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال : « خالف
هدينا هدى المشركين » وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب

(١) أي وضع اليدين على الخصى أثناء الصلاة .

الشمس : فخالقهم النبي صلى الله عليه وسلم . فالأفاضة بعد الغروب .
وعن عبد الله بن عمرو ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ثوبين معصفرين . فقال : « ان هذه من ثياب الكفار
فلا تلبسها » رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار .

وفى كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عتبة بن فرسد :
« واياك وزى أهل الشرك » ، وهو فى « الصحيحين » .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتا . فرأى
فيه شيئا من زى العجم ، فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم .

وقال على بن أبى صالح السواق : كنا فى ولية . نجاء أحمد
ابن حنبل ، فلما دخل نظر الى كرسى فى الدار عليه فضة . فخرج . فاحقه
صاحب الدار ، فنفض يده فى وجهه وقال : زى المجوس : زى المجوس !!

وعن قيس بن أبى حازم قال : دخل أبو بكر رضى الله عنه على
امراة من أحمرس يقال لها : زينب ، فرأها لا تتكلم فقال : ما لها
لا تتكلم ؟ فقالوا : حجة مصمتة . فقال لها : تكلمى فإن هذا لا يحل ،
هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أفت ؟ قال : امرؤ من
المهاجرين . قالت : أى المهاجرين ؟ قال : من قريش . قالت : من
أى قريش ؟ قال : انك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على
هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه
ما استقامت لكم أئمتكم . قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم
رؤساء وأشراف يأمرونكم فتطيعونهم ؟ قالت : بلى . قال : فهم أولئك
على الناس . رواه البخارى فى « صحيحه » .

فأخبر أبو بكر رضى الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب
ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمه
ونعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه
من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهى عنه ، والمنع منه .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى المسلمين
المقيمين ببلاد فارس : اياكم وزى أهل الشرك .

وهذا النهى منه للمسلمين من كل ما كان من زى المشركين ، وفى

كتابه الى عتبة بن فرقد : اياكم والتنعيم ، وزى أهل الشرك : ولبوس
الحرير .

وروى أحمد فى « المسند » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
كان بالجاية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حنبل بن سلة : فحدثنى
أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضى الله عنه يقول
لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة ،
وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضى الله عنه : ضاهيت
اليهودية ، لا : ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكس الكناسة فى
ردائه ، وكس الناس . فعاب رضى الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ،
أى مشابهتها فى مجرد استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من
يعتقدها قبلة باقية ، وان كان المسلم لا يقصد أن يصلى إليها .

وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسات المحكمة .
ما هى مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فانه رضى الله عنه هو الذى
استحلت ذنوب الاسلام فى يده غربا ، فلم يفر عبقرى فريه حتى
صدر الناس بعطن : فأعز الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعائر
الدين الحنيفى . ومنع من كل أمر فيه تذرع الى تقصير عرى الاسلام ،
مطعيا فى ذلك لله ولرسوله ، وقافا عند كتاب الله ، ممثلا لسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، محتذيا حذو صاحبه ، مشاورا فى أموره السابقين
الأولين ، حتى ان العمدة فى الشروط على أهل الكتاب على شروطه ،
وحتى منع من استعمال كافر ، واثمائه على الأمة واعزازه بعد اذلاله ،
أى (بعد أن) أذله الله .

وحتى روى أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذى أمر بأهل
البدع أن ينفوا وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : أأحقرن .
قال : لا تبد العورة ولا تستن بسنة المشركين .
فقوله : لا تستن بسنة المشركين ، عام .

ورى أبو داود عن أنس ، أنه دخل عليه غلام وله قرنان
— أو قصتان — فقال : احلقوا هذين — أو قصوهما — فان هذا زى

اليهود • علل النهى عنهما بأن ذلك زى اليهود . وتعليل النهى بعلة
يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوبا عدمها • قتل ذلك شيخ الاسلام ،
وقال أيضا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « هل بها عيد من أعياد
الجاهلية » ؟

وهذا نبي شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي
وجه كان • وأعياد الكفار من الكتابيين والأُميين في دين الاسلام من
جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم • وإن كان بعضه
أشد تحريما ، وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان
خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذي ينس الشيطان أن يقيم
أمرهم في جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين
أشد ، والنهي عنه أوكد ، إلى أن قال : وقد بالغ صلى الله عليه وسلم
في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحات وصفات الطاعات ، لئلا يكون
ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة في ذلك
حاجزا ومائعا عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل
الجبجيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجبجيم •

فليس بعد حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته ، ونصحه لهم
غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس
لا يعلمون •

قلت : فإذا كانت مبالغته صلى الله عليه وسلم في أمر أمته بمخالفة
الكفار ، إنما هي خوفا من أن تكون مشابعتهم في الهدى الظاهر مؤدية
وجارة إلى الموافقة والموالاتة ، فما بال كثير ممن يدعى الاسلام قد وقع
في المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟!

وروى أبو داود في « سننه » وغيره من حديث هيثم ، وأخبرنا
أبو بشر ، عن أبي عمير بن أنس ، عن عسومة له من الأنصار ، قال :
اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (للصلاة) كيف يجمع الناس
لها فذكروا له شهور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر
اليهود » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصاري » •
الحديث • قال في « القاموس » : شهور كتور : البوق الذي ينفخ
فيه ويرمز ، انتهى •

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالقلم ، وناقوس النصارى المأخروب باليد ، قال هذا بأنه من أمر اليهود ، وعلى هذا بأنه من أمر النصارى . لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضى فيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ويقتضى كراهة هذا النوع من الأسوات مطلقا في غير الصلاة أيضا ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم . وأنا شعاع الدين الخفيف ، الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذى به تفتح أبواب السماء ، ويهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد اتلى كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا شعار اليهودى والنصرانى ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى ، والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ، هى وأمثالها ما خالفوا به هدى المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الاسلام مثله . وذلك تصديق قوله صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من كان قبلكم » انتهى من « الاقتضاء » .

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدى المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام ، وقع نظيره في هذه الأزمان . فان المنتسبين الى الاسلام سلكوا كثيرا من هدى اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبهوا بهم في كثير من الأمور ، سلط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجبرى على الاسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى أنهم يذلون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله الا اظهار دين الرسول : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذى ارسل رسوله

بالهدى ودين :لحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (١) .

فاذا محص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ،
وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وثلثوا أن الدولة لهم في غابر
الأزمان ، أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام . فزقهم بها في
أقرب أوان ، وشردهم الى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه ذا حكمة مذ كانت الفتان

وقال أيضا :

والحق منصور وممتحن فلا تعجب نهذه سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه ولأجل ذاك الناس طائفتان

وقال شيخ الاسلام في الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضى
اجماع المسلمين عن التمييز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ،
ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك
بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصمبغاني أن عمر رضى الله عنه كتب أن
لا تكتبوا أهل الذمة فتجربى بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم ،
وأذلوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء
منكرات دينهم ، وترك اظهارها ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم .
فاتفق عمر رضى الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبمسارعتهم
من وفقه - الله عز وجل - من ولادة الأمر ، على منعهم من أن يظهروا
في الاسلام شيئا مما يختصمون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الاسلام
خصائص المشركين ، فكيف اذا عملها المسلمون وأظهروها ؟!

ومنها ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذى شرعه الله
تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع
من نوع اكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يفتشون
باهمال أمر دينهم الباطل .

قال الشيخ ايضا : وقال تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » (١) وذلك يقتضى تبريه منهم في جميع الأشياء ، ومن تابع غيره فى بعض أمور فربو منه فى ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا منى • أى أنا من نوعه وهو من نوعى لأن الشخصين لا يتحدان الا بالنوع ، كما فى قوله : « بعضهم من بعض » (٢) ، وقوله عليه السلام لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقول القائل : لست من هذا فى شيء ، أنا متبرئ من جميع أدوره . وإذا كان الله ورسوله قد برىء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعا لرسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئا لتبريه ، ومن كان موافقهم كان مخالفا للرسول صلى الله عليه وسلم بقدر موافقته فان الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابه أحدهما خالفه الآخر •

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء » (٣) الآية ، وقال تعالى : « ألم تر الى الذين تولوا قسوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم » (٤) . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، الى قوله : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر » (٥) الى آخر السورة . وقال تعالى : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض » (٦) الى آخر السورة . فعقد سبحانه وتعالى المواالات بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد الى يوم القيامة ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق الى يوم القيامة . وقال تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » (٧) الآيتين . ونظائر هذا فى غير موضع من القرآن . ويأمرهم سبحانه بسوالات المؤمنين حقا . الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم • والمواالات والمودة وان كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة فى الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين •

(١) الانعام : ١٥٩

(٢) التوبة : ٦٧ واولها « المنافقون والمنافقات » •

(٤) المجادلة : ١٤

(٦) الانفال : ٧٢

(٣) المائدة : ٥١

(٥) المجادلة : ٢٢

(٧) المائدة : ٥٥

ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر • أن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا الى نوع ما من الموالاة والمودة ، فليس فيها مصلحة المقابلة والمباينة ، مع انها تدعو الى نوع ما من المواصلات كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه أبعاده • ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم فى الولايات •

فروى الامام أحمد باسناد صحيح ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : ان لى كاتبنا نصرانيا • قال لى : مالك ؟! قاتلك الله • أما سمعت قول الله : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى اوليا » (١) الا اتخذت حنيفا ؟! قال : قلت : يا امير المؤمنين • لى كتابته ، وله دينه • قال : لا أكرمهم اذ أهانهم الله • ولا أعزهم اذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله • وكما دل عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة خلفائه الراشدين التى أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم ، ففي « الصحيحين » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم » أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضى أن يكون جنس مخالفتهم أمرا مقصودا للشارع ، لأنه ان كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وان كان الأمر بالمخالفة فى الشعر فقط ، فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة أما علة مفردة ، أو علة أخرى ، أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مأمورا بها ، مطلوبة من الشارع ، فقال تعالى : « والذين لا يشبهون الزور » (٢) . قال الضحاك : الزور : عيد المشركين ، رواه ابو الشيخ وباسناده عنه الزور : كلام الشرك ، وباسناده عن مرة : لا يبالغون أهل الشرك على شركهم ، ولا يخالطونهم ، وباسناده عن عطاء بن يسار ، قال : قال عمر : اياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم • وقول هؤلاء التابعين انه أعياد الكفار ليس مخالفا لقول بعضهم أنه شرك أو صنم كان فى الجاهلية ، ولقول بعضهم : أنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : أنه الغناء ، لأن عادة السلف فى تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى الحاجة المستمع (اليها) ، أو للتنبيه على الجنس • ووجه تفسير التابعين تارة بما

يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة ، وأما أياد المشركين نجست الشبهة والتبعية ، وهى باطلة ، اذ لا منفعة فيها فى الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها الى ألم ، فصارت زورا ، وشهودها منتظورا . وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذى هو مجرد الحضور بروية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذى هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟!

واعلم أنا لو نعلم أن موانتهم قد أفضت الى هذه القبائح ، (لما وافقت) الطباع عليه ، ووافق استدلال (على ذلك) بأن اصول الشريعة توجب النهى عن هذه الذريعة . فكيف وقد رأينا من المنكرات التى أفضت اليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الاسلام بالكلية ؟! ومر هذا أن المشابهة تفضى الى كفر أو معصية غالبا ، أو تفضى اليهما فى الجسلة ، وما أفضى الى ذلك كان محرما .

فهذا بعض ما جاء من الأدلة فى النهى عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تبه لمر الذى سبق الكلام لاجله ، وهو أن المشابهة فى الظاهر انما نهى عنها لأنها تورث نوع مودة ودوالة فى الباطن ، وتفضى أيضا الى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب فى جريمتها والنهى عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفار والمشركين ، التى انما نهى عن هذه الأمور خوفا من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقسوا فى نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادى الى سواء الصراط .

فصل

فى ذكر جوابات عن ايرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وغفرنا عنهم فمن ذلك : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادى المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن (لا أستطيع أن) أكفر أهل لا اله الا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب : أن الرجل لا يكون مسلماً الا اذا عرف التوحيد ، ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، واطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به فمن قال : لا أعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم . أو قال : لا أتعرض أهل لا اله الا الله ولو فعلوا الكفر والشرك ، وعادوا دين الله . أو قال : لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلماً ، بل هو ممن قال الله : « ويقولون تؤمن ببعض وتكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١) . والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ، ومناذتهم وتكفيرهم . فقال : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أخواتهم أو عشيرتهم » (٢) . وقال تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (٣) . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول » (٤) الآيات . والله اعلم .

نقل من جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه عبد الله ، وفي أجوبة أخرى : ما قولكم في الموالاة والمعاودة هل هم من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله انعرض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخواتهم أو عشيرتهم . وأما كون ذلك من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به ، فهذا القرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدل في ذلك

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ . (٢) المجادلة : ٢٢

(٣) المائدة : ٥١

(٤) المتحنة : ١

(١٨ — مجموعة التوحيد)

والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين ، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا فى الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لى على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم .

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين ، وهى المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية وهى : الأشياء التى يصير بها المسلم مرتدا : فأحدها : الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله ندا من مخلوقاته ، يدعى كما يدعى الله ، ويخافه كما يخاف الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئا من عبادات . فإذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام ، وإن صام النهار وقام الليل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : « وإذا مس الانسان ضر دعبا ربه منيبا اليه ثم اذا خيوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله آتينا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من اصحاب النار » (١) .

وقوله تعالى : « ومن يدع مع الله الها آخسر لا يرهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون » (٢) .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى فى عبادته مخلوقا من المخلوقين ، فقد كفر وخرج من الاسلام ، وحبطت أعماله . كما قال الله تعالى : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » (٣) .

الثانى : اظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم ، والدليل قوله تعالى : « أن الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهمس الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر ، والله يعلم اسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم » (٤) .

وذكره الفقيه سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد

(٢) المؤمنون : ١١٧

(٤) محمد : ٢٥ — ٢٨

(١) الزمر : ٨

(٣) الانعام : ٨٨

ابن عبد الوهاب فى هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ؛ وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استدلل بها أن المسلم اذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير اكراه ، أنه يكون بذلك مرتدا خارجا من الاسلام . وان كان يشهد أن لا اله الا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه .

وقال شيخ الاسلام المذكور امام هذه الدعوة الضعيفة فى كلامه على آخر سورة « الزمر » . الثانية : أن المسلم اذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبى صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثرون وقوته ممن يتنسب الى الاسلام فى اظهار الموافقة للمشركين خوفا منيهم ، وبطن أنه لا يكفر اذا كان قلبه كارها له . . الى أن قال : الثالثة : أن الذى يكفر به المسلمين ، ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هؤلاء الذين ذكرهم الله ، لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم ، بل اذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلدته أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويغضهم ، فهذا كافر ، لا من أكره . . الى أن قال : ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام وهو المعنى الذى نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم فى شئ من دينهم الظاهر . مع كون القلب بخلاف ذلك ، فان هذا هو الذى أرادوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فافهمه فهما حسنا ، لعلك تعرف شيئا من دين ابراهيم عليه السلام ، بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال فى سورة « الكهف » .

التاسعة : المسألة المشككة على أكثر الناس : أنه اذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم ، فقد كذب فى قول : لا اله الا الله . واتخذ الهين اثنين ، وما أكثر الجبل بهذه والتى قبلها !

العاشرة : أنه لو يصدر منهم ، أعلى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهريهم مع كراحتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .

واعلم أن اظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتى فى المسألة الثالثة ان شاء الله تعالى .

الأمر الثالث مما يضير به المسلم مرتدا : موالاته المشركين والدليل

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (١) . وقوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » (٢) . فذكر في الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : « ومن يتولهم منهم فإنه منهم » : ليقطع أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . وقال ابن جرير في قوله : « فليس من الله في شيء » . . . يعني فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه . وأما قوله « الا ان تتقوا منهم تقاة » (٣) . فهي تقوله : « الا من اكفره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٤) وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى .

الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار والدلال قوله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم اذن مثلهم ، ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا » (٥) .

وفي أجوبة آل الشيخ رحمه الله تعالى : سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشرك أو مسكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزا بها ، فجلس عند الكافرين المستهزين بآيات الله من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

وهذه الآية ونحوها استدلل العلماء على أن الراضى بالذنب ، كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافرا .

(٢) آل عمران : ٢٨
(٤) النساء : ١٤٠

(١) المائدة : ٥١
(٣) النحل : ١٠٩

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم « أنهم » كراهوا ذلك •
لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه •
وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو مثله ،
على ظاهره ، وهو أن الذي يدعى الاسلام ، ويكون مع المشركين في
الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعده المشركون منهم ، فهو كافر
مثلهم وإن ادعى الاسلام ، إلا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى
المشركين • انتهى •

وقلت : ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة ، وفيه : يا مجاعة ! تركت
اقرارا له الى آخره •

وتقدم قول عبد الله بن عمرو • من بنى ببلاد المشركين ، فصنع
نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة •
وقال تعالى : « ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم • ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن
الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) •

الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله • والدليل
على ذلك قوله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون •
لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعت عن طائفة منكم نعت طائفة
بأنهم كانوا مجرمين » (٢) •

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذي تزلت الآية ، فيه ، وهو قولهم •
ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن
عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزين ، كقول بعضهم : دينكم
هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق • وقول الآخر ، إذا رأى
الأميرين بالمعروف ، والناهيين عن المنكر : جاءكم أهل الديك — بالكاف
بدل النون — ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم : هؤلاء الطلبة — بسكون
اللام — ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة ، مما هو أعظم من قول
الذين تزلت فيهم الآية •

النوع الثاني غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل :

(٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(١) النحل : ٦ ، ١٠٧

الرمز بالعين • واخراج اللسان • ومد الشفة • والغسزة باليد عند كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •

الأمر السادس : ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة الى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر • والدليل على ذلك قول الله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسقطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ، قل افانذبتكم بشر من ذلكم ، النار وعندها الله الذين كفروا ، وبئس المصير » (١) • فذكر الله هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها •

الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة والدليل قول الله : « ذلك بأنهم كسروا ما أنزل الله فاجتبط أعمالهم » (٢) •

الأمر الثامن : عدم الاقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث • والمجادلة في ذلك • والدليل على ذلك قول الله تعالى : « ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يفردك تقلبهم في البلاد » (٣) •

الأمر التاسع : جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئاً مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخلوا بين ذلك سبيلاً • اولئك هم الكافرون حقيقاً ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » (٤) • وهذا اخص من الذي قبله •

الأمر العاشر : الاعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك ، والدليل قوله تعالى : « والذين كفروا عما أنذروا معرضون » (٥) • الأمر الحادي عشر : كراهة اقامة الدين والاجتماع عليه ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي

(٢) محمد : ١

(٤) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

(١) الحج : ٧٢

(٣) غافر : ٤

(٥) الاحقاف : ٣

أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من
يشاء ويهدي إليه من ينيب (١) فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا
بمشارك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر .

الأمر الثاني : السحر . تعلمه وتعليمه والعمل بموجبه ،
والدليل قول الله تعالى : « وما يعطيان من أحد حتى يقولوا انما نحن
هتة فلا تكفر » (٢) .

الأمر الثالث عشر : انكار البعث ، والدليل قول الله تعالى :
« وان تعجب فعجب قولهم اننا ترابا اننا لفي خلق جديد ، أولئك
الذين كفروا بربهم » (٣) . الى قوله : « خالدين » .

الأمر الرابع عشر : التعاطف الى غير كتاب الله وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير : كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات
والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز
خان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ،
لمحاصر في بيته يقدموه على الحكم بالكتاب والسنة ، ومن فعل ذلك فهو
كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواء في
قليل ولا كثير .

قال تعالى : « افصمكم الجاهلية يفتنون ، ومن أحسن من الله حكما
فقوم يوقنون » (٤) .

قلت : ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم ،
من تحكيم عادات آبائهم (وما) وضبطه أوائلهم من الموضوعات الملعونة
التي يسمونها شرع الرفاقة ، يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله .
ومن فعل ذلك فانه كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب
الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين

(٢) البقرة : ١٠٢

(٤) المجادلة : ٥٠

(١) الشورى : ١٣

(٣) الرعد : ٥

الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف^(١) البادية وكانوا « الأمراء » المطاعين ، ويروى أن هذا هو الذي ينبغى الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من « منهاج السنة النبوية » ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فلنكوننكم هم الكافرون »^(١) . فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وان كان قد يقال : ان بعضها يغنى عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جدا وقد ذكر صاحب « الاقناع » أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد اسلامه ، وقد لخصت منه مواضع يسيرة ، فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقا .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعا . ومنه قوله : أو وجد منه امتهان القرآن ، أى فيكفر بذلك .

ومنها قوله : وسخر بوعده الله أو وعيده ، أى فيكفر بذلك . ومنها قوله : أو لم يكفر من دان بغير الاسلام ، أو شك في كفرهم ، أى فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع . قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم واعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك أكد وأشد من تحريم الحشيشة .

(١) أى عادات أهل البادية . (٢) المائدة : ٤٤

ومنها قوله : ومن سب الصحابة أو أحدا منهم ، واقرن بهبه بدعوى .
أن عليا اله أو نبى أو أن جبريل غلط ، فلا شك فى كفر هذا ولا شك
فى كفر من توقف فى تكفيره •

ومنها قوله : أو زعم أن للقرآن تأويلات باطنية تسقط الأعمال
المشروعة ، ونحو ذلك ، فلا خلاف فى كفر هؤلاء •

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى
عليه وسلم الا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا ،
فلا ريب أيضا فى كفر قائل ذلك ، بل من شك فى كفره فهو كافر •
اتمى ملخصا وعزاه « الصارم المسلول » •

ومنها قوله : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله صلى
عليه وسلم ، فقد كفر ، لقوله تعالى : « (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) (١) » •
قلت : فاذا كان من جحد مدلول آية كفر • ولم تنفعه الشهاداتان
ولا الاتساع الى الاسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية
أو أربعين ؟ أفلا يكون كافرا لا تنفعه الشهاداتان ولا ادعاء الاسلام ؟
بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس
الذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه •

ومنها قوله : أو جحد الخبز أو اللحم والماء ، أى فيكفر بذلك •
ومنها قوله : أو أحل الزنا ونحوه ، أى فيكفر بذلك ، ومن أحل
الركون الى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفرا ممن أحل الزنا
بأضعاف مضاعفة •

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى فى هذا الباب لا يمكن حصره •
حتى ان بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها
بالارتداد عن الاسلام ، وأنه يستتاب منها • فان تاب والا قتل مرتدا •
ولم يغسل ولم يصل عليه ، ولم يدفن مع المسلمين • وهو مع ذلك •
يقول : لا اله الا الله ، ويفعل الأركان الخمسة ، ومن له أدنى نظر
واطلاع على كلام أهل العلم ، فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك •

وأما هذه الأمور التى تقع فى هذه الأزمان من المنتسبين الى
الاسلام ، بل من كثير ممن ينتسب الى العلم ، فهى من قواصم الظهور •

وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ولولا ظهور
الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجا لمن ينبه عليه .

* * *

فصل

وأما المسألة الثالثة وهى ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ،
وأظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن اظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الحال الأولى : أن يوافقهم فى الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره
ويميل اليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الاسلام ، سواء
كان مكرها على ذلك أو لم يكن . وهو ممن قال الله فيه «ولكن من شر
بالكفر صنعا فليهم نفسه من الله ولهم عذاب عظيم» (١) .

الحال الثانى : أن يوافقهم ويميل اليهم فى الباطن مع مخالفته
لهم فى الظاهر ، فهذا كافر أيضا ، ولكن اذا عمل بالاسلام ظاهرا انصم
ماله ودمه ، وهو المنافق .

الحال الثالث : أن يوافقهم فى الظاهر مع مخالفته لهم فى الباطن
وهو على وجهين :

أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه فى سلطانهم مع ضريحهم وتقييدهم له ،
ويهددونه بالقتل ، فيقولون له : اما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا ،
والا قتلناك ، فانه والحالة هذه يجوز له موافقتهم فى الظاهر مع كون
قلبه مطمئنا بالايمان ، كما جرى لعمار حين انزل الله تعالى : «من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان» (٢) وكما قال تعالى :
«الا أن تتقوا منهم تقاة» (٣) فالأيتان تبينان أن من خاف شرهم فله
أن يتقيه بظاهره ، لا بباطنه ونيتة كما نبه عن ذلك ابن كثير فى تفسير
آية آل عمران .

الوجه الثانى : أن يوافقهم فى الظاهر مع مخالفته لهم فى الباطن ،
وهو ليس فى سلطانهم ، وانما حمله على ذلك اما طمع فى رئاسة أو مال
أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خبوف مما يحدث فى المال ، فانه فى

(١) آل عمران : ٦٨

(٢) النحل : ١٠٦

هذه الحال يكون مرتدا ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو من قال الله فيهم : « ذلك بانهم استحَبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين » (١) . فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بفضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذرا ، فانه من تزين الشيطان . وتسويله ، وذلك أن بعضهم اذا خوفه أولياء الشيطان خوفا لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك اظهار الموافقة للمشركين ، والالتقياد لهم . وآخر منهم اذا زين له الشيطان طمعا دنيويا ، تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكره ، وقد ذكر العلماء صفة الاكراه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكروه ، فليس في كلمات الكفر كالاكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص في غير موضع على أن الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قيد . ولا يكون الكلام اكراها . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له الا اذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة اكراها ولفظه في موضع آخر : لأنه أكرهها ، ومثل هذا لا يكون اكراها على الكفر ، فإن الأسير ان خشي الكفار ، أن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر » اهـ .

والمقصود منه ان الاكراه على كلمة الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب أو قتل ، وأن الكلام لا يكون اكراها ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته ، لا يكون اكراها . فاذا علمت ذلك ، وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ، وقد عاد غريبا ، فأغرب منه من يعرفه على الحقيقة . وبالله التوفيق .

فصل

وأما المسألة الرابعة : وهي مسألة اظهار الدين ، فان كثيرا من الناس قد ظن أنه اذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلى الصلوات الخمس ، ولا يرد عن المسجد ، فقد أظهر دينه وان كان مع ذلك بين المشركين ، أو فى أماكن المرتدين ، وقد غلطوا فى ذلك أقبح الغلط .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات ، وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفران ، اشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهرا لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه ، فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، والنهي عن الشرك والتحذير منه . ومن كان كفره بجحد الرسالة ، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعوة الى اتباعه ، ومن كان كفره بترك الصلاة ، فإظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمر بها ، ومن كان كفره بموالاتة المشركين والدخول فى طاعتهم ، فإظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين .

وبالجملة فلا يكون مظهرا لدينه الا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذى صار به كافرا ، وبرأته منه . ولهذا قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : عاب ديننا ، وسفه أعلامنا ، وشتم آلهتنا .

وقال الله تعالى : « قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى توفاكم ، وامرت ان أكون من المؤمنين . وان أقسم وجهك للدين حليفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين » (١) . فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم : « يا أيها الناس ... » الى آخره ، أى اذا شكتم فى الدين الذى أنا عليه فدينكم الذى أقسم عليه أنا برىء منه ، وقد أمرنى ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : « قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا ألتزم عابدين ما أعبد » (١) الى آخر السورة ، فأمر الله رسوله صلى الله وسلم أن يقول للكفار : دينكم الذي أتم عليه أنا بريء منه ، ودينى الذى أنا عليه أتم برآء منه ، والرأء التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه بريء منهم ومن دينهم •

فمن كان متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم (فعليه) أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهرا لدينه الا بذلك ، ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وأذاهم المشركون ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ولو وجد لهم رخصة فى السكوت عن المشركين لما أمرهم (بالهجرة) الى بلد الغربة •

وفى السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل الى العرض فى مسيره الى أهل اليمامة لما ارتدوا ، قدم مائتى فارس وقال : من أصبتم من الناس فخذوه ، فأخذوا مجاعة فى ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، فلما وصل الى خالد قال له : يا خالد .. لقد علمت أنى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فبايعته على الاسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان يك كذابا قد خرج فينا ، فان الله يقول : « ولا تذر واردة وزر أخرى » (٢) فقال : يا مجاعة .. تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة — وقد بلغك مسيرى — اقرارا له ورضاء بما جاء به ، فهلا (أبديت) عذرا وتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم ثمانية فرد وأنكر ، وتكلم الشكرى •

فان قلت : أخاف قومى ، فهلا عملت الى أن بعثت الى رسولا ؟ فقال : ان رأيت يا ابن المغيرة أن تمضو عن هذا كله ؟ فقال : قد خفت عن دمك ، ولكن فى نفسى حرج من تركك • انتهى •

وسياتى فى ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : ان الرجل اذا كان فى بلد كفر ، وكان يقدر على اظهار دينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذى هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عدو لهم • فان لم يحصل ذلك ، لم يكن اظهار الدين حاصلا •

فصل

وأما المسألة الخامسة : وهى مسألة الاستضعاف ، فإن كثيرا من الناس ، بل أكثر من ينتسب الى العلم فى هذه الأزمان غلطوا فى معنى الاستضعاف ، وما هو المراد به •

وقد بين الله ذلك فى كتابه بيانا شافيا ، فقال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » (١) •

فبين تعالى مقاتلتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم •

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم وليا يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعل لهم فاصرا ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم . وقال تعالى : « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » (٢) • فذكر فى هذه الآية حالتهم التى هم عليها : وهى أنهم لا يستطيعون حيلة •

قال ابن كثير : لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال : « لا يستطيعون حيلة » . قال عكرمة : يعنى نهوضا الى المدينة « ولا يهتدون سبيلا » • قال مجاهد وعكرمة : يعنى طريقا • انتهى •

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين وهم مع ذلك : « يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » (٣) • وهم مع ذلك (يعرفون) الطريق ، فمن كانت هذه حاله ومقاله : « فاولئك عسى الله أن يعلسو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا » (٤) •

(٢) النساء ٩٨

(٤) النساء ٩٩

(١) النساء : ٧٥

(٣) النساء : ٧٥

واما اذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ، ولم يمنعه من ذلك .
الا المشحة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فان الله تعالى لم
يعذر من اعتذر بذلك ، وسماه ظلما لنفسه . فقال تعالى :
« ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ،
فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا (١) » .

وفى تفسير الجلالين قوله : « ظلالى انفسهم » بالمقام بين المشركين ،
وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة فى كل من أقام بين
ظهرانى المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكنا من اقامة
الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع وبنص الآية حيث يقول :
« ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم » أى بترك الهجرة :
« قالوا فيم كنتم » . أى لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ؟
« قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة .
فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

وروى أبو داوود عن سمرة بن جندب مرفوعا : « من جامع للمشرك
وسكن معه فانه مثله » .

وقال السدى : لما أسر العباس وعقيل وفوئل : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للعباس : « أفد نفسك وبر أخويك » قال :
يا رسول الله .. ألم نصل الى قبلك ونشهد شهادتك ؟ قال : « يا عباس
انكم خاصمتم فخصمتم » . ثم تلا هذه الآية : « ألم تكن أرض الله واسعة .
فتهاجروا فيها » (٢) الآية . رواه ابن أبى حاتم . انتهى .

والمقصود منه : بيان مسألة الاستضعاف ، وأن المستضعف هو
الذى لا يستطيع حيلة ولا يتهدى سبيلا ، وهو مع ذلك يقول :
« ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لئلك وليا
واجعل لنا من لئلك نصيرا » (٣) وببيان ان الذى يعتذر بوطنه
أو عشيرته أو ماله ، ويدعى أنه يكون بذلك مستضعفا كاذب فى دعواه ،
وعذره غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل
العلم لشريعة الله .

(٢) النساء : ٩٧

(١) النساء : ٩٧

(٣) النساء : ٧٥

فصل

وأما المسألة السادسة : وهي وجوب الهجرة وأنها باقية ، فالدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه أحمد وأبو داود .

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال : حدث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » . قال ابن كثير : معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم ، بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم .

ولهذا روى أبو داود : « لا تترأى نارهما » وفي الحديث الآخر : « من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله » . فقال تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (١) .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر (معبر) فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين واكرموا فاستغفروا لهم ، فنزلت : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم » الآية .

وفى الضحاك : نزلت في أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبتهم . ذكره ابن كثير ثم قال : فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهرائى المشركين ، وهو أدر على الهجرة ، وليس متمكنا من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراما بالاجماع ، وينص الآية حيث يقول : « ان الذين توفاهم الملائكة ظلالى انفسهم ... » .

وفى أجوبة آل الشيخ لما سئلوا : هل يجوز للانسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : ان كان يقدر على اظهار دينه (و) لا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة كأيى بكر رضى الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد فى مسنده وغيره ، وان كان لا يقدر على اظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه نحمل الأحاديث التى تدل على النهى عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز ، وأيضا فقد يجزه ذلك الى موافقتهم ورضاهم كما هو الواقع الكثير ممن يسافر الى بلدان المشركين من خساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس فى بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة : والجواب عن التى قبلها سواء ، ولا فرق فى ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها لا يجوز السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين . وبين المدة البعيدة ؟ فكل بلد لا يقدر على اظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاته المشركين ، لا يجوز له المقام ولا يوما واحدا ، اذا كان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفى أجوبة أخرى : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين ، وأجبه ويحب من دخل فيه ، ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الاسلام ويقاتلون أهله ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلما هذا أم كافرا ؟

الجواب : أما الرجل الذى عرف التوحيد وآمن به ، وأجبه وأحب الله ، وبغض الشرك وأبغضه وبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر لشرك ولم يهاجر ، فهذا فيه تفصيل ، فان كان يقدر على اظهار دينه عنهم ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين ، ونظمهم لهم كفرهم (١٩ - مجموعة التوحيد)

وعداوتهم لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكن اذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية : « ان الدين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » (١) الايتان ، فلم يغدر الله الا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلا ، ولكن قل أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل اما قتلوه واما أخرجوه . وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حق ، فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير اكراه ، فدخل في قوله : « ولكن من شرح بالكفر صدرا » (٢) الآيات .

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم . وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هذا الأمر حق ، ولا أغير منكرا ولا أمر بمعروف ، وينكر على الموحدين اذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء والأجداد .

والذى يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه (أن) يقوله جهارا ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة ، اذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التى يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكافر والمسلم الذى بين أظهرهم ، ولا يمكنه اظهار دينه ، تجب عليه الهجرة اذا لم يكن ممن عذره الله ، فان لم يهاجر ، فحكمه حكمهم فى القتل وأخذ المال . انتهى .

وفى هذه الأجوبة مسائل : منها بيان المستضعف ، وأنه الذى لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم الذى لم يقدر على اظهار دينه واجبة عليه الهجرة ، وقد تقدم أيضا . ومنها صفة اظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوتهم لهم ، ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضا . ومنها بيان أنه اذا فعل ذلك أعنى مصرح بكفرهم ، وعداوتهم لهم ، فانهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل اما قتلوه أو أخرجوه .

قلت : وقد أخبر الله بذلك جميع الكفار ، فقال تعالى : « وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا ، فاوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » (١) .

وقال تعالى اخبارا عن قوم شعيب : « قال ألا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن في ملتنا ، قال أو لو كنا كارهين » (٢) .

وقال تعالى اخبارا عن أصحاب الكهف : « أنهم ان يظهروا عليكم » الآية ، وقوله « يرجعوك » (٣) أى يقتلوكم بالرجم .

وهذا الذى أخبر الله به ، وأشار إليه أئمة الاسلام ، وهو الواقع فى هذه الأزمان .

فان المرتدين بسبب موالاتهم المشركين والدخول فى طاعتهم ، لا يرضون الا بمن وافقهم على ذلك ، واذا أنكروه عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، بل سعوا فى قتله ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

والله المستعان

(١) ابراهيم : ١٣ ، ١٤ (٢) الاعراف : ٨٨

(٣) الكهف : ٢٠

الرسالة الثالثة عشرة :

هذا بيان المحبة في الرد على اللجة

تأليف

شيخنا وامامنا ناصر السنة الشيخ عبد الرحمن بن حسن
ابن شيخ الاسلام ومفتى الانام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
اسكنهم الله الجنة بغير حساب آمين والمسلمين اجمعين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد
ابن عبد الوهاب أجزل الله لهم الثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب :
اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك
الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت
ملك السموات والأرض . من فيهن ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له « الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا . واتخذوا من دونه
آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ،
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا » (١) .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قال الله خطابا له :
« يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا » (٢) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، ومن أذهب الله
عنهم الرجس ، وظهرهم تطهيرا .

أما بعد .. فاني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن
وقد سئل عن أبيات من « البردة » وما فيها من الغلو والشرك العظيم
المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية
والالهية لغير الله ، كما هو صريح الأبيات المذكور في « البردة » .

ولا يخفى على من عرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الذى لا يغفره لمن لم يتب عنه ، وأن الجنة عليه حرام ، وذكر الشيخ فى جوابه أن الآيات المذكورة تضمنت الشرك ، وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله •

فاعترض عليه جاهل ضال فقال ميرثا لصاحب الآيات من ذلك الشرك بقوله : حماء الله من ذلك ، ويكفيه فى نفى هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

❖ دع ما ادعته النصارى فى نبهم ❖

البيت المطابق لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » •

الجواب : أن هذه التبرئة انما نشأت عن الجهل وفساد التصرف ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده ، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته • وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ، لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جعل التوحيد ، كما قال تعالى فى حق من هذا وصفه :

« وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ، ان ربك هموا اعلم بالمعتدين » (١) •

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيرا من هذه الأمة ، فظهر فيها ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لسلختموه » قالوا : يا رسول الله • اليهود والنصارى ؟ • قال : « فمن » ؟ ونحو هذا من الأحاديث • وقوله : ويكفيه فى نفى هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

❖ دع ما ادعته النصارى فى نبهم ❖ البيت

الجواب : أن هذا يزيد شناعة ومقتا ، لأن هذا تناقض بين ، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول • فليقد وقع فيما وقعت فيه النصارى ،

من الغلو العظيم الذى نهى الله عنه ورسوله ، ولعن النبى صلى الله عليه وسلم من فعله أو فعل ما يوصل اليه بقوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم ، انما أنا عبد ، فقالوا عبد الله ورسوله » . وقوله لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال : « أجعلتنى لله ندا ، بل ما شاء الله وحده » . وقال : « أنه لا يستغاث بى ، وانما يستغاث بالله عز وجل » . فلقد حذر أمته وأنذره عن الشرك ووسائله وما دق منه وجل ، ودعا الناس الى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك ، وجاهدتهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا فى هدم الأوثان وأزالتها كما هو مذكور فى كتب الحديث والتفسير والسير ، كما فى حديث أبى الهيثم الأسدي الذى فى « الصحيح » قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ألا أبئثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إلا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته » .

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لهدم مناة ، وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى ، وقطع السموات التى كانت تعبد بها قريش وهذيل ، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها ، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التى كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضى الله عنهم تعاقدوا هذا الأمر ، واعتنوا بإزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما يقع فى أمته من الاختلاف ، كما فى حديث العرباض بن سارية قال : « فاته من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . . . » الحديث ، فوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وعظم الاختلاف فى أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

فانظر الى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عمت هذه البلية فى كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد فى أفاس ينسبون الى العلم .

قال سليمان التميمي : لو أخذت كل عالم لاجتمع فيك السر كله ، فانا لله وانا اليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني كما أطرت النصارى (عيسى) ابن مريم » .

أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهى عنه لا في المنهى ، فالذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الاطراء مطابقة الأبيات من قوله :

يا أكرم الخلق مالى من الود به سواك .. الى آخرها

فقد تضمنت غاية الاطراء والغلو الذى وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فانه قصر خصائص الالهية والربوبية التى قصرها الله على نفسه ، وقصرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرفها لغير الله ، فان الدعاء مخ العبادة ، واللياذ من أنواع العبادة ، وقد جمع فى آياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والاتجاء والرغبة الى غير الله ، فان غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هى أنواع العبادة (التى) ذكرها الله تعالى فى مواضع كثيرة من كتابه وشكرها لمن قصرها على الله ، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى : « هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين » (١) . وقوله : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » (٢) . وقوله : « وأنه لما قسم عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربى ولا أشرك به احدا . قل انى لا املك لكم ضررا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله احد ، ولن اجد من دونه ملتحدا » (٣) الآية .

فهذا هو الدين الذى بعث الله (به) نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وامره ان يقول لهم : « انما ادعوا ربى ولا أشرك به احدا » (٤) فقصر الدعاء على ربه الذى هو توحيد الالهية . وقال : « قل انى لا املك لكم ضررا ولا رشدا » الى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية ، فوجد الله فى الهيته وربوبيته ، وبين

(١) غافر : ٦٥ . (٢) غافر : ٦٠ .
(٣) الجن : ١٩ - ٢٢ . (٤) الجن : ٢٠ .

للأمة ذلك ، كما أمره الله تعالى . وقال تعالى : « فإذا فرغنا فانصب .
والى ربك فارغب » (١) .

أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : « أنهم كانوا يسارعون
فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاضعين » (٢) .

وفى عن الاستمادة بغيره بقوله تعالى عن مؤمنى الجن :
« وأنه كان رجال من الانس يموذون برجال من الجن فزادوه
وهقا » (٣) .

واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن
بحديث خولة بنت حكيم مرفوعا : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات
الله التامات من شر ما خلق ... » الحديث . على أن القرآن غير
مخلوق ، اذ لو كان مخلوقا لما جاز أن يستعاذ بمخلوق ، لأن الاستعادة
بالمخلوق شرك ، وأمثال ذلك فى القرآن والحديث كثير ، يظهر بالتدبر .

وأما قول المعترض : ان النصارى يقولون : ان المسيح ابن الله ،
نعم قاله طائفة ، وطائفة قالوا : هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا :
هو ثالث ثلاثة ، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ،
فأنكر الله عليهم تلك الأحوال فى المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من
الشرك ، كما قال تعالى : « اتخذوا أجباهم وذهباتهم آرباءا من دون
الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا ، لا إله الا هو ،
سبحانه عما يشركون » (٤) .

فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأجبار والرهبان . أما المسيح
فعبادتهم له بالتأله ، وصرف خصائص الالهية له من دون الله ، كما
قال تعالى : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى
وامى إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس
لى بحق » (٥) . فأخبر أن الالهية وهى العبادة حبق الله لا يشركه
فيها أولوا العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله : « ما قلت لهم الا ما أمرتنى
به ، ان اعبدوا الله ربى وربكم » (٦) .

(٢) الانبياء : ٩٠

(٤) التوبة : ٣١

(٦) المائدة : ١١٧

(١) الشرح : ٧ ، ٨

(٣) الجن : ٦

(٥) المائدة : ١١٦

وأما عبادتهم للأجبار والرهبان فانهم أطاعوهم فيما حللوه ابراهيم .
من الحرام ، وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدى بن حاتم رضى الله عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراره الى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم نصرانيا ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ، تلا هذه الآية : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » (١) .

قال : يا رسول الله . . . لسنا نعبدهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلوه ، ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه » ؟ قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » فيه بيان أن من أشرك مع الله غيره في عبادته ، وأطاع غير الله في معصيته فقد اتخذ ربا ومعبودا ، وهذا بين والحمد لله . فلو تأمل هذا الجاهل المعترض قول الله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الة » (٢) .

لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعالهم ، وعلى كل من عبد معه غيره بأى نوع كان من أنواع العبادة . لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد ، وألفوا الشرك ، وأجسوه ، وأجسوا أهله ، فترى مآب هذا الداء العضال الى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل ، ووساوس الشيطان . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم الا بالتجرد عن الهوى والعصية ، والاقبال عن تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذى بعث الله به المرسلين ، كما قال تعالى : « يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » (٣) . ومثل قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » (٤) .

أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب الى أن يخلصوا العبادة لله وحده .

(٢) المؤمنون : ٩١
(٤) آل عمران : ٦٤

(٢) التوبة : ٣١
(٣) يونس : ٥٧

ولا يشركوا فيها أحدا من خلقه ، فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم .

وتأمل قوله : « كلمة سواء بيننا وبينكم » .

وهذا هو التوحيد الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم الى جميع من ارسل اليه ، كما قال تعالى : « قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ، اليه ادعوا واليه مآب (١) » . وقوله : « ولا تشرك به شيئا » يعنى كل شرك دق او جل ، كثر او قل .

قال العباد بن كثير فى تفسيره : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم ، وقوله : « سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا » (٢) .

لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له .

قلت : وهذا هو معنى : « لا اله الا الله » ، ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل .

قال الله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه الله لا اله الا انا فاعبدون » (٣) .

وقال : « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) . انتهى المقصود .

وقال رحمه الله فى تفسير قوله : « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » (٥) .

قال محمد بن اسحاق ، حدثنا محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول

(٢) آل عمران : ٦٤
(٤) النحل : ٣٦

(١) الرعد : ٣٦
(٣) الانبياء : ٢٥٠
(٥) آل عمران : ٧٩

الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقان له الرئيس : (أو تريد) ذاك منا يا محمد ؟ واليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله وما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل فى ذلك : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » (١) . الى قوله : « بعد اذ أنتم مسلمون » (٢) . وقوله : « ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » أى ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدونى من دون الله ، أى مع الله . وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا لمرسل ، فالآن لا يصلح لأحد من الناس بطريق الأولى والأخرى .

ولهذا قال الحسن البصرى : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا ، يعنى أهل الكتاب . وقوله : « ولا ياأمركم » (٣) بعبادة أحد غير الله ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل : « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، ياأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون » (٤) . أى لا يفعل ذلك لأن من دعا الى عبادة غير الله فقد دعا الى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (٥) . وقال : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (٦) . وقال فى حق الملائكة : « ومن يقل منهم أنى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين » (٧) انتهى وهو فى غابة الوضوح .

وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والالهية ، ونظائر هذه الآيات كثيرة فى القرآن ، وفى السنة من الأحاديث كذلك .

فاذا كان من المستحيل عقلا وشرعا على رسول الله صلى الله عليه

(٢) آل عمران : ٨٠

(٣) الزخرف : ٤٥

(١) آل عمران : ٧٩

(٢) الانبياء : ٢٥

(٥) الانبياء : ٢٩

وسلم هو وجميع الأنبياء والمرسلين أن يأمرُوا أحدا بعبادتهم ، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب « البردة » :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم ١٩

وقد اخلص الدعاء الذى هو مخ العبادة ، واللياذ الذى هو من أنواع العبادة وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغانة والاتجاء الى غير الله ، وهذه هى معظم العبادة كما أشير الى ذلك ، كما قال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (١) . وقوله : « قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . له اصحاب يدعونه الى الهدى اتنا » (٢) الى قوله : « قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير » (٣) .

وعن أنس مرفوعا : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى (٤) .

وقوله :

ان لم تكن فى معادى آخذاً بيدى فضلا والا فقل يا ذلة القدم المنافى لقوله تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » (٥) . وقوله : « قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا » (٦) . وقوله : « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا » (٧) الآية .

وفى الحديث الصحيح قال لابنته — فاطمة — وأحب الناس اليه : « يا فاطمة بنت محمد ! سلينى من مالى ما شئت ، لا اغنى عنك من الله شيئا » فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من التضاد والتباين ، ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى ، وذكره رسوله صلى الله عليه

(١) الرعد : ١٤ (٢) الانعام : ٧١

(٣) الانعام : ٧٤

(٤) وسنده ضعيف ، وانما صح عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ : « الدعاء هو العبادة » رواه احمد وغيره بسند صحيح .

(٥) الانفطار : ١٧ — ١٩ (٦) الجن : ٢١

(٧) الاعراف : ١٨٨

وسلم كتوله : « ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون » (١) .

وتأمل ما ذكره العلماء فى سبب نزول هذه الآية . وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ، ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً واضل الناس بغير علم ، كتوله تعالى : « والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون » (٢) .

وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه ، اللهم الا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة ، والله أعلم .

وأما قوله :

✽ فان من جودك الدنيا وضرتها ✽ البيت

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود الا بما يملكه فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ، وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذى خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلها غير ، سبحانه رب العزة عما يصفون .

وفى الحديث الصحيح : « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدنى الله يرحمته » . وقد قال تعالى : « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » (٣) وقوله : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير » (٤) . وقوله : « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله ، كتب على نفسه الرحمة » (٥) . وقوله : « وان لنا الآخرة والأولى » (٦) فلا شريك لله فى ملكه ، كما لا شريك له فى الهبته وربوبيته والآيت فى هذا المعنى كثيرة جدا .

وقوله : ✽ ومن علومك علم اللوح والقلم ✽

وهذا أيضا كالأذى قبله ، لا يجوز أن يقال إلا فى حق الله تعالى الذى احاط علمه بكل شيء ، كما قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة »

(٢) هود : ١٢٣

(٤) الملك : ١

(٦) الليل : ١٣

(١) آل عمران : ١٢٨

(٣) النساء : ١٢٤

(٥) الانعام : ٢

وهو الحكيم الخبير» (١) . وقال : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » (٢) . وتوله : « قل لا أقول لكم لى خزائن الله ولا أعلم الغيب » (٣) . وقال تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (٤) .

وقال تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » (٥) . والآيات في هذا المعنى كثيرة تنوق الحصر .

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ليبيّنها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه .

وقال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول » (٦) . وتوله في آية الكرسي : « ولا يحيطون بشيء من علمه » (٧) .

فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه اليهم ، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم .

كما قال تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » (٨) .

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك ، أطلع الله عليه رسوله ، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله ، وآمنوا به .

وأما احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ، وما كان منها ما لم يكن ، فذاك إلى الله وحده ، لا يضاف إلى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فما أجراً هذا القائل على الله في سلب حقه ، وما أعدام

(١) الانعام : ٧٣	(٢) يونس : ٦١
(٣) الانعام : ٥٠	(٤) الانعام : ٥٩
(٥) النمل : ٦٥	(٦) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٧) البقرة : ٢٥٥	(٨) هود : ٤٨

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين ؟^١
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب .
رضي الله عنه : انما تنقض ترى الاسلام عروة (عروة) اذا نشأ في
الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه . ووقع
فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه
اهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه أو دونه ، فتنتقض بذلك عرى
الاسلام ، ويعود المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والبدعة سنة
والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبعد
بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومفارقة الأهواء والبدع .
ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان . ه .

قلت : وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم
في هذه الأزمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبدع ، واستحسنوا ذلك ،
وأنكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلوا
وأضلوا .

وأما قول الناظم :

✽ فان لي ذمة منه بتسميتي محمدا ✽ . . . البيت

فهذا من جهله ، اذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل ،
أن الاتفاق في الاسم لا ينفع الا بالموافقة في الدين واتباع السنة
(قولاية) الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه على دينه ، والعمل بسنته ،
كما دل عليه الكتاب والسنة . كما قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل
شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون .
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل » الى قوله : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) .

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان
يحوطه ويحميه وينصره ، ويجمع القبائل على نصرته صلى الله عليه

وسلم ، وحمايته من أعدائه ، وقد قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم :
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
حدثت بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلال

ولم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب ، ومات على ذلك ، وقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأقر الله
سبحانه : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى من بعض ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » (١) .
فلا وسيلة للعبد الى نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الا بالايمان
به ، وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لا شريك له ،
ومحبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة الى ما بعث به من
دين الله ، والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع وما لا فلا :
فعكس الملحدون الأمر ، فطلبوا الشفاعة التي بعث الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بالنهي عنها وانكارها وقتال أهلها ، واحلال دمائهم وأموالهم ،
وأضافوا الى ذلك افكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي
صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله من
قوله : ويكره الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد الى آخر كلامه .
وأما قول الناظم :

✽ ولن يضيق رسول الله جاهك بى ✽ ... البيت .

فهذا هو الذى ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا
لهم ويقربوهم الى الله زلفى .

قال الله تعالى : « انا انزلنا السك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين . الا الله الدين الخالص » (٢) .

فهذا هو دين الله الذى لا يقبل الله من أحد دينا سواه ، ثم ذكر
بعد ذلك دين المشركين فقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان
الله لا يهدي من هو كاذب كفار » (٣) .

فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم : « ما نصبرهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

وقال في آخر هذه السورة : « ام تدخلوا من دون الله شفعاء ، قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا » (١) .

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء اليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذى له ملك السموات والأرض ، كما قال تعالى : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (٢) . فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم الضلال .

ولهذه الآية ايضا نظائر كثيرة ، كقوله : « ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان ندعوهم لا يسمعوا دعاءهم ولو سمعوا ما يستجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير » (٣) .

فبين أن دعوتهم غير الله شرك بالله ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئا ، وأنه لا يسمع دعاء الداعى ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، ويتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة فمن تأمل هذه الآيات اتراحت عنه بتوفيق الله وفتح جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية فى حرمان من أنزل حوائجه بغير الله ، واتخذ شفعاء من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه . واعتماده فى حصول الشفاعة عليه — كما قد تضمنه بيت الناظم — قول الله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » (٤) .

(٢) الاحقاف : ٦ ، ٥

(١) الزمر : ٤٣ ، ٤٤

(٤) يونس : ١٨

(٣) فاطر : ١٣ ، ١٤

(٢٠ - مجموعة التوحيد)

فأظفر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله ، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (١) . وقال : « وألذ به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » (٢) .

فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن ، فأنما ثبتت بقيدتين عظيمين : اذن الرب تعالى للشفيع ، ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى الأديان الستة المذكورة في قوله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا » (٣) الآية ، الإيمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص ، كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (٤) .

وقال : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيئته مشفقون » (٥) .

وقال : « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٦) . وقال تعالى : « ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض » الى قوله : « ما من شفيع الا من بعد اذنه » (٧) .

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر شفاعته قال : « وهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » .

قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فذلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون . لمن أشرك بالله وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلييس هذا المعترض الملبس ولجأه وافتراءه على الله ورسوله ،

(٢) الانعام : ٥١

(٤) البقرة : ٢٥٥

(٦) النجم : ٢٦

(١) البقرة : ٢٥٤

(٣) الحج : ١٧

(٥) الانبياء : ٢٨

(٧) يونس : ٣

فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافى التوحيد . وأن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم ، والالتجاء اليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي ، وقد نهى الله عن ذلك ، وبين أن الشفاعة له ، فإذا كانت له وحده ، فلا تطلب إلا ممن هي ملكه فيقول : اللهم شفّع نبيك في ، لأنه تعالى هو الذى يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه ، فهو الاخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : ان المعتزلة احتجوا بالآيات التى فيها نهى الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين ، فأقول : لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل فى آيات سلطان مع المعتزلة فى طرفى تقيض ، تقول : أن الشفاعة ثبتت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها موجبا لحصولها .

والقرآن قد نفى ذلك وأبطله فى مواضع كثيرة بحمد الله ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب اليه فيها . وأخلص له العبادة بجميع أنواعها . فهذا هو الذى تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعد أن دخلها بذنوبه ، فهذا هو الذى يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص ، كما صرحت بذلك الأحاديث ، والله أعلم .

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما فى القرآن من ذكر الشفاعة نفيا واثباتا . فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق ، فالشفاعة المنفية إنما هى فى حق المشرك الذى اتخذ له شفيعا يطلب الشفاعة منه ، فيرغب اليه فى حصولها ، كما فى البيت المتقدم . وهو كفر كما صرح به القرآن .

وأما الشفاعة التى أثبتها الكتاب والسنة ، فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين ، وهذا هو الذى تظاهرت عليه النصوص . واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به .

والحديث الذى أشار اليه المعترض من قوله : « أنا لها أنا لها » لا ينافى ما تقرر ، وذلك أن الناس فى موقف القيامة اذا فزعوا الى الرسل ليشفعوا لهم الى الله فى اراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب . نبي ذكر عذره . قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « فيأتونى ، فأخبر بين يدي الله ساجدا » أو كما قال : « أحمدته بمحمد »

يفتحها على : ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع » ، قال : « فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة » .

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع الا بعد السجود لله ، ودعائه وحمده ، والثناء عليه بما هو أهله . وقوله : « فيجد لي حدا » فيه بيان أن الله هو الذى يحدد له . وهذا الذى يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل ، هو من باب سؤال الحى الحاضر ، والتوسل الى الله بدعائه ، كما كان الصحابة رضى الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أن يدعو لهم اذا نابهم شئ ، كما فى حديث الاستسقاء وغيره .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئا من ذلك البتة ، ففرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رهم أئمة الأئمة وأفضلها بين حالتى الحياة والمات . وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد والخروج منه ، وفى الصلاة . الخطب ، وعند ذكره امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا قبرى عيداً . ولا ييوتكم قبورا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى أينما كنتم » ولما أراد عمر رضى الله عنه أن يستسقى بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا بنبيينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقوا .

فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم الى العباس ، فلما عدلوا عنه الى العباس ، علم أن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لا يجوز فى دينهم ، وصار هذا اجباغا منهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك . فقال أبو الحسن القدورى فى شرح « كتاب الكرخى » : قال بشير ابن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فتكره في قولهم • لأنه لا حق لغير الله عليه ، وإنما الحق لله على خلقه •

وقال في « شرح المختار » : ويكره أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك • لأنه لا حق للمخلوق على الخالق •

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به • والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه ، وأنجع بقضاء حاجته ، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله • ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويعبد بالسجود له ، والطواف وتقبيله ، واستلامه ، والرجوع إليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس لعبادته ، واتخاذ عيدا ومنسكا ، وأن ذلك نفع لهم في دنياهم وآخرتهم • قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب : أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ، ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس • قال : هؤلاء من جنس عباد الأصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه ، ويتمثل لهم الشيطان أحيانا • وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة • ثم ذكر المرتبة الثانية وهي : أن يسأل الله به ، وقال : وهو بدعة باتفاق المسلمين •

والثالثة : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين ، وهي محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين ، وإن كان كثيرا من الناس يفعل ذلك • انتهى •

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله به ورسوله من إخلاص العبادة لله وحده ، فانه الدين الذي بعث به ، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم من الشرك فما دونه ، كما قال تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فإنك إذن

من الظالمين» (١) . وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دله الدليل على من دين الله ، ولا يكون امعة يطير مع كل ريح ، فان الناس من محمد صلى الله عليه وسلم والأمم قبلها قد تنازحوا في ربهم وأسمائه ، وصفاته ، وما يجب له على عباده ، وقد قال تعالى : « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا » (٢) .

فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى : والتجأ الى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال .

وأما قول المعارض : فانظر الى « الشفا » تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة ، أى الكلمة التى ذكرها المجيب فى معنى قوله : « قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا » (٣) الآيات ذكر عبارات النفسى فى معناها ، وهى قوله : هو اظهار للعبودية ، وبراءة ما يختص بالربوبية من علم الغيب . أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ، ولا دفع ضرر . الى آخر كلامه . اذ من عادة هذا المعارض الجاهل رد الحق ، والمكابرة فى دفعه ، والغلو المتناهى ، والاغمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام أن المجيب انما أتى فى جوابه بتحقيق التوحيد ، ونفى الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى أمته عن كل ما يؤول بهم الى الغلو . ولما قيل له صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال : « يا أيها الناس . قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتى التى أنزلنى الله تعالى » .

والنبى صلى الله عليه وسلم هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفى الحديث : « فانك ان تكلنى الى نفسى تكلنى الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وانى لا أثق الا برحمتك . » الحديث .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف

(٢) النساء : ٥٩

(١) يونس : ١٠٦

(٣) الجن : ٢١

بذلك لربه . وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه صلى الله عليه وسلم وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقضا له ، بل هذا من تصديقه والايمان به .»

قال شيخ الاسلام رحمه الله : اذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفى خصائصه عما سواه ، لم يجوز أن يقال : هذا سوء عبادة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة ، فان المقام أجل من ذلك . وكل ما سوى الله يتلشى عن تجريد توحيده ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه . وان كان نفسه المسلوب ، كما في « الصحيحين » في حديث الافك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، قالت لها أمها : قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمده ، ولا أياكما ، ولا أحد الا الله الذي أنزل براءتي . فآقرها النبي صلى الله عليه وسلم وأبوها على هذا الكلام الذي نكت فيه أن تحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : بحمد الله لا بحمدك ، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب عليه صلى الله عليه وسلم .

وأخرج البيهقي بسنده الى محمد بن مسلم ، سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم : بحمد الله لا بحمدك اني لأستعظم هذا ، فقال عبد الله : ولت الحمد أهله .

وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم أتوب اليك ولا أتوب الى محمد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله » .

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله ، وتقصوا الهيته ، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده بها بين الأحياء والأموات ، هذا يصرفه لنبي ، وهذا ملوك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أندادا لله ، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فان عبادتهم للملائكة

والأنبياء والصالحين انما تقع فى الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين . وأمرهم بها ، كما قال تعالى :

« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » (١) . ونحو هذه الآية كثير فى القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع فى زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للالهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم سووهم بالله فى العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم فى النار : « تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين » (٢) .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهرى ، فخالد وما خالده ؟ ! أغرك منه كونه شرح (التوضيح) و (الأجرومية) فى النحو ؟ وهذا لا يمنع كونه جاهلا بالتوحيد الذى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف فى العقول ، كالفخر الرازى ، وأبى معشر البلخى ونحوهما ممن غلط فى التوحيد ، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوى وغيره ، فما أنكر ذلك فى شئ من كتبه ، ولا نقل عنه أحد انكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسرا تزداد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البينات ، كقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » (٣) . وقوله : « ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، الله . لا يفلح الكافرون » (٤) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار » .

وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات . عقوبة لهم ، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الانس ، .

(٢) الشعراء : ١٧ ، ١٨
(٤) المؤمنون : ١٧

(١) سبأ : ٤٠ ، ٤١
(٣) النساء : ٣٦

كما قد يقع كثيرا لعباد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعرا :
تخالف الناس فيما قد راوا ورووا
وكلهم يدعون الفوز بالظفر

فخذ بقول يكون النص بنصه
أما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات « البردة » عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية ، ومشاركة الله في عمله وملكه ، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والعلو ، فما ظنر هذا المعترض من ذلك بباطل ، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال ، والزور والمحال ، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه •

وأما قول المعترض : ورد في الحديث : « لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري » •

فهذا من الموضوعات ، لا أصل له • ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث ، وأنى له ذلك ؟ بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين •

وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن ، كما في الآية التي تأتي بعد ، وهي قول الله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن . لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما » (١) • ولها نظائر بين حكمة الرب في خلق السموات والأرض • وقوله : وكيف ينكر تصرفه في إعطاء أحد باذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته •

أقول : هذا كلام من اجتراً وافترى وأساء الأدب مع الله ، وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة • وهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام أن أحدا يتصرف يوم القيامة

فى ملكه ؟ ! ولو أطلقت هذه العبارة فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لادعاه كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له اذا دعاه : « سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء » (١) . وقال تعالى : « يسوم يات لا تكلم نفس الا بأذنه » (٢) وقال : « لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا » (٣) .

وهذا القول الذى قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر يقول : الذى يتصرف فى الكون سبعة : البدوى ، والامام الشافعى ، والشيخ الدسوقي . حتى اكمل السبعة من الأموات . هذا يقول هذا وليلى له شفاعه ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : « لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ، لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار » (٤) . الى قوله : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » (٥) .

وأى ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له فى الملك والتصرف ، وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله فى معنى قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعه عنده الا من اذن له » (٦) .

نفى الله عما سواه (كل ما) يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعه التى يظنها المشركون منتفیه كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده . ولا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع . وقال له أبو هريرة رضى الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال : لا اله الا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعه لأهل الاخلاص بأذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

(٢) هود : ١٠٥
(٤) غافر : ١٥ ، ١٦
(٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(١) الفرقان : ١٨
(٣) النبأ : ٣٨
(٥) غافر : ١٨

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص ،
فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له ان يشفع ليكرمه ، وينال المقام
المحمود ، فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت
الشفاعة باذنه فى مواضع ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أنها
لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم فى « مدارج السالكين » : وقد قطع الله
الاسباب التى يتعلق بها المشركون جميعا ، فقال تعالى : « قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى
الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن أذن له » (١) .

فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع
لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : اما مالك لما يريده عابده
منه . فان لم يكن مالكا كان شريكا ، فان لم يكن شريكا له كان معينا
له وظهيرا . فان لم يكن معينا ولا ظهيرا ، كان شفيعا عنده ، فنفى
سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبا منتقلا من الأعلى الى الأدنى ،
فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك ، واثبت
شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهى الشفاعة باذنه .

فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد ، وقطعا لأصول
الشرك (و) مراده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ،
ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه فى
نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، فهذا هو الذى يحول
بين القلب وفهم القرآن .

ولعمري الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو
دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك الى أن قال : ومن أنواعه —
أى الشرك — طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه
اليهم ، وهذا أصل شرك بمعالم ، فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا
يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ،
أو سأله أن يشفع له الى الله ، وهذا جهل بالشافع والمشفوع عنده ،

فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته
وسؤاله سببا لاذنه (في) كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب
يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها •

وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ،
ومعاداة اهل التوحيد ونسبة أهله الى تنقص بالأموات ، وهم قد تنقصوا
الخالق بالشرك وأولياء التوحيد له بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم ، وتنقصوا
من أشركوا به غاية التنقص ، اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم
يوالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر
المستجيبين لهم قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد
توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم الى الله ، واتخذ
الله وحده وليه واله ومعبوده ، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ،
وذله لله ، وتوكله على الله ، واستغاثته بالله ، والتجاءه الى الله ، وأخلص
قصده لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضاته ، اذا سأل سأل الله ، واذا
استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله وبالله ومع الله • انتهى •

فرحم الله هذا الامام وشيخه^(١) ، فلقد بينا للناس حقيقة الشرك
وطرقه وما يبطله •

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :
« اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل : فاسألني
واستعن بي ، فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه
سواه ، كما في قوله : « اياك نعبد واياك نستعين » (٢) •

فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد عصى الله ورسوله ، وأشرك بالله •
وللمعترض كلام ركيك لا حاجة لنا الى ذكر ما فيه ، وانما تتبع
من كلامه ما يحتاج الى رده وابطاله كجنس ما تقدم •

واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب : انه لا يجتمع الايمان
بالآيات المحكمات وتلك الآيات ، لما بينهما من التناقض والتضاد •

وقال المعترض : أقول : يجتمعان بأن يفرد الله بالعبادة ، ولا يقدر

(١) أي العلامة ابن القيم ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، رحمهما
الله تعالى •

(٢) الفاتحة : هـ

فيه تشفعه بأحباب حبه اليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها ، كما فى الحديث : « أنا لها ، أنا لها » ، ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب : لا يخفى ما فى كلامه من التخليط والتليس ، والعصية المشوبة بالجهل المركب ، لا يدرك ولا يدرك أنه لا يدرك ، وقد بينا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم ، والرغبة اليهم فيما اراده الراغب منهم من الشفاعة التى لا يقدر عليها الا الله ، وذلك ينافى الاسلام والايمان بلا ريب ، فان طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه الا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه ، كما تقدم بيانه فى معنى قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١) الآية . وقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » (٢) الآية . وقسوله : « ما نعبدهم الا ليقرربونا الى الله زلفى » (٣) .

فطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره بعد وفاته ، وبعده عن الداعى ، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو التوسل الذى ذكره العلامة ابن القيم وشيخه ، وصرحا بأنه شرك ، وللعلامة ابن القيم آيات فى (هذا) المعنى ، وهى قوله :

والشرك فهو توسل مقصوده	الزنى من الرب العظيم الشأن
بعبادة المخلوق من حجر ومن	بشر ومن قبر ومن أوثان
والناس فى هذا ثلاث طوائف	ما رابع أبدا بذى امك ان
أحد الطوائف مشرك بالله	إذا دماها دعا لها ثان
هذا وثانى هذه الأقسام ذلك	جاحد يدعو سوى الرحمان
هو جاحد للرب يدعو غيره	شركا وتعطيلا له قدما
هذا وثالث هذه الأقسام خير	الخلق ذات خلاصة الانسان

(٢) الاسراء : ٥٦

(١) يونس : ١٨

(٣) الزمر : ٣

يدعو اله الحق لا يدعو (الى) (أحد) سواء قط في الأكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات والحالات من سر ومن اعلان
وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة : وذلك
كما قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا » (١) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيرا
والملائكة ، فأنكر الله ذلك وقال : هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون
رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت
هذه الآية في انكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم أن الدعاء
وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم في الآيات .

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعا من دونه
يسأله ، ويرغب اليه ، ويلتجئ اليه ، وهذا هو العبادة . ومن صرف من
ذلك شيئا لغير الله فقد أشرك مع الله غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات ،
وهذا ضد افراد الله بالعبادة . وكيف يتصور افراد الله بالعبادة وقد جعل
العبد ملاذا ومنزعا سواء ؟ فان هذا ينافي الافراد ، فأين ذهب عقل
هذا وفهمه ؟

قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله
من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . انتهى .

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة ، وهو ما يحبه ويأمر به عباده ،
وأن يخلصوه له . وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل
(ذلك) وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض : ان الشفاعة المنفية
انما هي في حق الكفار ، فنقول : فمن اتخذ معبودا سوى الله يرجوه
أو يخافه فقد كفر .

ونأمل قول الله تعالى : « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون . اموات غير احياء وما يشعرون ان بان يبعثون .
الهكم الله واحد » (٢) .

فبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يلجأ من دون الله ، وأن من

دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الالهية ، والقرآن من أوله الى آخره . يدل على ذلك . وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن ، كما حججوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم واعراضهم ، كما أنزل في كتابه من يبان دينه الذي رضىه لنفسه ورضيه لعباده .

قال شيخ الاسلام (أحمد) بن تيمية رحمه الله تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده ، لا يدعو الا (ه) ، ولا يخشى ولا يتقى الا (ه) ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يكون الدين الا له ، وأن لا يتخذ الملائكة والنبين أربابا ، فكيف بالأئمة والشيخوخ ، فإذا جعل الامام والشيخ كأنه اله يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ، ويطلب منه الحوائج كافة مشبه بالله ، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله . اهـ .

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » . فلو جاز أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصر سؤاله واستعنته على الله وحده .

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه له منفعة . فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال : واسألني ، واستعن بي ، بل أتى صلى الله عليه وسلم بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد اخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى . فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص ؟ والله المستعان .

وقال الشيخ رحمه الله : واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، وكل عابد سائل ، وكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، واذا جتمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب . ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الأمر ، وإن لم يكن هناك صيغة سؤال . ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو مسألة من الرغب والرغبة والخوف والطمع . اهـ .

فتبين أن أبيات « البردة » التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه ، وماذا بعد الحق الا الضلال ؟

وقول المعترض : لا سيما والناظم (على) جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح ، بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه . وهذا كله صار هباءً منثوراً حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فإنه لا يعرف الا بهذه « المنظومة » ، فلو قدر أن لذلك أصلاً . فلا ينفع ذلك مع تلك الآيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » (١) وقد صار العمل مع الشرك هباءً منثوراً .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فإن كان للرجل عبادة ، فقد فتن بأبياته من الجهال ، وعبادته إن كانت ، فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد انى ذلك آخر الفاتحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا فقيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا فقيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبين ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعدنا السكوت عنه ، لأننا لا ندرى ما آل أمره اليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خاند الأزهرى لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم الا المنامات والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لى بعض علماء مضر : ان شيخنا مشى بأصحابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيرى . وفيهم رجل ذكر الله فسقط في البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال : ألم أنى لكم لا تذكروا غيرى ؟ فقلت : هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما ، أحدهما : أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان ، أو أنها حال شبطانية ، وأسألك أبها الحاكى لذلك : أيقون فيها حجة على حواز دعوة غير الله ؟ فأقر وقال : لا حجة فيها على ذلك .

المقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرغوه أو حرفوه

أو كذبوه وما قال الله وقال رسوله ، فهذا بحمد الله كله عليهم لا إله ، وما حرفوه من ذلك رد الى صحيح معناه الذى دل عليه لفظه مطابقة وتضمننا والتزاما . قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول فرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فلنهرهم وما يفترون » (١) .

وذكر المعترض حكاية ، يقول عن غير واحد من العلماء العظام أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم و « المنظومة » تنشد بين يديه ، الى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : انهم كثار .

فالجواب أن يقال : ليس هذا وجه المنع وانما وجهه أنها حكاية مجهولة عن مجهول . وهذا (من) جنس اسناد الكذابين فلو قيل : من هؤلاء العظام ؟ وما أسماؤهم ؟ وما زمنهم ؟ وما طبقتهم ؟ لم يدر عنهم . وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة ، فكيف اذا كانت أحلاما ١٢٢ والمعارض كثيرا ما يحكى عن هيان بن بيان .

ثم تال المعترض على قول المجيب : وطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع شرعا وعقلا . قال المعترض : من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع ؟

فالجواب أن يقال : معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك ، وانما معرفتك فى اللجاج الذى هو كالججاج الذى يحوم فى الفجاج . أما دليله من السمع فقد تقدم فى آيات الزمر ويونس وغيرهما ، وقد بسطنا القول فى ذلك بما يفتى عن اعادته فإيرجعه اليه .

وأما دليله من العقل ، فلعقل الصحيح يقضى ويحكم بما يوافق النقل ، بأن النجاة والسعادة والصلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل الا بالتوجه الى الله تعالى وحده ، وإخلاص الدعاء والاتجاء له واليه ، لأن الخير كله بيده ، وهو القادر عليه . وأما المخلوق فليس فى يده من هذا شيء ، كما قال تعالى : « ما يملكون من قطير » (٢) .

(١) الأنعام : ١١٢

(٢) فاطر : ١٣

(٢١) - مجموعة التوحيد

فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل ، كما قال تعالى :
« أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذكرون » (١) .

فالذى له الخلق والأمر والنعيم كلها منه ، وكل مخلوق فقير إليه ،
لا يستغنى عنه طرفة عين ، هو الذى يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب
إليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذاً وملاذاً ويتوكل عليه .

وقد قال تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو
الغنى الحميد » (٢) .

وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون فى قوله تعالى :
« وعلى ربهم يتوكلون » (٣) :

أى لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون
إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ،
ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف فى الملك
وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العلماء
فى تفسيره ، وليتأمل ما ذكره الله عن صاحب ياسين من قوله :
« اتخذ من دونه آلهة أن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئاً ولا ينقلون . انى اذن لى ضلال مبين » (٤) . فهذا دليل فطرى
عقلى سمعى .

وأمام قول المعارض : ان قول الناظم :

« ومن علومك علم اللوح والقلم »

أن (من) بيانية . فالجواب : أنه ليس كما قال ، بل هى تبيضية ،
ثم لو كانت بيانية ، فما ينفعه والمحذور بحاله ، وهو أنه يعلم ما فى
اللوحة المحفوظ .

وقد صرح المعارض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتى علم الأولين
والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون .

(٢) فاطر : ١٥
(٤) يس : ٢٣ ، ٢٤

(١) النحل : ١٧
(٣) الأنفال : ٢

فالجواب : هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله ، وسنة رسوله ، بأن الاحاطة بما في اللوح المحفوظ علما ليس الا لله وحده ، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس الا لله وحده ، الا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه ، كما قال الله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض » (١) . فالرجل في عبي من قول الله تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه » . وقال تعالى : « الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وإن الله قد احاط بكل شيء علما » (٢) .

وقد تقدم لهذه الآيات نظائر : فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت واستوجدت لله وحده ، لم يجعل ذلك لأحد سواه . وقال تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو » (٣) . فأسند علم وقت الساعة الى ربه بأمره ، كقوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها » (٤) . وامثال هذه الآيات ، مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله ، الا ما استثناه بقوله : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » (٥) .

و (من) تبعية هاهنا بلا نزاع . وقد قال النضر لموسى عليه السلام : « ما نقص علمي وعلمك في علم الله الا كما نقص هذا المصنوع من هذا البحر » ، فتأمل هذا وتدبر .

واما قول المعارض وتاويله لقوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » (٦) . فتأويل فاسد ، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم ، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له ، والمنفى في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك . فما أجراً هذا الجاهل على هذا التأويل ، وما أجهله بالله وبكتابه ؟! فيقال في الجواب : لا ينفعك هذا التأويل الفاسد ، اذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله ، لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي

(٢) الطلاق : ١٢
(٤) النازعات : ٤٢ - ٤٤
(٦) النمل : ٦٥

(١) البقرة : ٢٥٥
(٣) الأعراف : ١٨٧
(٥) البقرة : ٢٥٥

على هذا القصر (لعلم) الغيب على الله في هذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله بن الافتراء على الله وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل به سلطانا •

وأما قوله في قول الناظم : « ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي » • ان الأخذ باليد بالثبابة • فالجواب : أن حقيقة هذا القول وصرحه طلب ذلك من غير الله ، فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قد عرفت من الاستعانة بالأموات والعائنين والاستشفاع بهم في أمر هو في الله ممتنع حصوله ، لكونه تألها وعبادة ، وقد أبطله القرآن •

فهذا المعارض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه ، والله يجزيه بعلمه •

وأما قوله : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » (١) • فقيل : المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان فهذا قبل أن يطلع نبيه عليها ، والا فقد ذكر بامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس •

فالجواب : انظر الى هذا المفترى الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الأبيات بجيبه مع ما اختلقه وانتراه ، وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم ، فان قوله : ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس • فحاشا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل العلم من هذه المقالة ، وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادعاه ، سلفا وخلقا •

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذي فاق على التفسير : ابتداء تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة • فقال تعالى : « ان الله عنده علم الساعة » (٢) التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره • « وينزل الغيث » من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره • « ويعلم ما في الأرحام » أرحام الإناء • « وما تسرى نفس ما إذا تكسب غدا » يقول : وما تعلم نفس حتى ماذا

تعمل في غد . « وما تدري نفس بأي أرض تموت » يقول : وما تعلم نفس حي بأي أرض يكون موتها . « أن الله عليم خبير » يقول : أن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه . وذكر سنده عن مجاهد . « أن الله عنده علم الساعة » . قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : امرأتى حبل ، فأخبرني ماذا تلد ؟ وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فمتى أموت ؟ فانزل الله : « أن الله عنده علم الساعة » إلى آخر السورة .

قال : فكان مجاهد يقول : هن مفاتيح الغيب التي قال الله : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » (١) . وأخرج بسنده عن قتادة : « أن الله عنده علم الساعة » (٢) الآية :

خمس من الغيب استأثر الله بهن ، فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ، ولا نيا مرسلا .

وبسنده عن عائشة : من قال أن أحدا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله . قال تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » (٣) .

وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله » « أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام . . . » ثم قال : « لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله ، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله ، ولا يعلم أحد ما في الأرحام إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت » .

وبسنده عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس لا يعلمهن إلا الله : « أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث » . . . الآية (٤) . انتهى ما ذكره ابن جرير .

(٢) لقمان : ٣٤

(٤) لقمان : ٣٤

(١) الأنعام : ٥٩

(٣) النمل : ٦٥

وذكر البغوى فى تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم ، ثم قال :
وقال الضحاك ومقاتل : مفاتيح الغيب : خزائن الأرض • وقال عطاء :
ما غاب عنكم من الثواب • وقيل : انقضاء الأجل • وقيل : أحوال
العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم • وقيل : ما لم يكن
بعد الله يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ؟ انتهى •

قلت : ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه
الآيات المحكمات ، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله فى كتابه ، وأخبر
به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه
العلماء ، فإن الله استأنس بعلمه عن خلقه ، ووصف نفسه بأنه علام
الغيوب ، ونعوذ بالله من حال أهل الاقتراء والتكذيب •

وأما قوله : ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوى ،
وأبى السعود ، والقسطائى وأمثالهم تجدى اليكم شيئاً لذكرناها ،
لكنها تحى بلفظة واحدة ، وهى أنهم كلهم كفار فلا تقبل منهم أحداً ،
ومن هذه حاله فلا حيلة به ، فالجواب : أنه ليس للبيضاوى ومن ذكر
عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء فى معنى الآيات ، ومعاذ الله
أن يقول المجيب : أن هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين
أنه كفر أحداً قد مات من هذه الأمة ، فمن ظاهره الاسلام ، فلو وجد
فى كلامه زلة من شرك أو بدعة • فالواجب التنبيه عن ذلك والسكوت
عن الشخص ، لما تقدم من أنا لا ندري ما خاتمه •

وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين ، فانهم من المتأخرين الذين
نشأوا فى اغتراب من الدين ، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على
عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف ، وأئمة الاسلام من
الارزاء ، ونفى حكمة الله ، وتأويل صفات الله ، وسلب معانيها ما يقارب
ما فى « كشاف الزمخشري » ، والارزاء والجبر يقابل ما فيه من نفى
القدر ، وكلاهما فى طرفى تقيض •

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة فى ذلك ، ومعلوم
أن صاحب « الكشاف » أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قديماً منهم فى
فنون العلم ، ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقينى : استخرجت ما فى
« الكشاف » من دسائس الاعتزال بالمناقش •

وقال أبو حيان وقد مدح « الكشف » وما فيه من لطيف المعنى ،
عجم قال :

لكنه فيه مجال لناقد وزلات سوء قد أخذن المخائفا
فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا
وينسب إبداء المعاني لنفسه ليوهم أغمارا وإن كان سارقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلًا وكان مجبا في الخطابة وامقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما أن ولجوه المضائقا

الى أن قال :

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا
فاذا كان هذا في تفسير مشهور ، وصاحبه معروف بالذكاء
والفهم ، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول
إلا ما وافق تفسير السلف ، وقام عليه الدليل .
وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول
من الأشخاص والتصانيف ، ولا يعرف ما هو الأفضل .

ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم ،
لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير ، هذه الثلاثة التي
نقلنا منها : تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتفسير الحسين
ابن مسعود البغوي ، وتفسير العماد اسماعيل بن كثير ، فهذه أجل
التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل سنة ، ليسوا بجهمية ،
ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمد الله . وأكثر
ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة ، وأقوال
التابعين واتباعهم ، فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون ،
والله المستعان .

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوي وأبو السعود
(و) البحر لأبي حيان ، لأن ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة ،
وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين ، وذكر عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذى ينبغى النظر اليه ، والرغبة فيه • وعلى كل حال ، فليس فى تفسير البيضاوى وأبى السعود وشرح القسطلانى ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ، وكل يؤخذ من قوله ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقول المعترض على قول المجيب : علمائهم شر من تحت أديم السماء • فيقال : هل ورد هذا الحديث فى أهل العراق ، فهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كفار مجوس ، أو فيما يأتى ، فهذه شناعة على غالب علماء الأمة ، ومنهم الامام أبو حنيفة ، والامام أحمد ، وأمثالهم •

فالجواب : أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئا ، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة • ففى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يعبد فتام من أمتى الأوثان • ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » رواه البرقانى فى صحيحه •

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى ، فاليهود افترقت على احدى وسبعين ، والنصارى على اثنتين وسبعين ، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة • وأول من فارق الجماعة فى عهد الصحابة رضى الله عنهم الخوارج ، قاتلهم على رضى الله عنه بالنهروان ، والقدرية فى أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون ، ومن دعاهم معبد الجهنى ، وغيلان القدرى الذى قتله هشام بن عبد الملك • وكذلك الغلاة فى « على » الذين خذلهم « على » الأخاديد ، وحرقتهم بالنار • ومنهم المختار بن أبى عبيد الذى قتله مصعب بن الزبير ، ادعى النبوة وتبعه خلق كثير ثم ظهرت فتنة الجهمية • وأول من ظهر الجعد بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسرى ، والصحابة رضى الله عنهم والتابعون • والإئمة متوافرون وقت ظهور مبادئ هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق •

وصح من حديث أنس قال : « لا يأتي على الناس زمان (الا)
والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم صلوات الله
عليه وسلم (١) .

وظهرت بدعة (الجهم بن) صفوان في زمن أبي حنيفة وأتكرها
وناظرهم ، واقتشرت في زمن الامام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل
الحديث ، وامتنح الامام أحمد فتمسك بالحق وصبر ، وصنف العساء
رحمهم الله المصنفات الكبار في الرد على الجهمية - القائلين بخلق
القرآن ، المعطين لصفات الملك الديان - كالامام أحمد في رده المعروف ،
وابنه عبد الله ، وعبد العزيز الكنانى في كتاب « الحيدة » وأبى بكر
الأثرم ، والخلال ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وامام الأئمة محمد
ابن خزيمة ، واللالكائى ، وأبى عثمان الصابونى ، وقبلهم وبعدهم
ممن لا يحصى .

وهذا كله انما هو في القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت
كل بدعة : بدعة الفلاسفة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة
المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية
الاسماعيلية ، وبدعة النصيرية ، والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء
الطوائف بحمد الله ، فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان .

والبلد الواحد من هؤلاء الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل
البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ، ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ،
ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف
يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بیده فهو
مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو
مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال : « بدأ الاسلام
غريبا وسيكون غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا
فسد الناس » .

(١) رواه البخارى في صحيحه .

وفى رواية : « يصلحون ما آفسد الناس » وقد صنف العلماء رحمهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحل كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص فى مخالفة هذه الفرق كلها ، وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق ، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة ، والاحتجاج بالحق ونصرته ، وما ظهر فضل الامام أبى حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما الا بتمسكهم بالحق ونصرته ، وردهم الباطل . وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وأذوهم ، بل أظهر الله بهم السنة ، وجعل لهم لسان صدق فى الأمة ، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم ، كشيخنا شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا الى التوحيد ، وبين أدلته ، وبين الشرك وما يبطله .

وفيه قال الامام العلامة الأديب أبو بكر بن غنام رحمه الله تعالى :
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوما به الناس تربع
وجرت به نجد ذبول افتخارها وحق لها ما لألمعى ترفع
فأثارة فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضىء وتسطف
فهذا المعترض لو تصور وعقل ، لتبين له أن ما احتج به ينقلب
حجة عليه .

وقول المعترض : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين ، فهذا
ظاهر البطلان ، اذ هى مهبط الوحى ، ومنبع الايمان .
ولو قيل : ان هذا الحديث وأمثاله ورد فى ذم نجد وأهلها ، فقد
ورد فى ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا يزالون فى شر من كذابهم الى يوم القيامة » .

فالجواب أن نقول : الأحاديث التى وردت فى غربة الدين ،
وحدوث البدع وظهورها ، لا تختص بمكة والمدينة والا غيرهما من
البلاد ، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى
لقوله : وان كان قد ورد فى حق أهل الحرمين فى أواخر عهد الصحابة
رضى الله عنهم بل فى وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل
العلم ، مشهور فى السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين

عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم وقعة الحرة المشهورة ، ومقتل ابن الزبير فى مكة ، وما جرى فى خلال ذلك من الفتن ، وصارت الغلبة فى الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء ، فإذا كان هذا وقع فى خير القرون ، فما ظنك فيما بعد ، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفًا والمعروف منكراً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟!

وأما قوله : اذ هى مهبط الوحي ومنبع الايمان •

فالجواب أن تقول : مهبط الوحي فى الحقيقة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : « نزل به الروح الامين • على قلبك لتكون من المنذرين » (١) . وقال تعالى : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » (٢) •

فهذا محل الوحي ومستقرة • وقوله : منبع الايمان ، الايمان ينزل به الوحي من السماء لا ينبع من الأرض ، ومحل قلوب المؤمنين : وهذه السور المكية - فى القرآن معلومة - التى نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وأكثر من فى مكة المشركون ، وفيها ذمهم والرد عليهم ، كقوله : « وكذب به قومك وهو الحق » (٣) . وقال : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » (٤) . وقوله : « فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » (٥) •

ونحو هذه الآيات كما فى « فصلت » و « المدثر » وغيرهما ، ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ، ومنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخولها بالوحي ، وقاتلوهم ببدر ، وأحد ، والخندق ، وهم كافوا من آخر العرب دخولا فى الاسلام ، حاشا من هاجر ، وكل هذا بعد نزول الوحي •

ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين ، بل تنكر على من أنكره ، ولكن نقول : الأرض لا تقدرس أحدا ، وانما يقدرس المرء عمله ، فالمحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم الا شرا ، تعظم فيه

(٢) التنبؤات : ٤٩
(٤) الانعام : ٢٦

(١) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤
(٣) الانعام : ٦٦
(٥) الانعام : ٣٣

سيئاتهم ، كما قال تعالى في حرم مكة : « ومن يرد فيه بالحد بطنه
نذقه من عذاب اليم » (١) .

فاذا كان هذا الوعيد في الارادة ، فعمل السوء أعظم ، فالعول
على الايمان والعمل الصالح ، ومحله قلب المؤمن ، والناس مجزيون
بأعمالهم ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وقوله : ولو قيل ان هذا
الحديث ورد في ذم نجد وأهلها ... الى آخره ، فأقول : الذم انما
يقع في الحقيقة على الحال لا على المصل ، والأحاديث التي وردت
في ذم نجد ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك لنا في سننا ،
اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل
والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » قيل : انه أراد نجد العراق ،
لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق (٢) ، والعراق شرقي المدينة ،
والواقع يشهد له ، لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث .
فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز ،
يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها
الذين قاتلهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وكمقتل الحسين ،
وفتنه ابن الأشعث ، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بني أمية .
لمضعب بن الزبير وقتله ، وما جرى في ولاية الجراح بن يوسف من
القتال والسفك ، وغير ذلك مما يطول عده .

وعلى كل حال ، فالذم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت ،
بحسب حال الساكن ، لأن الذم انما يكون للحال دون المصل ، وان كانت
الأماكن تتفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فان الله يداول بين خلقه .
حتى في البقاع ، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن
آخر .

وأما قول المعترض : منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالون
في شر من كذابهم » . فالجواب : أن هذا من جملة كذبه على رسول

(١) الحج : ٢٥

(٢) بل ثبت في « المسند » عن ابن عمر في حديث المشرق ، قال
ابن عمر : يشير بيده يوم العراق ، كما صرح في حديث نجد بلفظ : قالوا :
وفي مراقنا ؟ بدل « لنجدنا » فنجدنا هنا هي العراق قطعا ، ومن شاء الزيادة
فليراجع هذا الحديث في تخريج « فضائل الشام » للابيانى رقم (٨) .

الله صلى الله عليه وسلم وجهله بالعلم • لا يميز بين الحديث وغيره ، وهذا كلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى نفر من بنى حنيفة ، سكنوا الكوفة فى ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا فى مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعر بتصدق مسيلمة ، فأخذهم عبد الله بن مسعود ، وقتل كبيرهم ابن النواح ، وقال فى الباقيين : لا يزالون فى بلية من كذابهم • يعنى ذلك نفر ، يذم نجدا بنفر أحدثوا حدثا فى العراق ، وقد أفنى كل من حضر مسيلمة فى القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق الكذاب ، بل من كان فى أواخر عهد الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيعة ويكذبونه ، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجدا بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه ، لذم اليمن بخروج الأسود العنسى دعواه النبوة •

وما ضر المدينة سكن اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومعقل الاسلام ، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشدة عداوتهم له ، بل هى أحب أرض لله اليه ، فاذا كان الأمر كذلك ، فأرض اليمامة لم تعص الله ، وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فظهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل فى الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد اسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت الشرائع ، وعبد الله فيها فى عهد الصحابة رضى الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام • على أنها تفضل على الكثير من البلاد بالحديث الذى رواه البخارى فى « صحيحه » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو بسكة لأصحابه : « أريت دار هجرتكم » • فوصفها ثم قال : « فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو يثرب » •

ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم هى حق ، وكفى بهذا فضلا لليمامة وشرفا لها على غيرها ، فان ذهاب وهله صلى الله عليه وسلم فى رؤياه اليها ، لا بد أن يكون له أثر فى الخير يظهر ، فظهر ذلك الفضل بحمد الله فى القرن الثانى عشر ، فقام الداعى يدعو الناس الى ما دعت

اليه الرسل من افراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها ، في هذه الأزمان ، وأولا ذلك ما سبب هؤلاء نجدا أو اليمامة بمسيلمة . اذ عرف ذلك ، فليعلم أن مسيلمة وبنى حنيفة ، انما كفروا ببحودهم بعض آية من كتاب الله جهلا وعنادا .

وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوق الحصر ، وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك ، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجوزوا أن يستعان بغير الله ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك ، وجوزوا الالتجاء الى الغائبين والأموات والرغبة اليهم ، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي ، وجعلوا لله شريكا في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكا في الالهية ، وجعلوا له شريكا في احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها .

وقد قال تعالى مبينا لما اختص به من شمول علمه : « الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تفيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » . الى قوله : « له دعوة الحق ، والذين يبعثون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » (١) وهذه الأصول كلها في الفاتحة ، يبين تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه . ففي قوله : « الحمد لله رب العالمين » (٢) اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه وشموله وعلمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته ، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم . والمتصرف فيهم بحكمته ومشيتته ليس ذلك الا له « مالك يوم الدين » فيه تفرد بالملك كقوله : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله » (٣) . وقوله : « اياك نعبد واياك نستعين » (٤) . فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفي : « اياك نستعين » أيضا توحيد الربوبية ، وهذه الأصول أيضا في :

(٢) الفاتحة : ٢
(٤) الفاتحة : ٥

(١) الرعد : ٨ — ١٤
(٣) الانفطار : ١٩

« قل أعوذ برب الناس » (١) . فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمدير لهم « ملك الناس » . هو الذى له الملك . كما فى الحديث .
النوارى فى الأذكار : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . وقوله : « اله الناس » (٢) .

هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه ، فأهل الإيمان خصوه بالالهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكا يؤلهونه بالعبادة ، كالنداء والاستغاثة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك . وفى :
« قل يا أيها الكافرون » (٣) . براءة النبى صلى الله عليه وسلم من الشرك والمشركين « قل يا أيها الكافرون . لا نعبد ما تعبدون »
الى قوله : « لكم دينكم ولى دين » . فهذا هو التوحيد العملى ، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطنا وظاهرا .

وفى « قل هو الله أحد » (٤) توحيد العلم والعمل « قل هو الله أحد » .

يعنى هو الله الواحد الأحد ، الذى لا نظير له ، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عدل ، ولا يطلق هذا اللفظ فى الإثبات الا على الله عز وجل . لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله . وقوله : « الله الصمد » قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه : يعنى الذى يصمد الخلاق اليه فى حوائجهم ومسائلهم . قلت : وفيه توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية .

وقال الأعشى : عن شقيق ، عن أبى وائل : الصمد : السيد الذى قد انتهى سؤدده .

وقال الحسن أيضا : الصمد : الحى القيوم الذى لا زوال له .
وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد ، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له .

وقال سفيان بن منصور ، عن مجاهد : الصمد : المصمت الذى لا جوف له .

(١) الناس : ١
(٢) الناس : ٣
(٣) الكافرون : ١
(٤) الاخلاص : ١

قال أبو القاسم الطبراني في كتاب « السنة » : وكل هذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل •

وقال مجاهد : « ولم يكن له كفوا أحد » (١) . يعنى لا صاحبة له ، وهذا كما قال تعالى : « يدب السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، إني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم » (٢) •

أى هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ؟! تعالى وتقدس وتنزه •

قلت : فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الالهية والربوبية ، وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير ، وما فيها من مجامع صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومن له بعض تصور فبتوفيق الله « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٣) •

وأما قول المعارض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى فى زمن شيخ الاسلام ابن تيمية • أقول هذه (لم) ينقل عنه فيها كلمة واحدة •

فالجواب نقدم « البردة » على زمن شيخ الاسلام ، ان كان كذلك ، فماذا يجدى عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟

وأىضا فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا نقبل ، ولم يطلع الا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه ، وهو فى ثق وشيخ الاسلام فى ثق • وليس فى كلام شيخ الاسلام الا ما هو حجة على هذا المعارض ، لكنه يتناق فى باطله بمثل خيط النكبوت ، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله المؤيد بالبرهان ، فقد تقدم (فى) كلامه ما يكفى ويشفى فى تميز الحق من الباطل •

وكلامه رحمه الله فى أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره ، ويرده كما رد على ابن البادى حين جوز الاستغاثة بغير الله ، ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب « البردة » داخل تحت كلام شيخ الاسلام فى الرد عليه والافتكار ، وأنا أورد هنا جوابا لشيخ

الإسلام عن سؤال من سألته عن نوع هذا الشرك وبعض أفرادها ،
فأنتى بجواب عام شامل كاف واف .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين حين يستنجد بأهل القبور ،
ويطلب منهم إزالة الألم ، ويقول : يا سيدى ! أنا فى حسبك ؟ وفيمن
يستلم القبر ، ويمرغ وجهه عليه زيتون : قضبت حاجتى ببركة الله
وبركة الشيخ . ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، الدين الذى بعث الله به رسله ،
وأنزل به كتبه ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانت به ، والتوكل
عليه ، ودعاؤه بجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى :
« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين . الا الله
الدين الخالص » (١) . وقال : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع
الله أحدا » (٢) وقال : « وادعوه مخلصين له الدين » (٣) . وقوله :
« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا » (٤) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة
قال الله تعالى : « هؤلاء الذين تدعون عبادى ، يرجون رحمتى ويخافون
عذابى كما تخافون عذابى » .

فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟
قال تعالى : « افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى
أولياء » (٥) الآية . وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ،
لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهم من
شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » (٦) .

فبين سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة
والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه ، وأنه ليس له
شريك فى ملكه : « له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير » (٧) .

(٢) الجن : ١٨

(٤) الاسراء : ٥٦

(٦) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(١) الزمر : ٢ ، ٣

(٣) الأعراف : ٢٩

(٥) الكهف : ١٠٢

(٧) التغابن : ١

وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه اما أن يكون مالكا ، واما أن لا يكون مالكا ، وإذا لم يكن مالكا فاما أن يكون شريكا واما أن لا يكون شريكا ، وإذا لم يكن مشركا فاما أن يكون معاونا ، واما أن يكون سائلا طالبا .

فأما الرابع : فلا يكون الا من بعد اذنه ، كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) . كما قال تعالى : « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى » (٢) . وقال : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ، ثم اليه ترجعون » (٣) . وقال : « ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » (٤) . وقال : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله » . الى قوله : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أياكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » (٥) .

فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا ؟ فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء أكان حيا أو ميتا : اغفر ذنبى ، وانصرنى على عدوى ، أو اشف مريضى أو ما أشبه ذلك .

ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان ، فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التى يصورونها على صلورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه .

قال الله تعالى : « وا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانه » (٦) . وقال : « اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٧) .

(٢) النجم : ٢٦
(٤) الانعام : ٥١
(٦) المائدة : ١١٦

(١) البقر : ٢٥٥
(٣) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٥) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠
(٧) التوبة : ٣١

فان قال : أنا أسأله لأنه أقرب منى الى الله ليشفع لى لأنى أتوسل الى الله كما أتوسل الى السلطان بخواصه وأعوانه ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى . فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم فى مطالبهم ، ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١) . وقد قال سبحانه : « ام اتخلفوا من دون الله شفعاء » الى قوله : « ترجعون » (٢) وقال : « ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون » (٣) . وقال : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » (٤) .

فبين الفرق بينه وبين خلقه ، فان من عادة الناس من يستشفع الى الكبير بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشافع فيقضى حاجته اما رغبة ، واما رهبة ، واما حياء ، واما غير ذلك ، ناله لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل الا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن اذنه ، والأمر كله لله .

فالرغبة يجب أن تكون اليه كما قال تعالى : « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » (٥) . والرهبة تكون منه ، قال تعالى : « وإياى فارهبون » (٦) . وقال : « فلا تخشوا الناس واخشون » (٧) . وقد أمرنا أن نصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلال : هذا أقرب الى الله منى وأنا بعيد منه ، لا يمكن أن ندعوه الا بهذه الوساطة ونحو ذلك ، هو من قول المشركين ، والله تعالى يقول : « واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، الحبيب المعوة المتاع اذا دعان » (٨) .

وقد روى أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا : يا رسول الله . ربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية ، وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة له ، ومناجاته ، وأمر كلا منهم أن يقول : « اياك نعبد واياك نستعين » (٩) .

(١) الزمر : ٣	(٢) الزمر : ٤٣ ، ٤٤
(٣) السجدة : ٤	(٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) الشرح : ٧ ، ٨	(٦) البقرة : ٤٠
(٧) المائدة : ٤٤	(٨) البقرة : ١٨٦
(٩) الفاتحة : ٥	

ثم يقال لهذا المشرك : أنت اذا دعوت هذا ، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على سؤالك ، أو أرحم بك من ربك ، فهذا جهل وضلال وكفر . وان كنت تتوكل أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم ، فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره ؟! وان كنت تعلم أنه أقرب الى الله منك ، وأعلى منزلة عند الله منك ، فهذا حق أريد به باطل فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة ، فان معناه أن يشييه ويعطيه ، ليس معناه أنك اذا دعوته أنت ، فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء ، فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما ييغضك اليه ، وان لم يكن كذلك ، فالله أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت . لماذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا ، فهذا من القسم الثاني وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعو له ، كما يقال للحى : ادع لى ، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ، فهذا مشروع فى الحى ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا واسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل هذا أحد فى الصحابة ولا التابعين ، ولا امر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فى ذلك حديث ، بل الذى ثبت فى « الصحيح » : أنهم لما أجذبوا زمن عمر استسقى بالعباس ، رضى الله عنهما ، فقال : اللهم انا كنا اذا أجذبنا تتوسل اليك بنبينا فتسقيننا ، وانا تتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فلم يجيئوا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم قائلين : يا رسول الله . . ادع الله ، أو استسق لنا ونحن نشكو اليك ما أصابنا ونحو هذا ، ولم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه ، ثم اذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر ، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له ، كما كانوا يدعونه فى سائر البقاع .

وفى « الموطأ » وغيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وفى السنن أيضا أنه قال : « لا تتخذوا تبرى عيدا ، وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » .

وفى « الصحيح » : أنه قال فى مرضه الذى لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا .
 قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، لكن خشى أن يتخذ مسجدا .
 وفى « سنن أبى داود » عنه أنه قال : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » (١) .

ولهذا قال العلماء : لا يجوز بناء المساجد على القبور . وقالوا : أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ، ولا للمجاور عند القبر ، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك ، كله نذر معصية . ولم يقل أحد من أئمة المسلمين : أن الصلاة عند القبور فى المشاهد مستحبة ، ولا أن الدعاء هناك أفضل ، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة فى المساجد وفى البيوت أفضل من الصلاة عند القبر ، لا قبر نبي ولا صالح ، سواء سميت مشاهد أم لا .

وقد شرع الله ذلك فى المساجد دون المشاهد . وقال : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » (٢) . ولم يقل (فى المشاهد) ، وقال تعالى : « قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » (٣) . وقال تعالى : « أنه يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » (٤) .

وذكر البخارى فى « صحيحه » والطبرى وغيره فى تفاسيرهم قوله تعالى : « وقالوا لا تدن آلهتكم ولا تدن ودا ولا سواها » (٥) . قال : هذه أسماء قوم صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فاتخذوا تماثيلهم أصناما .
 فالكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء ، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان .

(١) إسناده ضعيف ، لكن للجملة الاولى والثانية شواهد كثيرة
 (٢) البقرة : ١١٤
 (٣) الاعراف : ٢٩
 (٤) التوبة : ١٨
 (٥) نوح : ٢٣

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ، فإنه لا يتمسح به ولا يقبل ، وليس في الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الأسود .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركنى البيت اللذين يليان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين . انتهى .

وقال رحمه الله فى الرد على ابن البكرى بعد كلام له سبق ذلك من هو الذى جعل الاستغائة بالخلق ودعاءه سببا فى الأمور التى لا يقدر عليها الا الله ؟ ومن الذى قال : انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر ، نبيا كان أو غير نبى ، كان ذلك سببا فى حصول الرزق والنصر والهدى ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ؟ ومن الذى شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذى فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين :

احدهما : أن هذه أسباب لحصول المطالب التى لا يقدر عليها الا الله .

والثانية : أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه .. الى أن قال : وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وأمرا ، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوه ميتا أو غائبا ، وأن يستغيثوا به سواء أكان عند قبره ، أو لم يكن عند قبره ، بل تقول : سسؤال الميت والغائب نبيا كان أو غير نبى من المحرمات المنكسرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما تعلم بالاضطرار من دين المسلمين ، فان أحدا منهم ما كان يقول — اذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة — ليت : يا سحيدى فلان ..

أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، ولا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا أقسم بسخلاق على الله أصلا ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد ذكره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه ، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الترياق المجرب . وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : إذا (كانت) حاجة فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد ، محدثة في الإسلام ، والسفر إليها محدث في الإسلام ، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كثره أن يتخذ مسجدا .

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك » .

وقد تقدم أن غفر لما اتخذوا استسقى بالغياب فقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا - فيسقون » . فلم يذهبوا إلى القبر ، ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به توسلا بدعائه ، كالامام مع المأموم ، ولهذا تغدو لموته .

• فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين : اللهم افلا أسألك بفلان ، أو بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا التابعين •

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز ، فكيف بقول القائل للميت : أنا استغيث بك وأستجير (بك) ، وأنا في حسابك ، أرسل الله لى ، ونحو ذلك ، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدر أن له تأثيرا ، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تتمثل له الشياطين ، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجه ، كما تفعل شياطين الأصنام ، فإن أحدا من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته ، اذ هو ينهى عن ذلك ، وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضى ذلك الى اتخاذ قبره وثنا ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا قبرى عيدا » ، وقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » •

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى : « وقالوا لا تدنوا من القبور » (١) •

ان هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ولهذا المعنى لعن النبي الله عليه وسلم الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد • انتهى ملخصا •

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن الزبير : أنه رأى قوما يمسحون المقام ، فقال : لم تؤمروا بهذا ، انما أمرتم بالصلاة عنده •

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة في قول الله تعالى : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » (٢) • قال : انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه •

ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها • فان كان المعارض يستدل بكلام شيخ الاسلام ، فهذا صريح كلامه المؤيد :

بالأدلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ فى هذا كثير جدا ،
لو ذكرناه لطلال الجواب •

وأما قول المعترض : بل مدح الصرصرى - وأثنى عليه بقوله :
قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصرى فى نظمته المشهورة ،
فالجواب : أن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره
وقد كذب على « الاقناع » و « الشفا » ليس فى الكتاين الا ما يطل
قوله • وفى الحديث : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى :
اذا لم تستح فاصنع ما شئت » والا فكلام الشيخ فى رد ما يقوله
الصرصرى وانكاره موجود بحمد الله •

قال رحمه الله (١) فى رده على ابن البكرى بعد وجهين ذكرهما :
الثالث أنه أدرج سؤاله أيضا فى الاستغاثة به ، وهذا جائز فى حياته ،
لكنه أخطأ فى التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته لم ينقل
عن أحد من العلماء ، ولكنه موجود فى كلام بعض الناس ، مثل الشيخ
يحيى الصرصرى ، ففى شعره قطعة ، وكلمة النعمان ، وهؤلاء لهم
دين وصالح ، لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام
الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الاسلام ، وليس معهم دليل شرعى ،
ولا نقل عن عالم مرضى ، بل عادة جبروا عليها كما جرت عادة كثير
من الناس بأنه يستغيث بشيخه فى الشدائد فيدعوه ، أكثر منه من
يأتى الى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده ، وهؤلاء ليس لهم
مستند شرعى من كتاب (الله) أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة
والأئمة ، وليس عندهم الا قول طائفة أخرى : قبر معروف تراقيه
مجرب ، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ، ومعهم أن طائفة
استغاثوا بحى أو ميت ، فأروه قد أتى فى الهواء وقضى بعض الحوائج ،
وهذا كثير واقع ان المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ،
أو الكواكب والأوثان ، فان الشياطين كثيرا ما تمثل لهم فيه ، وأنها
تخاطب أحدهم ولا يراها •

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة فى زماننا لطلال المقال ،
وكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا ، كانت هذه الأحوال الشيطانية

(١). أبى شيخ الاسلام ابن تيمية •

عندهم أكثر • وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحدا أتاه به ، فتحسب ذلك كرامه ، وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشيطان : فأضلهم الشياطين بذلك كما كانت تفضل عباد الأصنام • انتهى ما ذكره شيخ الاسلام - رحمه الله - من انكاره ما في شعر الصرصرى وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها •

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم ان لم يزد على قول صاحب « البردة » لم ينقص عنه • فالجواب : أن هذا من عدم بصيرته ، وكبير جهله ، فان من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قول صاحب « البردة » وقول الصرصرى في آياته تفاوتاً بعيداً ، فقد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب « البردة » من قصر الالهية والربوبية والملك ، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته ، ودعوة الخلق الى عبادته وحده ، وجهاد الناس على ذلك ، وبلغ الأمة ما أزل الله تعالى عليه في الآيات المحكمات في تجريد التوحيد ، والنهم عن الشرك ووسائله كما قدمنا الإشارة اليه •

وأما الصرصرى ففي كلامه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة ، والاستغاثة في جانب المخلوق : وقد أنكره شيخ الاسلام - رحمه الله - وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة ، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة • وقد بين رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي إنما هو بدعائه وشفاعته ، وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به ، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وأن أهل الاشرار ليس معهم إلا الجهل والهوى وغوائل تشاؤوا عليها بلا برهان ، وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية ، وحكاية سوفسطائية أو منامات تضليلية ، كما قال كعب بن زهير:

فلا يفرنك ما منت وما وعدت أن الأمانى والأطماع تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين الا دعوى مجردة مخشوة بالكاذب وليس معهم - بخلاف الله - دليل من كتاب أو سنة أو قول واخذ من سلف الأمة وأئمتها ، وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة •

ولو استقصينا ذكر الأدلة : وبسط القول : لاحتل مجلدا ضخما ،
ومبب الفتنة بقصائد المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي ، واختيارها
على قصائد شعراء الصحابة ، كحسان بن ثابت . وكعب بن مالك ،
وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضى الله عنهم ، وفيها من
شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار ،
وما ذلك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما
يكرهه الله ورسوله ، فزينها الشيطان في نفوس الجاهل والضلال ، فمال
إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق ،
وما قصرُوا فيها جهدهم عما يصلح أن يمدح به رسوله صلى الله عليه
وسلم ، وتحروا فيها ما يرضيه ، وتجنبوا ما يسخطه صلى الله عليه وسلم
وما نهى عنه من الغلو .

فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء بن عقيل ، وهو في القرن الخامس .
لما صعبت التكاليف على الجاهل والطغام^(١) ، عدلوا عن أوضاع الشرع
إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت
غيرهم قال : وهم عندى كفار بهذه الأوضاع . إلى آخره .

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم
رحمه الله وتفننا بعلومه قال — بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور ، وأن
مقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ .

الثاني : الاحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيتناساه ،
فاذا زاره أو أهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة ، ازداد بذلك سروره
وفرجه ، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لأهل
القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم
ولا يدعو بهم ولا يصلى عندهم .

الثالث : احسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عند
ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم . وأما الزيارة الشركية فأصلها
مأخوذ من عباد الأصنام ، قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب

(١) الطغام : أوغاد الناس ، جمع وفد .

ومزبة عند الله لا يزال تأتبه الألفاف من الله ، وتفيض على روحه
الزئيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وادناها ، فاض من روح المزور
على روح الزائر من تلك الألفاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من
المرآة الصافية ، والماء على الجسم المقابل ، قالوا : فتمام الزيارة أن
يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمة عليه ، ويوجه
قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما
كان جمع القلب والهمة عليه أعظم ، كان أقرب الى الاتضاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها
عباد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذى لعباد القبور : (من)
اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج ، وبناء المساجد
عليها ، وهو الذى قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطاله ومحوه
بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون فى طريقه .
وناقضوه فى قصده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شق ،
وهؤلاء فى شق ، وهذا الذى ذكره هؤلاء فى زيارة القبور والشفاعة التى
ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله ، قالوا فان العبد
اذ تعلق روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمة اليه ، وعكفه
بقلبه عليه ، صار بينه وبينه اتصال ، يفيض عليه نصيب مما يحصل
له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ،
وهو شديد التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام
والأفضال ، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به . فهذا سر عبادة
الأصنام ، وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه
ولعنهم ، وإباح دماءهم وأموالهم ، وسبى ذراريهم ، وأوجب لهم
النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال
مذهبهم .

قال الله تعالى : « **أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ، قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (١) .**

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده ،

وهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هى له ، والذى يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه . وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى ابطالها الله سبحانه وتعالى بقوله : « **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ** » (١) .
وقوله : « **مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةٌ** » (٢) .

وقال : « **وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** » (٣) .

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل اذا أراد سبحانه رحمته بعبده اذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى : « **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَذْنِهِ** » (٤) وقال : « **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** » (٥) .

فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ، بل يشفع باذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشرك والعبد المأمور ، فالشفاعة التى ابطالها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ، والتى أثبتتها شفاعة العبد المأمور الذى يشفع ، ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له ويقول : اشفع فى فلان . ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قوله تعالى : « **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ** » (٦) . وقال تعالى : « **يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** » (٧) .

فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضى قول المشفوع له واذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

(٢) البقرة : ٢٥٤

(٤) يونس : ٣

(٦) الانبياء : ٢٨

(١) البقرة : ٤٨

(٣) الانعام : ٥١

(٥) البقرة : ٢٥٥

(٧) طه : ١٠٩

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شيء .
وأعلى الخلق وأفضاهم وأكرمهم عندهم هم الرسل والملائكة المقربون ،
وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ، لا يفعلون
شيئا إلا من بعد أذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ،
فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وأذنه ، فإذا أشرکهم
به المشرك واتخذهم شفعا من دونه ، ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا
وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه ، وما يجب
له ويمتنع عليه ، فإن هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على
الملوك والكبراء . حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأولياهم من يشفع له
عندهم في الحوائج .

وهذا القياس الفاسد عبت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون
الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ،
والرب والمربوب ، والسيد والعبد ، والمالك والمملوك ، والغنى والفقر ،
والذى لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء
عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فإن قيام مصالحهم ، وهم أعوانهم
وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انسلطت
أيديهم وألستهم في الناس ، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول
شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ، لأنهم يخافون
أن يردوا شفاعتهم ، فينتقض طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم فلا
يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى . فأما الذى غناه من
لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير إليه لذاته ، وكل من فى السموات
والأرض عبيد له ، مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم
جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة .
قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن
يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض
جميعا ، والله ملك السموات والأرض » (١) . قال فى سيدة آى القرآن
آية الكرسي : « له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده
إلا بأذنه » (٢) . وقال : « قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والأرض » (٣) .

(٢) البقرة : ٤٥ .

(١) المائدة : ١٧ .

(٣) الزمر : ٤٤ .

فاخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وأن أحدا لا يشفع عنده إلا بأذنه ، فإنه ليس بشريك ، بل مملوك محض ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم بعض .

فتبين أن الشفاعة التي نقابها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشريكية التي يفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق فيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس ، ويقيدها تارة (بأنها) لا تنفع إلا بأذنه ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فإنه هو الذي أذن له ، والذي قبل ، والذي رضى عن المشفوع ، والذي وفقه لفعله ما يستحق به الشفاعة . وقوله : فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده الله ومعبوده ، ومحبوه ومرجوه ، ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون « (١) » .

فبين أن متخذي الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقا ولا أمرا ولا اذنا ، بل هو سبب محرك له من خارج ، كسائر الأسباب .

وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه : وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعة التي تقتضى القبول ، فيتوقف .

نالى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح ، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، وأذن له فيها ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يمكن أن توجد . والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثال الأمر ، فان أحدا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلقه ، فالرب تعالى هو الذى يحرك الشافع حتى يشفع ، والشافع عند المخلوق هو الذى يحرك المشفوع اليه (حتى) يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه فى أكثر أموره ، وهو فى الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبد ، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج الى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة وما نقاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلف أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

والأمر أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على محمد النبى الأسمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا جزيلا وافيا وافرا .

الرسالة الرابعة عشرة :

قاعدة جلية في العبادة

تفسيرا لقوله عز وجل : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » تسمى :

العبودية

تأليف الشيخ الامام العالم الريانى ، اوجد العلماء الزهاد

تقى الدين أبى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

رحمه الله ، املاها بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أما بعد .. فقد سئل شيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ناصر السنة ،
وقامع البدعة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله عن قوله عز وجل :
« يا أيها الناس اعبدوا ربكم » (١) .

فما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟
وما حقيقة العبودية ؟ وهل هى أعلى المقامات (فى الدنيا والآخرة) ،
أم فوقها شئ من المقامات ؟

والمسؤول أن تبسطوا لنا القول فى ذلك مأجورين برحمة الله
بفضله .

فأجاب رحمه الله ورضى عنه : الحمد لله رب العالمين .

العبادة : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والصدقة ، والحدىث ، وأداء
الأمانة ، وبر الوالدين ، صلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر
بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان
للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ،
والإعطاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك ، من العبادة .

(١) البقرة : ٢١

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك : هي من العبادة لله .

وذلك : أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خلق الخلق لها . . قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١)

وبها ارسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (٢) .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » (٣) . وقال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٤) وقال تعالى : « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » (٥) .

كما قال في الآية الأخرى : « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم . وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » (٦) .

وجعل ذلك لازما لرسوله الى الموت كما قال : « واعبد ربك حتى ياتيئك اليقين » (٧) . وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى : « واه من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٨) . وقال تعالى : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » (٩) وذم المستكبرين عنها بقوله : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١٠) . ونمت صفة خلقه بالعبودية له ، فقال تعالى :

(١) الذاريات : ٥٦	(٢) الاعراف : ٥٩
(٣) النحل : ٣٦	(٤) الانبياء : ٢٥
(٥) الانبياء : ٢٢	(٦) المؤمنون : ٥١ ، ٥٢
(٧) الحجر : ٩٩	(٨) الانبياء : ١٩ : ٢٠
(٩) الاعراف : ٢٠٦	(١٠) غافر : ٦٠

« عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (١) . وقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » (٢) . ولما قال الشيطان : « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادة منهم المخلصين » (٣) قال الله تعالى : « هذا صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الذواوين » (٤) . وقال فى وصف الملائكة بذلك :

« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٥) .

وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . أن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعندهم عدا . وكلمهم آتاه يوم القيامة فردا » (٦) .

وقال تعالى عن المسيح الذى ادعت فيه الالهية والنبوة :

« أن هو إلا عبد آتينا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل » (٧) .

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « لا تطرونى كما أطرات النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » (٨) .

وقد نعته الله بالعبودية فى أكمل أحواله . فقال فى الاسراء :

(١) الانسان : ٦ (٢) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤

(٣) الحجر : ٣٩ ، ٤٠ (٤) الحجر : ٤١ ، ٤٢

(٥) الانبياء : ٢٦ — ٢٨ (٦) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٧) الزخرف : ٥٩

(٨) رواه البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » . وقال فى الإحياء : « فأوحى الى عبده ما أوحى » (٢) .

وقال فى الدرة : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » (٣) .

وقال فى التحدى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » (٤) .

فالدين ذل . دخل فى العبادة . وقد ثبت فى « الصحيح » أن جبريل لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة أعرابى وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان . فقال : « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » قال : فما الايمان ؟ قال . « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : فما الاحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . ثم قال فى آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » . فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دته ، فدان . أى أذلتة فذل . ويقال : ندين الله وندين لله . أى نعبد الله ونطيعه ، ونخضع له .

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضا . يقال : طريق معبد ، اذا كان مذكلا قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له .

فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصباية ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو

(٢) النجم : ١٠
(٤) البقرة : ٢٣

(١) الاسراء : ١
(٣) الجن : ١٩

الحب الملازم للقلب ، ثم العشق • وآخرها : التتيم • يقال : تبم الله ،
أى عبد الله فالتتيم : المعبد احبوه •

ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له • ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ولهذا لا يكفى أحدهما نى عبادة الله تعالى • بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع الا الله ، وكل ما أحب لغير الله فمحبة فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل • قال الله تعالى :
« قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واهواءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صوا حتى ياتى الله بامرهم » (١) •

فجنس المحبة ، تكون لله ولرسوله (كالطاعة ، فان الطاعة لله
ولرسوله) والارضاء لله ولرسوله : « والله ورسوله احق أن يرضوه » (٢)
والايتاء لله ولرسوله : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله » (٣) •

وأما العبادة وما يناسبها : من التوكل والخوف • ونحو ذلك ،
فلا تكون الا لله وحده كما قال تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقلوا اشهدوا باننا
مسلمون » (٤) • وقال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
وقاتلوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون » (٥)
فالايتاء لله وللرسول ، كقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم
عنه فانتهوا » (٦) •

وأما الحساب — وهو الكافى — فهو الله وحده ، كما قال تعالى :
« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٧) • وقال تعالى : « يا ايها

(٢) التوبة : ٦٢
(٤) آل عمران : ٦٤
(٦) الحشر : ٧

(١) التوبة : ٢٤
(٣) التوبة : ٥٩
(٥) التوبة : ٥٩
(٧) آل عمران : ١٧٣

النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» (١) . أى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين . الله . ومن منى أن المعنى . حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطا فاحشا ، كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع . وقال تعالى : « ليس الله بكاف عبده » (٢) .

وتحريز ذلك : أن العبد يراد به المعبود الذى عبده الله ، فذله وديره وصرفه ، وبهذا الاعتبار : فالمخالفون كآييم عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل البينة وأهل النار ، اذ هو ، ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته . وكلماته التامات التى لا يجاوزها ير ولا فاجر ، فما شاء كان وان لم يشاءوا ، وما شاءوا ان لم يشاء لم يكن ، كما قال تعالى : « افغير دين الله يبغون وله أسماؤم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » (٣) .

فهو سبحانه رب العالمين ، وخانقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق (لكل شئ ومنذره ومسخره) الا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، نكن أهل الايمان منهم عرفوا ذلك (وآمنوا به ، وشكروه بعبودية الالهية : رغبا ورهبا) بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له ، مستكبرا على ربه ، لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق اذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له ، كان عذابا على صاحبه ، كما قال تعالى : « وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » (٤) . وقال تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٥) . وقال تعالى : « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » (٦) . فاذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه ، وأنه مفتقر اليه محتاج اليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع

(٢) الزمر : ٣٦

(٤) النمل : ١٤

(٦) الانعام : ٣٣

(١) الانفال : ٦٤

(٣) آل عمران : ٨٣

(٥) البقرة : ١٤٦

اليه ويتوكل عليه . لكن نذ يطيع أمره وقد يعصيه . وقد يعبد مع ذلك . وقد يعبد الشيطان والأصنام : ومثل هذه اليهودية لا تنسرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ، كما قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (١) .

فإن المشركين كانوا يقولون أن الله خالقهم (ورازقهم) وهم يعبدون غيره قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٢) . وقال تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (٣) .

وكثير من يتكلم فى الحقيقة : فيشهداها ، لا يشهد إلا هذه الحقيقة وهى الحقيقة الكونية التى يشترك فيها ونفى شهودها وفى معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر . بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة : وأهل النار . قال إبليس : « رب فانظرنى الى يوم يبعثون » (٤) . وقال : « رب بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولاغوينهم أجمعين » (٥) . وقال : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين » (٦) . وقال « أرايتك حسناً الذى كرمت على لئن أخزيتنى » (٧) .

وأمثال هذا من الخطاب الذى يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره . وكذلك أهل النار قالوا : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين » (٨) . وقال تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، قال ليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا » (٩) .

-
- | | |
|--|------------------|
| (١) يوسف : ١٠٦ | (٢) الزمر : ٣٨ |
| (٣) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ | (٤) سورة ص : ٧٩ |
| (٥) الحجر : ٣٦ | (٦) سورة ص : ٨٢ |
| (٧) الاسراء : ٦٢ ، وتمامها : « إلى يوم القيامة لا تحبكن ثريته إلا قليلاً » . | |
| (٨) المؤمنون : ١٠٦ | (٩) الانعام : ٢٠ |

فمن وقف عند هذه الحقيقة (وعند شهودها ، ولم يتم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية) التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره ، وأمر رسوله ، وكان من جنس إبليس ومن أهل النار ، فإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان ، كان من شر أهل الكفر والالحاد •

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك ، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد ، وهو العبد بمعنى العابد ، فيكون عابداً لله ، ولا يعبد إلا إياه ، فيطيع أمره وأمر رسوله ، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ، ويعادى أعداءه (الكافرين والفاسقين) • وهذه العبادة متعلقة بالالهية لله تعالى ، ولهذا كان عنوان التوحيد : « لا إله إلا الله » بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبد ، أو يعبد معه الها آخر •

فالاله : هو الذي يأله القلب بكمال الحب والتعظيم ، والاحلال والاكرام ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك •

وهذه العبادة : هي التي يحبها الله ويرضاها ، وبها وصف المصطفين من عباده ، وبها بعث رسوله • وأما العبد : بمعنى المعبود ، سواء أقر بذلك أو أنكره ، فذلك المعنى يشترك فيه المؤمن والكافر •

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من اتباع إبليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو في مقام (دون مقام) أو حال (دون حال) . نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه أكابر الشيوخ المدعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه إلا الله الذي يعلم السر والاعلان •

والى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه • فينبغي

أن كثيرا من الرجال اذا وردوا الى القضاء والقدر أمسكوا . الا اذا
الفانى انفتحت لي فيه روزنة^(١) . فنازعت اقدار الحق بالحق :
والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون موافقا للقدر .

والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله . ولين
كثيرا من الرجال غلطوا فيه ، فانهم قد يشهدون ما يقدر على أنفسهم من
المعاصي والذنوب ، أو ما يقدر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ،
ويشهدون أن هذا جار بشيئة الله وقضائه وقدره ، داخل فى حكم
ربوبيته ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا
به ونحو ذلك ، دين وطريق وعبادة ، فيضاهون المشركين الذين قالوا :
« لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء »^(٢) . وقالوا :
« انظعم من لو يشاء الله اطعمه »^(٣) . وقالوا : « لو شاء الرحمن
بما عبيناهم »^(٤) .

ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجهه
فى المصائب التى تصيبنا ، كالكفر والمرض والخوف قال تعالى :
« ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه »^(٥) .

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ،
فيرضى ويسلم . وقال تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الأرض
ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، أن ذلك على الله يسير
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »^(٦) .

وفى « الصحيحين » : عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« احتج آدم وموسى ، فقال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ،
ونفخ فىك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؟
فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك

(١) الروزنة : الكوة ، وهى خرق فى الحائط ، كالنافذة .

(٢) الانعام : ١٤٨ (٣) يس : ٤٧

(٤) الزخرف : ٢٠ (٥) التغابن : ١١

(٦) الحديد : ٢٢ ، ٢٣

الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل أن أخلق آدم قال : نعم • قال فحج آدم موسى •

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر فلما أن المذنب يحتج بالقدر . فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ، ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس . وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر • ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب ، فان آدم قد تاب الى ربه فاجتبه وهدى ، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة • ولهذا قال : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا على قبل أن أخلق •

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقديرا ، وما قدر من المصائب يجب الاستسلام ، فانه من تمام الرضاء بالله ربا •

وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعاييب ويصبر على المصائب • قال تعالى : « فاصبر أن وعد الله حق واستغفر لذنبك » (١) وقال تعالى : « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » (٢) . وقال : « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٣) . وقال يوسف عليه السلام : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » (٤) • وكذلك ذنوب العباد ، يجب على العبد خيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ، ويمادى أعداء الله ، ويحب في الله ويبغض في الله ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا عصى و هوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وأياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالموودة وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل • ان يتقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا • لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير •

(٢) آل عمران : ١٢٠

(٤) يوسف : ٩٠

(١) غافر : ٥٥

(٣) آل عمران : ١٨٦

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم
آنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده (١) .

وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايتهم بروح منه » (٢) . وقال : « افجعل
المسلمين كالمجرمين » (٣) . وقال : « ام نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار » (٤) .
وقال تعالى : « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمَنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » (٥)
وقال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور .
ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٦) .
وقال تعالى : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل هل يستويان مثلا » (٧) وقال تعالى : « ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا
وجها ، هل يستويون ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله
مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما
يوجهه لا يات بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط
مستقيم » (٨) . وقال تعالى : « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب
الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » (٩) .

ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل ، وأهل
الطاعة والمعصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ،
وأهل النور والرشاد ، وأهل الصدق والكذب .

فمن شهد الحقيقة الكونية دون (الحقيقة) الدينية ، سوى بين
هذه الأصناف المختلفة التي فرق الله بينها غاية التفريق حتى تؤول

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) المتحنة : ١ - ٤ | (٢) المجادلة : ٢٢ |
| (٣) القلم : ٣٥ | (٤) سورة ص : ٢٨ |
| (٥) الجاثية : ٢١ | (٦) فاطر : ١٩ - ٢٢ |
| (٧) الزمر : ٢٩ | (٨) النحل : ٧٥ ، ٧٦ |
| (٩) الحشر : ٢٠ | |

به هذه التسوية الى أن يسوى بين الله وبين الأصنام . كما قال تعالى عنهم : « تالله ان كنا لفي ضلال مبين » اذ نسويكم رب العالمين » (١) .

بل قد آل الأمر بهؤلاء الى أن يسووا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود ، اذ جعلوه هو وجود المخلوقات ، وهذا من أعظم الكفر والالحاد رب العباد ، وهؤلاء يصل بهم الكفر الى أنهم لا يشهدون أنهم عباد الله ، لا بمعنى أنهم معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، اذ يشهدون أنفسهم هي الحق ، كما صرح بذلك طواغيتهم ، كابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثلة الملحدين المقترين ، كابن سبعين وأمثلة ، ويشهدون أنهم هم المعابدون والمعبودون .

وهذا ليس بشهود للحقيقة ، لا الكونية ولا الدينية ، بل هو ضلال وعى عن شهود الحقيقة الكونية ، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وجعلوا كل وصف مذموم ومندوح نعتاً للخالق والمخلوق ، اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان لله أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته » (٢) .

فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مبين للمخلوق ليس هو حال فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى انما كفرهم الله اذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصة . فكيف من جعل ذلك عاماً في كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، وأنه لا يجب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق

(١) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨

(٢) رواه أحمد في المسند ، وسنده حسن .

أن يعبدوه فيطيعوا أمره ، ويستعينوا به على كل ذلك ، كما قال في فاتحة الكتاب : « أياك نعبد وأياك نستعين » (١) .

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان ، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون في اقامة دينه ، مستعينين به ، رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات ، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالاكل ، ويدفع به الجوع المستقبل ، وكذلك اذا آن أوان البرد دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ، كما فالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. رأيت أدوية تداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى تتقى بها : هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : « هي من قدر الله » . وفي الحديث : « ان الدعاء والبلاء ليلتقيان ، فيعتلجان بين السماء والأرض » .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية - وهى ربوبية تعالى لكل شئ ، ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب فى الضلال .

فعلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما ، فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون فيه الشريعة .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ » (٢) . وقالوا : « لو شاء الرحمن ما عبدناهم » (٣) .

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا ، بل كل من احتج بالتندر فانه متناقض . فانه لا يمكن أن يقر كل آدمى على ما يفعل ، فلا بد اذا ظلمة ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وأخذ بسفك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو

(٢) الانعام : ١٤٨

(١) الفاتحة : ٥

(٣) الزخرف : ٢٠

ذلك من أنواع الضرر التى لا قوام للناس بها ، أن يدفع هذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله • فيقال له : ان كان القدر حجة ، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ، وان لم يكن حجة بطل قولك : « ان القدر حجة » •

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يترددون هذا القول ولا يلتزمونه ، وانما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم ، كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به •

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر والنهى لازم لمن شهد لنفسه أفعالا ، وأثبت له صفات ، أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فانه يرتفع عند الأمر والنهى ، والوعد والوعيد •

وقد يقولون : من شهد الارادة سقط عنه التكليف • ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهود الارادة •

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية • فشهدوا أن الله خالق العباد ، وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات • وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما ، وبين من يراه شهودا • فلا يسقطون التكليف عن مؤمن بذلك ويعلمه فقط ، ولكن (يسفطونه) عن يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلا أصلا •

وهؤلاء (لا) يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه •

وقد وقع فى هذا طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعرفة والتوحيد •

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد (لا) يؤمر بما يقدر عليه • كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك •

ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهى الشرعيين دون القضاء والقدر ، اللذين هما ارادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد • وهؤلاء أثبتوا القضاء

والقدر ، ونفوا الأمر والنهى نى حقت من شهود القادر ، اذ لم يكنهم
نفى ذلك مطلقا .

وقول هؤلاء شر من تول المعتزلة ، ولهذا لم يكن نى السلف من
هؤلاء أحد وهؤلاء يجعون الأمر والنهى للمحجوبين الذين لم يشهدوا
هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يسقطون عن وصل الى شهود هذه
الحقيقة الأمر والنهى ، ويقولون : انه صار من الخاصة ، وربما تأولوا
على ذلك قسوله تعالى : « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » (١) .
فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة .

وقول هؤلاء كفر صريح ، وان وقع فيه (بالتقليد) طوائف لم يعلموا
انه كفر ، فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن الأمر والنهى
لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى أن يموت ، لا يسقطان عنه ،
لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له ،
فان أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهى ، فانه يقتل (كتمرا) ، وقد كثرت
مثل هذه المقالات فى المستأخرين .

وأما المتقدمون من هذه الأمة ، فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم
وهذه المقالات هى محادة الله ورسوله ومعاداة له . وصعد عن سبيله
ومشاقة له ، وتكذيب لرسوله ، ومضادة له فى حكمه ، وان كان من يقول
هذه المقالات قد يجعل ذلك ، ويعتقد أن هذا الذى هو عليه ، هو طريق
الرسول ، وطريق أولياء الله المحققين ، فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد أن
الصلاة لا تجب عليه ، لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية ،
أو أن الخمر حلال له ، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر ،
أو أن الفاحشة حلال له ، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك !

فلا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة
المخالفة لشرع الله ، وبين الاحتجاج بالقدس على مخالفة أمر الله ،
فهذه الأصناف فيهم شبه من المشركين (لأنهم) اما أن يتدعوا ،
واما أن يحتجوا بالقدس ، واما أن يجمعوا بين الأمرين ، كما قال تعالى

عن المشركين : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » (١) ، وكما قال تعالى عنهم : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » (٢) .

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام وعبادة الله بما لم يشرع الله ، في مثل قوله تعالى : « وقالوا هذه أنعام وحرت حجر لا يطمعها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه » (٣) الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله : « يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة » الى قوله : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل امر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » الى قوله : « وكلموا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب السرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » الى قوله : « انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٤) .

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو (الرياضة) والسلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه هو ويذوقه ، ويجده (في قلبه الغافل الضال عن الله) ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا ، بل عبدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم ، وجعلهم ما يرونه وما يهوونه حقيقة وبأمروا باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله ، نظير بدع أهل الكلام من البهية وغيرهم ، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها ، دون ما دلت عليه السمعية ثم الكتاب والسنة ، اما ان يحرفوا القول فيهما عن مواضعه ، واما أن يعرضوا عنه بالكلية ،

(٢) الانعام : ١٤٨

(١) الاعراف : ٢٨

(٤) الاعراف : ٢٧ — ٣٣

(٣) الانعام : ١٣٨

فلا يتدبرونه ولا يعقلونه ، بل يقولون : نفوض معناه الى الله ، مسح
اعتقادهم نقض مدلوله •

واذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المذخلة للكتاب
والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة ، وكذلك أولئك (الصوفية)
اذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله ، المانحة للكتاب والسنة ،
وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أوليائه •

وأصل كل ضلال من ضل ، انما هو بتقديم قياسه على النص المنزل
من عند الله ، وتقديم اتباع الهوى على أمر الله • فان الذوق والوجد
ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويهواه • فكل محب له ذوق
ووجد بحسب معتبه وهواه •

فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد ، مثل ما بينه النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلوة
الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يدب
المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه
الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « ذاق طعم
الايمان : من رضى بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً » (٢) •
وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكل بحسبه •

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة
لأهوائهم ؟ فقال : انسيت قوله تعالى : « واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم » (٣) ، أو نحو هذا من الكلام •

فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى : « ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد
حبا لله » (٤) • وقال : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون

(١) رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه •

(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه •

(٣) البقرة : ٩٣ : (٤) البقرة : ١٦٥

(٢٤) — مجموعة التوحيد

اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله (١) . وقال :
« ان يتصبرن الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم
الهدى (٢) » .

ولهدا يسيل هؤلاء ، ويفرمون بسماع الشعر والأصوات (والآلات
الموسيقية) التي تهيج المحبة المطلقة ، التي لا تختص بأهل الايمان ،
بل يشترك فيها محب الرحمن ، ومحب الأوتان ، ومحب الصلبان ،
ومحب الأوطان ، ومحب الاخوان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان ،
وهؤلاء (هم الذين) يتبعون أذواتهم ومواجيدهم ، من غير اعتبار
لذلك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة .

فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده ، وطاعته
وطاعة رسوله ، لا يكون متبعا لدين شرعه الله أبدا ، كما قال تعالى :
« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم
أولياء بعض ، والله ولي المتقين » (٣) بل يكون متبعا لهواه بغير هدى
من الله ، قال تعالى : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
يأذن به الله » (٤) .

وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة ، ويقدمونها
على ما شرعه الله . وتارة يحتجون بالقدر الكونى على الشريعة ، كما
أخبر الله عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلامهم عندهم قدرا ، وهم مستسكون
بما اختاروا بهواهم من الدين فى أداء الفرائض المشهورة ، واجتناب
المحرمات المشهورة ، لكن يضلون بترك ما أمروا به من الأسباب التي
هى عبادة ، فلان العارف اذا شهد القدر أعرض عن ذلك ، مثل من
يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة ،
بناء على أن من شهد القدر ، علم أن ما قدر سيكون ، فلا حاجة الى ذلك
وهذا ضلال مبين .

فان الله قدر الأشياء بأسبابها ، كما قدر السعادة والشقاوة

(١) القصص : ٥٠

(٢) النجم : ٢٣

(٣) الشورى : ٢١

(٤) البقرة : ١٨ ، ١٩٠

بأسبابها ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق الجنة أهلا خلقها لهم وهم في اصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلا ، خلقها لهم وهم في اصلاب آبائهم ، ويعمل أهل النار يعملون » (١) .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم : بأن الله كتب المقادير ، فقالوا : يا رسول الله . . . أنفلا ندع العمل ، وتكل على الكتاب لا فقال : « لا ، اعلموا ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة » (٢) .

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فيو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة ، كما في قوله تعالى : « فاعبدوه وتوكل عليه » (٣) . وفي قوله : « قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب » (٤) .

وقول شعيب عليه السلام : « عليه توكلت واليه أتيت » (٥) . ومنهم طائفة قد تركت المستحبات من الأعمال دون الواجبات ، فتقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يفترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور : ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما ينجو العبد منها بملزمة أمر الله الذي بعث به رسوله ، في كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلتنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل « سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان : أحدهما : أن لا يعبد الا الله .

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) هود : ١٢٣ .
(٤) الرعد : ٣٠ .
(٥) هود : ٨٨ .

الثاني : أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع ، لا يعبد به غير ذلك من الأهواء والظنون والبدع ، قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) .

وقال تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) . وقال تعالى : « ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، واتخذ الله إبراهيم خليلا » (٣) .

فالعمل الصالح : هو الاحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات : هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر ايجاب أو استحباب .

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السنة ، فاتها — وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل — ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل مالا يجوز ، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٤) . وقوله : « أسلم وجهه لله » (٥) . فهو اخلاص الدين لله وحده ، وكان ممن

ابن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملي كله صائغا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا . وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : « لبيسواكم ايكم احسن عملا » (٦) ، قال : اخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ، اخلصه وأصوبه ؟ قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

فإن قيل : فاذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها ؟ كقوله في فاتحة الكتاب : « اياك نعبد

(٢) البقرة : ١١٢

(٤) الكهف : ١١٠

(٦) الملك : ٢

(١) الكهف : ١١٠

(٣) النساء : ١٢٥

(٥) البقرة : ١١٢

واياك نستعين» . وقوله لنبيه : « فاعبدته وتوكل عليه » (١) .
وقول نوح : « اعبدوا الله واتقوه واطيعون » (٢) . وكذلك قول غيره
من الرسل : قيل : هذا له نظائر ، كما في قوله : « ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر » (٣) والفحشاء من المنكر ، وكذلك قوله :
« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى » (٤) .

وايتاء ذى القربى : هو من العدل والاحسان ، كما أن الفحشاء
والبغى من المنكر ، وكذلك قوله : « والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلاة » (٥) . واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب . وكذلك
قوله عن انبيائه : « انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبيا » (٦) . ودماؤهم رغبا ورهبيا من الخيرات ، وامثال ذلك
فى القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ، فيعطف
عليه تخصيصا له بالذكر ، لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص .

وتارة تتنوع دلالة الاسم بحال الاقتران والافتراق . فاذا أفرد عم ،
واذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « المسكين » لما أفرد
أحدهما فى مثل قوله : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله » (٧)
وقوله : « اطعام عشرة مساكين » (٨) دخل فى الآخر . ولما قرن
بينهما فى قوله : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » (٩) صارا نوعين .
وقد قيل : ان الخاص المعطوف على العام ، لا يدخل فى العام
بحال الاقتران ، بل يكون من هذا الباب .

والتحقيق ان هذا ليس لازما . قال تعالى : « من كان عدوا لله
وملائكته ورسوله وجبريل وميكال » (١٠) . وقال تعالى : « واذا اخذنا

(١) هود : ١٢٣	(٢) نوح : ٣
(٣) العنكبوت : ٤٥	(٤) النحل : ٩٠
(٥) الاعراف : ١٧٠	(٦) الانبياء : ٩٠
(٧) البقرة : ٢٧٣	(٨) المائدة : ٨٩
(٩) التوبة : ٦٠	(١٠) البقرة : ٩٨

من النبيين ميشاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم (١) .

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة ، تارة لكونه
خاصية ليست لسائر أفراد العام ، كما فى نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ، وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم ،
كما فى قوله : « هدى للمقتنين » الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك (٢) . فقوله : « يؤمنون بالغيب » يتناول كل الغيب الذى
يجب الايمان به . لكن فيه اجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب :
ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون
بالمخبر به ، وهو الغيب ، وبالاخبار بالغيب ، وهو ما أنزل عليك
وما أنزل من قبلك .

ومن هذا الباب : قوله تعالى : « اتل ما اوحى إليك من الكتاب
واقم الصلاة » (٣) . وقوله : « والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلاة » (٤) . وتلاوة الكتاب : هى اتباعه والعمل به ، كما قال
ابن مسعود فى قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته » (٥) . قال : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ويؤمنون
بمتشابهه ، ويعملون بمحكمه . فاتباع الكتاب : يتناول الصلاة وغيرها
لكن خصها بالذكر لمزيتها . وكذلك قال لموسى : « ابنى أنا الله لا اله الا أنا
فاعبدنى واقم الصلاة للذكرى » (٦) . واقام الصلاة للذكرى : من اجل
عبادته . وكذلك قوله تعالى : « اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » (٧) .
وقوله : « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » (٨) . وقوله :
« اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٩) فان هذه الأمور هى أيضا من
تمام تقوى الله ، وكذلك قوله : « فاعبدوه وتوكل عليه » (١٠) .

(١) الأحزاب : ٧	(٢) البقرة : ٢ — ٤
(٣) العنكبوت : ٤٥	(٤) الأعراف : ١٧٠
(٥) البقرة : ١٢١	(٦) طه : ١٤
(٧) الأحزاب : ٧٠	(٨) المائدة : ٣٥
(٩) التوبة : ١١٩	(١٠) هود : ١٢٣

فإن التركز من الاستعانة ، وهى من عبادة الله ، لكن خصت بالذكر ،
ليقصدها المتعبد بخصوصها . فانها هى العون على سائر أنواع العبادة ،
اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته .

إذا تبين هذا فكمال المخلوق : فى تحقيق عبوديته لله ، وكلما ازداد
العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المخلوق
يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكمل ،
فهو من أجل الخلق بل من أجلهم . قال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون » (١) . وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا .
لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا .
ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم
وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا » (٢) وقال تعالى فى المسيح :
« ان هو الا عبد آتينا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل » (٣) .
وقال تعالى : « وله من فى السموات والأرض ، ومن ههنا لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٤) .
وقال تعالى : « ان يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ،
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا . فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيسوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله ،
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا » (٥) . وقال تعالى : « وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم
داخرين » (٦) . وقال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون . فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار

(٢) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٤) الانبياء : ١٩ ، ٢٠

(٦) غافر : ٦٠

(١) الانبياء : ٢٦ — ٢٨

(٣) الزخرف : ٥٩

(٥) النساء : ١٧٢ ، ١٧٣

وهم لا يسأمون» (١) . وقال تعالى : « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصباح ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدن » (٢) .

وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر الخلق بالعبادة ، وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن ، وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » (٣) . وقال : « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) .

وقال تعالى لبنى اسرائيل : « يا عبادى الذين آمنوا ان ارضي واسمعة فايأى فاعبدون » (٥) . « وايأى فاتقون » (٦) . وقال : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٧) . وقال : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٨) . وقال تعالى : « قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين . وامرت لأن اكون أول المسلمين . قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله اعبد مخلصا له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه » (٩) .

. وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله ، كقول نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها : « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (١٠) .

وفى « المسند » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري » (١١) .

- | | |
|--|---------------------|
| (٢) الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦ | (١) فصلت : ٣٧ ، ٣٨ |
| (٤) النحل : ٣٦ | (٣) الأنبياء : ٢٥ |
| (٦) البقرة : ٤١ | (٥) العنكبوت : ٥٦ |
| (٨) الذاريات : ٥٦ | (٧) البقرة : ٢١ |
| (١٠) المؤمنون : ٣٢ | (٩) الزمر : ١١ — ١٥ |
| (١١) رواه البخارى تعليقا ، وابو داود . قال الحافظ ابن حجر : اسناده حسن . | |

وقد بين أن عباده المخلصين . وهم الذين ينجون من السيئات التي زينوا الشيطان . قال الشيطان : « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادة منهم المخلصين » (١) . وقال تعالى : « هذا صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الفاوين » (٢) . وقال : « فيجزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادة منهم المخلصين » (٣) .

وقال في حق يوسف : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، أنه من عبادنا المخلصين » (٤) . وقال تعالى : « سبحان الله عما يصفون ، إلا عباد الله المخلصين » (٥) .

وقال : « أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٦) .

وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله : « واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإني عندهم لمن المصطفين الأخيار » (٧) .

وقوله : « واذكر عبدنا داوود ذا الأيد أنه آوآب » (٨) . وقال عن سليمان : « نعم العبد ، أنه آوآب » (٩) . وعن أيوب : « نعم العبد » (١٠) . وقال عنه : « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه » (١١) . وقال عن نوح عليه السلام : « ذرية من حملنا مع نوح ، أنه كان عبدا شكورا » (١٢) .

وقال عن خاتم رسله : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » (١٣) . وقال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » (١٤) .

(٢) الحجر : ٤١ ، ٤٢
(٤) يوسف : ٢٤
(٦) النحل : ٩٩ ، ١٠٠
(٨) سورة ص : ١٧
(١٠) سورة ص : ٤٤
(١٢) الاسراء : ٣
(١٤) الجن : ١٩

(١) الحجر : ٣٩ ، ٤٠
(٣) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣
(٥) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠
(٧) سورة ص : ٤٥ — ٤٧
(٩) سورة ص : ٣٠
(١١) سورة ص : ٤١
(١٣) الاسراء : ١

وقال : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » (١) . وقال
« فإوحى إلى عبده ما أوحى » (٢) . وقال : « عينا يشرب بها
عباد الله » (٣) . وقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على
الأرض هونا » (٤) . ومثل هذا كثير متعدد في القرآن .

* * *

فصل

إذا تبين ذلك ، فمعلوم أن الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلا
عظيما ، وهو تفاضلهم في حقيقة الايمان ، وهم ينقسمون فيه الى عام
وخاص ، ولهذا كانت الهية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا كان
الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل . وفي « الصحيح » عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعس عبد الدرهم ، تعس
عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس واتكس ،
وإذا شيك فلا انتقش » . ان أعطى رضى ، وإن منع سخط » (٥) .
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبد الدرهم ، وعبد الدينار ،
وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه دعاء وخبرا ، وهو قوله :
« تعس واتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » والنقش : اخراج الشوكة
من الرجل ، والمنقاش : ما يخرج به الشوكة ، وهذه حال من اذا أصابه
شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس واتكس . فلا نال المطلوب ،
ولا خلاص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك
بأنه اذا أعطى رضى ، واذا منع سخط . كما قال تعالى : « ومنهم من
يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون » (٦) .

فرضاهم لغير الله ، وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان

(١) البقرة : ٢٣
(٢) الانسان : ٦
(٣) النجم : ١٠
(٤) الفرقان : ٦٣
(٥) رواه البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٦) التوبة : ٥٨

متعلقا برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من اهواء نفسه . ان حصل له رضى ، وان لم يحصل له ، يخط . فبذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، اذ الرق والعبودية فى الحقيقة : هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده ولهذا يقال :

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

وقال القائل :

أطعت مطامعى فاستعبدتنى ولو أنى قنعت لكنت حرا

ويقال : الطمع غل فى العنق . وقيد فى الرجل ، فاذا زال الغل من العنق ، زال القيد من الرجل . ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : « الطمع فقير ، واليأس غنى ، وان أحدكم اذا يئس من شيء استغنى عنه » . وهذا أمر يجده الانسان من نفسه ، فان الأمر الذى يئس منه لا يطلبه ، ولا يطمع فيه ، ولا يبقى قلبه فقيرا اليه ، ولا الى من يفعله . وأما اذا طمع فى أمر من الأمور ورجاه ، فان قلبه يتعلق به ، فيصير فقيرا الى حصوله ، والى من يظن أنه سبب فى حصوله ، وهذا فى المال والجاه والصور وغير ذلك . قال الخليل صلى الله عليه وسلم : « فابتنوا عند الله الرزق وامسكوه واشكروا له ، اليه ترجعون » (١) .

فالعبد لا بد له من رزق ، وهو محتاج الى ذلك ، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله ، فقيرا اليه ، واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه . ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة فى الأصل ، وانما أبيحت للضرورة . وفى النهى عنها أحاديث كثيرة فى « الصحاح » و « السنن » و « المسانيد » . كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم » (٢) . وقال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألتة يوم القيامة خدوشا - أو خموشا ، أو كدوشا - فى وجهه » (٣) .

(١) العنكبوت : ١٧

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بمعناه عن جابر رضى الله عنه . قال

الحافظ المنذرى : باسناد لا بأس به .

وقوله : « لا تحل المسألة الا لذى غرم مقطع ، أو دم موجه ، أو فقر مدقع »^(١) . وهذا المعنى فى « الصحيح » وفيه أيضا : « لأن يأخذ أحدكم (أ) حبله فيذهب فيعتطب . خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه »^(٢) . وقال : « ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ، ولا مستشرف فخذ ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك »^(٣) . فكره أخذه مع سؤال اللسان ، واستشرف القلب ، وقال فى الحديث الصحيح : « من يستغن يغنه الله . ومن يستعنف يغنه الله . ومن يتصبر يصبره الله . وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »^(٤) . وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا . وفى « المسند » : أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده ، فلا يقول لأحد ناولنى إياه ، ويقول : « ان خليلى أمرنى أن لا أسأل الناس شيئا »^(٥) . وفى « صحيح مسلم » وغيره ، عن عوف بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم بايعه فى طائفة ، وأسر اليهم كلمة خفية : « أن لا تسألوا الناس شيئا » . فكان بعض أولئك نفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد ناولنى إياه .

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهى عن مسألة المخلوق فى غير موضع . كقوله تعالى : « فإذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب »^(٦) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اذا سألت فاسأل

(١) رواه أبو داود والبيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما عن الزبير بن العوام رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٤) رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٥) وفى سننه انقطاع . قال الحافظ المنذرى : ابن أبى مليكة — يعنى يراوى الحديث — لم يدرك أبا بكر .

(٦) الشرح : ٧ ، ٨

الله ، واذا استعنت فاستعن بالله « (١) . ومنه قول الخليل :
« فابتغوا عند الله الرزق » (٢) .

ولم يقل : فابتغوا الرزق عند الله ، لأن تقديم الظرف يشعر
بالاختصاص والحصر ، كأنه قال : « لا تبتغوا الرزق الا عند الله » . وقد
قال تعالى : « واسألوا الله من فضله » (٣) .

والانسان لا بد له من حصول ما يحتاج اليه من الرزق ونحوه ،
ودفع ما يضره ، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله ، فلا يسأل
رزقه الا من الله ، ولا يشتكى الا اليه ، كما قال يعقوب عليه السلام :
« انما اشكوا بشى وحزنى الى الله » (٤) .

والله تعالى ذكر فى القرآن الهجر الجميل ، والصفح الجميل ،
والصبر الجميل ، وقد قيل : ان الهجر الجميل : هو هجر بلا أذى ،
والصفح الجميل : صفح بلا معاتبة ، والصبر الجميل : صبر بغير شكوى
الى المخلوق . ولهذا قرىء على أحمد بن حنبل فى مرضه : أن طاووسا
كان يكره أن ين المريض ويقول : أنه شكوى . فما أن أحمد حتى مات .
أما الشكوى الى الخالق فلا تنافى الصبر الجميل ، فان يعقوب قال :
« فصبر جميل » (٥) وقال : « انما اشكوا بشى وحزنى الى الله » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فى الفجر بسورة يونس
ويوسف والنحل ، فمر بهذه الآية فى قراءته ، فبكى حتى سمع نسيجه
من آخر الصفوف .

ومن دعاء موسى : « اللهم لك الحمد واليك المشتكى ، وأنت
المستعان (وبك المستغاث) وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك » .
وفى الدعاء الذى دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل
الطائف ما فعلوا : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ،
وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربى ورب المستضعفين ،
اللهم الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟

(١) رواه الترمذى وأحمد ، وهو حسن لغيره .

(٢) النساء : ٣٢

(٣) العنكبوت : ١٧

(٤) يوسف : ٨٣

(٥) يوسف : ٨٦

ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ،
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، واصلح عليه أمر الدنيا
والآخرة : أن ينزل بي سخطك ، أو يحل علي غضبك ، لك العتبي حتى
ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله — وفي بعض الروايات — الا بك « (١) » .

وكلما قوى طمع العبد في فضل الله ورحمته ، ورجأه لتضاء حاجته
ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحرته مما سواه ، فكما أن طمعه
في المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ،
كما قيل : استغن عن شئت تكن نظيره ، وأفضل على من شئت تكن
أميره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره . فكذلك طمع العبد في ربه
ورجأؤه له يوجب عبوديته له ، واعراض قلبه عن الطلب من الله
والرجاء له ، يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو
المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رئاسته
وجنوده وأتباعه ومباليكه ، واما على أهله وأصدقائه ، واما على أمواله
وذخائره ، واما على ساداته وكبرائه ، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه
وغيرهم ، ممن هو قد مات أو يموت ، قال تعالى : « وتوكل على الحي
الذي لا يموت وسبح بحمده ، وكفى به بلذوب عباده خبيرا » (٢) .

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ،
خضع قلبه لهم ، مديرا لأموالهم ، متصرفا بهم . فالحاقل ينظر الى
الحقائق لا الى الظواهر . فالرجل اذا تعاق قلبه بامرأة — ولو كانت
مباحة له — يبقى قلبه أسيرا لها تتحكم فيه وتنصرف بما تريد ، وهو في
الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكةا ، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها
ومسلوكها ، ولا سيما اذا علمت بنقره اليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض
عنها بغيرها ، فانها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في
عبدته المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فان أسر القلب
أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ،

(١) اسناده ضعيف معفل . انظر « فقه السيرة » بتخريج محمد
ناصر الدين الالباني ، ص ١٧٧ .
(٢) الفرقان : ٥٨

فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي ما دام قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص ، وأما إذا كذب القلب — الذى هو ملك الجسم — رقيقاً مستعبداً ، متيماً لغير الله ، فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب فإن المسلم لو أسره الكافر أو استرقه فاجبر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات . ومن استعبد بحق ، إذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك ، وأما من استعبد قلبه فصار عبد لغير الله ، فهذا يضره ذلك كل الضرر ، ولو كذب في الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس »^(١) .

وهذا لعمر الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة . فأما من استعبد قلبه صورة محرمة : امرأة أو صبي . فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب .

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، فإن العاشق لصورة إذا بقى قلبه متعلقاً بها ، مستعبداً لها ، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد ولو سلم بمن فعل لفاحشة الكبرى ، فداوم تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة ، أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين ، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاقة من به سكران ؟

وقيل :

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة .

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في حين :
ومن أعظم أسباب هذا البلاء : اعراض القلب عن الله ، فان القلب
إذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من
ذلك ، ولا ألد ولا أمتع ولا أطيب .

والانسان لا يترك محبوبا الا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه ،
أو خوفا من مكروه ، فالحب الفاسد انما ينصرف انقلب عنه بالحب
الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى في حق يوسف : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ،
انه من عبادنا المخلصين » (١) .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل الى الصورة والتعلق بها .
ويصرف عنه الفحشاء باخلاصه لله .

و (هذا) يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والاخلاص
له ، بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها ، فاذا ذاق طعم الاخلاص
لله ، وقوى في قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ولذا ذكر
الله أكبر (٢) .

فان الصلاة فيها دفع لشر مكروه ، وهو الفحشاء والمنكر ، وفيها
تحصيل لخير محبوب ، وهو ذكر الله . وحصول هذا المحبوب أكبر من
دفع ذلك المكروه ، فان ذكر الله ، عبادة الله ، وعبادة القلب لله مقصودة
لذاتها .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبعية ، وانقلب
خلق يحب الحق ويرينده ويطلبه ، فلما عرضت له ارادة الشر طلب دفع
ذلك ، فانها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل .

ولهذا قال تعالى : « قد افلح من زكاها » وقد خاب من دساها (٣)

(٢) العنكبوت : ٤٥

(١) يوسف : ٢٤

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

وقال تعالى : « قد أفلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى » (١) .
وقال : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ،
ذلك أزكى لهم » (٢) . وقال تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من أحد أبدا » (٣) .

فجعل سبحانه غض البصر ، وحفظ الفرج ، هو أقوى تزكية لنفسه ،
وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس ، وزكاة النفوس تتضمن زوال
جميع الشرور : من الفواحش والظلم ، والشرك والكذب وغير ذلك .
وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض ، قلبه رقيق لمن يعينه
عليها ، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم ، فهو في الحقيقة
يرجوهم ويخافهم ، فيبذل لهم الأموال والولايات ، ويمفو عما يجترحوه
ليطيعوه ويعينوه ، فهو في الظاهر رئيس مطاع ، وفي الحقيقة عبد
مطيع لهم .

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة
الله . وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة
المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين لهواه
الذي استعبده واسترقه — مستعبد للآخر ، وهكذا أيضا طالب المال ،
فإن ذلك المال يستعبده ويسترقه .

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد إليه ، ككل ما يحتاج إليه من طعامه وشرابه
ومسكنه ومنكحه ، ويحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب إليه فيه فيكون
المال عنده — يستعمله في حاجته — بمنزلة حماره الذي يركبه ،
وبساطه الذي يجلس عليه ، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضى فيه حاجته ،
من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعا : إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه
الخير منوعا .

ومنها : مالا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به ،
فإذا علق قلبه به صار مستعبدا له . وربما صار معتمدا على غيره . الله ،

(٢) النور : ٣٠

(١) الأعلى : ١٤ ، ١٥

(٣) النور : ٢١

(٢٥ — مجموعة التوحيد)

فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ، ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخيصة » (١) . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فانه لو طلبها من الله ، فان الله اذا أعطاه اياها رضى ، واذا منعه اياها سخط ، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويجب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالى أولياء الله ، ويعادى أعداء الله تعالى . وهذا هو الذى استكمل الايمان ، كما فى الحديث : « من أحب الله وأبغض الله ، وأعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الايمان » (٢) وقال : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » (٣) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » (٤) . فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه . فكان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله ، لا لغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه لله ، فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فاذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحوبات الحق ، لا لشيء آخر ، فقد أحبه الله لا لغيره . وقد قال تعالى : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه آية على المؤمنين أعزة على الكافرين » (٥) . ولهذا قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (٦) .

فان الرسول لا يأمر الا بما يحب الله ، ولا ينهى الا عما يبغضه الله ، ولا يفعل الا ما يحبه الله ، ولا يخبر الا بما يحب الله التصديق

(١) رواه البخارى وابن ماجه ، وقد تقدم .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن .

(٣) حديث حسن ، أخرجه أحمد عن البراء ، والطبرانى فى « الكبير » .

عن ابن عباس ، وفى « الصغير » عن ابن مسعود .

(٤) متفق عليه . (٥) المائدة : ٤٤

(٦) آل عمران : ٣١

به ، فمن كان محبا لله ، لزم أن يتبع الرسول ، فيصدقه فيما أخبر ،
ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا . فقد فعل
ما يحبه الله ، فيحبه الله •

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجihad
فى سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله
من الايمان ، والعمل الصالح ، وفى دفع ما يبغضه الله : من الكفر والفسوق
والعصيان •

وقد قال تعالى : « قل ان كان آبائكم وابتنائكم واخوانكم
وعشيرتكم » الى قوله : « حتى يأتى الله بامر » (١) •

فتوعد من كان أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله . والجihad
فى سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بلى قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى
الصحيح أنه قال : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (٢) • وفى الصحيح :
أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله • • والله لأنت أحب الى من كل
شيء الا من نفسى • فقال : « لا يا عمر • • حتى أكون أحب اليك من
نفسك » فقال : فوالله لأنت أحب الى من نفسى • فقال : « الآن
يا عمر » (٣) •

فحقيقة المحبة لا تتم الا بموالاته المحبوب ، وهو موافقته فى حب
ما يحب ، وبغض ما يبغض ، والله يحب الايمان والتقوى ، ويبغض
الكفر والفسوق والعصيان •

ومعلوم أن الحب يحرك ارادة القلب ، فكلما فويت المحبة فى
القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فاذا كانت المحبة تامة استلزمت
ارادة حازمة فى حصول المحبوبات ، فاذا كان العبد قادرا عليها حصلها ،
وان كان عاجزا عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك ، كان له أجر كأجر
الفاعل • كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان
له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء •
ومن دعا الى ضلالة ، كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه ، من غير

(١) رواه الشيخان .

(٢) التوبة : ٢٤

(٣) رواه الشيخان •

أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١) . وقال : « ان بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم » . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » .

والجهاد : هو بذل الوسع — وهو كل ما يملك من القدرة — في حصول ، محبوب الحق . فاذا ترك العبد ما يتدر عليه من الجهاد ، كان تركه دليلا على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه .

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبا الا باحتمال المكروهات ، سواء كانت محبة سالحة أو فاسدة ، فالمحبون للمال والرئاسة والصور ، لا ينالون مطالبهم الا بضرر يلحقهم في الدنيا ، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة . فالمحب لله ورسوله اذا لم يحتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ، دل ذلك على ضعف محبة الله ، اذ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم ، هو الطريق الذي يسير به العقل .

ومن المعارف ان المؤمن اشد حبا لله ، كما قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله »^(٢) .

لعمري قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصل له بها المطلوب ، فمثل هذه الطريق لا تحمد اذا كانت المحبة سالحة محمودة .

فكيف اذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟؟ كما يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور ، من حب أمور توجب لهم ضررا ، ولا تحصل لهم مطلوبا ، وانما المقصود : الطرق التي يسلكها ذو العقل السليم لحصوله مطلوبه .

واذا تبين هذا ، فكلما ازداد القلب حبا لله ، ازداد له عبودية ، وكلما ازداد له عبودية ، ازداد له حبا وحرية عما سواه .

والقلب فقير بالذات الى الله من جهتين : من جهة العبادة ، وهي العلة الغائبة ، ومن جهة الاستعانة والتوكل ، وهي العلة الفاعلة .

فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتذ ،
ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، الا بعبادة ربه وحده . وجبه
والانابة اليه ، ولو حصل له كل ما يلتزم به من المخلوقات ، لم يطمئن ،
ونم يسكن ، اذ فيه فخر ذاتي الى ربه بالفطرة ، من حيث هو معبوده
ومحبوبه ، ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة
والسكون والطمأنينة .

وهذا لا يحصل له الا باعانة الله له ، فانه لا يقدر على تحصيل
ذلك السرور والسكون الا الله ، فهو دائما مفتقر الى حقيقة :
« اياك نعبد واياك نستعين » (١) .

فانه لو أعين على حصول كل ما يحبه وبطلبه ويشتهي ويريده ،
ولم يحصل له عبادة الله ، فلن يحصل الا على الألم والحسرة والعذاب ،
ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها ، الا باخلاص الحب لله ،
بحيث يكون الله هو غاية مراده ، ونهاية مقصوده ، وهو المحبوب له
بالقصد الأول ، وكل ما سواه انما يحبه لأجله ، لا يجب شيئا لذاته
الا لله ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا اله
الا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله ، وكان فيه من نقص
التوحيد والايمان ، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك
ولو سعى في هذا المطلوب ، ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه ، مفتقرا
اليه في حصوله ، لم يحصل له ، فانه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ
لم يكن .

فالعبد مفتقر الى الله ، من حيث هو المطلوب المحبوب ، المراد
المعبود ، ومن حيث هو المستول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو اله
الذي لا اله له غيره ، وهو ربه الذي لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته
له الا بهذين .

فمتى كان يحب غير الله لذاته ، أو يلتفت الى غير الله أنه يعينه ،
كان عبدا لما أحبه ، وعبدا لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه اياه ،
واذا لم يحب أحدا لذاته الا الله ، وأي شيء أحبه سواه ، فانما أحبه له ،

ولم يرج قط شيئاً الا الله ، واذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ، مشاهداً أن الله هو الذى خلقها وقدرها وسخرها له ، وأن كل ما فى السموات والأرض فإله ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر اليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك •

والناس فى هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصى طرقها الا الله •
فأكمل الخاق وأفضاهم ، وأعلاهم وأقربهم الى الله ، وأقربهم وأهداهم : أنهم عبودية لله من هذا الوجه •

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذى أرسل الله به رسوله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والمتنع عن الاستسلام له مستكبر •

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن الجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر »^(١) • كما أن النار لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فجعل الكبر مقابلاً للإيمان ، فإن الكبر ينافى حقيقة العبودية ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله : العظمة أزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما عذبت »^(٢) ، فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الأزار •

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ، وكان مستحباً فى الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، وإذا علا الانسان شرفاً ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وإن عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان ، قال تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »^(٣) •

وكل من استكبر عن عبادة الله ، فلا بد أن يعبد غيره ، ويذل له ، فإن الانسان حساس يتحرك بالارادة •

(١) رواه مسلم وأبو داود • (٢) رواه مسلم وأبو داود •

(٣) غافر : ٦٠

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصدق الأسماء : حارث وهمام »^(١) فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهمام : فعال من الهم ، والهم أول الارادة ، فالإنسان له ارادة دائما . وكل ارادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه و ارادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه و ارادته . بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب ، يستعبده ويستذله . غير الله ، فيكون عبدا ذليلا لذلك المراد المحبوب اما المال ، واما الجاه . واما الصور ، واما ما يتخذها لها من دون الله ، كالشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء والصالحين ، والملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أربابا ، وغير ذلك مما عبد من دون الله .

واذا كان عبدا لغير الله كان لابد مشركا ، وكل مستكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله ، وكان مشركا قال تعالى : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ... » الى قوله : « وقال موسى انى علمت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ... »^(٢) الى قوله : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار »^(٣) . وقال تعالى : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا مسلمين »^(٤) . وقال تعالى : « ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم »^(٥) . وقال : « وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »^(٦) . ومثل هذا في القرآن كثير . وقد وصف فرعون بالشرك في قوله : « ولقال لا اله الا من قبوم فرعون اتعذر موسى وقبومه ليفسدوا في الأرض »

(١) الذي في صحيح مسلم : « أحب الأسماء الى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن » وحديث : « وأصدقها : حارث وهمام » رواه أبو داود ، والنسائي ، وليس هو في الصحيح .
(٢) غافر : ٢٣١-٢٣٧ .
(٣) غافر : ٣٥ .
(٤) العنكبوت : ٣٩ .
(٥) القصص : ٤ .
(٦) النمل : ٢٤ .

ويترك وألهتك» (١) . بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل . أعظم استكبارا عن عبادة الله ، كان أعظم اشراكا بالله لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ، ازداد فقرا وحاجة الى مراده المحبوب الذي هو مقصود قلبه بالقصد الأول ، فيكون مشركا لما استعبده من ذلك .

ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات ، الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد الا اياه ، ولا يستعين الا به ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره الا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالى الا من والاه الله ، ولا يعادى الا من عاداه الله ، ولا يحب الا الله ، ولا يبغض شيئا الا الله ، ولا يعطى الا الله ، ولا يمنع الا لله . فكلما قوى اخلاص حبه ودينه لله كملت عبوديته ، واستغناؤه عن المخلوقات . وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكبر والشرك ، والشرك غالب على النصارى ، والكبر غالب على اليهود ، قال تعالى . في النصارى : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٢) . وقال في اليهود : « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٣) . وقال تعالى : « ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيلا الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيلا الفى يتخذوه سبيلا » (٤) .

ولما كان الكبر مستلزما للشرك ، والشرك ضد الاسلام ، وهو الذنب الذى لا يغفره الله ، قال تعالى : « ان الله لا يقفر ان يشرك به ، ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (٥) . وقال : « ان الله لا يقفر ان يشرك به ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (٦) .

كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام ، فهو الدين الذى .

(٢) التوبة : ٣١
(٤) الأعراف : ١٤٦
(٦) النساء : ١١٦

(١) الأعراف : ١٢٧
(٣) البقرة : ٨٧
(٥) النساء : ٤٨

لا يقبل الله غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، قال نوح :
 « فان توليتم فما سألتكم من أجر ، ان أجرى الا على الله واميت ان
 اكون من المسلمين » (١) . وقال في حق ابراهيم : « ومن يرغب عن
 ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في
 الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين »
 الى قوله : « فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (٢) . وقال عن يوسف :
 « توفني مسلما والعطني بالصالحين » (٣) . وقال عن موسى :
 « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين . فقالتوا على
 الله توكلنا » (٤) . وقال تعالى : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
 يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا » (٥) . وقال عن بلقيس :
 « رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (٦) .
 وقال : « واذا لوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا
 آمنا واشهد باننا مسلمون » (٧) . وقال : « ان الدين عند الله
 الاسلام » (٨) . وقال : « ومن يبتغ غير الاسلام ديننا فان
 يقبل منه » (٩) . وقال تعالى : « افغير دين الله يبغون وله اسلم
 من في السموات والارض طوعا وكرها » (١٠) .

فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها ، لأن المخلوقات جميعها متبعة
 له التبعيد العام ، سواء أقر المقرر بذلك أو أنكره ، وهم يدينون له
 مدبرون ، فهم مسلمون له طوعا وكرها ، ليس لأحد من المخلوقات
 خروج عما شاءه وقدره وقضاه ، ولا حول ولا قوة الا بالله . رب
 العالمين ومليكهم ، يصرنهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم
 ومصورهم وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور ، فقير محتاج
 معبد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارئ المصور ،
 وهو وان كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر
 له ، والسبب مفتقر اليه كافتقار المسبب ، وليس فى المخلوقات سبب

(٢) البقرة : ١٣٠ - ١٣٢

(٤) يونس : ٨٤ ، ٨٥

(٦) النمل : ٤٤

(٨) آل عمران : ١٩

(١٠) آل عمران : ٨٣

(١) يونس : ٧٢

(٣) يوسف : ١٠١

(٥) المائدة : ٤٤

(٧) المائدة : ١١١

(٩) آل عمران : ٨٥

مستقل بفعل خير ولا دفع ضر ، بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه ، والى ما يدفع عنه الضرر الذى يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه ، قال تعالى : « قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون » (١) . وقال تعالى : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » (٢) . وقال تعالى عن الخليل : « يا قوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه ، قال اتعاجونى فى الله وقد هدى ، ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا » الى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتعون » (٣) .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله .. أينما لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال : « انما هو الشرك » ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح : « ان الشرك لظلم عظيم » (٤) وابراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين ، حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين . قال الله تعالى : « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين » (٥) . فبين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم اماما ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين » (٦) .

والأمة : هو معلم الخير الذى يؤتم به ، كما أن القدوة الذى يقتدى به . والله تعالى جعل فى ذريته النبوة والكتاب ، وانما بعث الأنبياء

(٢) الأنعام : ١٧ .
(٤) لقمان : ١٣ .
(٦) النحل : ١٢٠ .

(١) الزمر : ٣٨ .
(٣) الأنعام : ٧٨ — ٨٢ .
(٥) البقرة : ١٢٤ .

بعده بملته . قال تعالى : « ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » (١) . وقال تعالى : « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين » (٢) . وقال تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٣) . وقال تعالى : « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما اُنزل الينا وما اُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط » الى قوله : « ونحن له مسلمون » (٤) .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان ابراهيم خير البرية » (٥) . فهو أفضل الأنبياء بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو خليل الله تعالى .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال : « ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا » (٦) . وقال : « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » (٧) — يعني نفسه — وقال : « لا تبقين في المسجد خوذة الا سدت الا خوذة أبي بكر » (٨) وقال : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » (٩) . وكل هذا في الصحيح وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته ، فان في ذلك تمام تحقيق مخالته لله التي أصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله ، خلافا للجهمية .

وفي ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا الا اياه ، ردا على أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين يخسئون الصديق رضي الله عنه حقه ، وهم أعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بعبادة على وغيره من البشر .

(٢) آل عمران : ٦٨
(٤) البقرة : ١٣٥ ، ١٣٦
(٦) رواه مسلم .
(٨) متفق عليه .

(١) النحل : ١٢٣
(٣) آل عمران : ٦٧
(٥) رواه مسلم .
(٧) متفق عليه .
(٩) رواه مسلم .

والنحلة : هي كمال المحبة المستنزسة من العبد كمال العبودية لله *
ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويعبونه *

ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب ، فانهم يقولون :
قلب متيم اذا كان معبدا للمحبوب * والمتيم : المعبد ، وتيم الله :
عبد الله ، وهذا على الكمال حصل لآبراهيم ومحمد صلى الله عليهما
وسلم *

ولهذا له يكن له صلى الله عليه وسلم من أهل الأرض خليل ، اذ
الخللة لا تحتل الشراكة ، فانه كما قيل في المعنى :

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمي الخليل خليلا
بخلاف أصل الحب ، فانه صلى الله عليه وسلم قد قال في الحديث.
الصحيح في الحسن وأسماء : « اللهم اني أحبهما فأحبهما ، وأحب
من يحبهما »^(١) وسأله عمرو بن بن العاص : أى النساء أحب اليك ؟
فقال : « عائشة » قال : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » وقال لعلي
رضي الله عنه : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه
الله ورسوله »^(٢) وأمثال ذلك كثير *

وقد أخبر تعالى انه : « يحب المتقين »^(٣) و « يحب
المحسنين »^(٤) و « يحب المقسطين »^(٥) و « يحب التوابين
ويحب المتطهرين »^(٦) و « يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيران مرصوص »^(٧) وقال : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه »^(٨) *

(١) رواه البخارى بلفظ : « اللهم أحبهما » . وما أورده المؤلف .
فهو من رواية الترمذى في حق الحسن والحسين ، وفي سنده عبد الله بن
أبي بكر بن زيد بن المهاجر ، وهو مجهول ، كما في « التقريب » .

(٢) متفق عليه . (٣) آل عمران : ٧٦

(٤) البقرة : ١٩٥ ، المائدة : ١٣

(٥) الحجرات : ٩ ، المتحنة : ٨

(٦) البقرة : ٢٢٢ (٧) الصف : ٤

(٨) المائدة : ٥٤

فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال :
« والذين آمنوا أشد حبا لله » (١) .

أما الخلقة فخاصة ، وقول بعض الناس : ان محمدا حبيب الله وإبراهيم خليل الله . وظن ان المحبة فوق الخلقة ، فقول ضعيف ، فان محمدا أيضا خليل الله ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة . وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب و خليل ، ومثال ذلك ، فأحاديث موضوعه لا تصلح ان يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى هي محبته ومحبة ما أحب ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ، ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد اد أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقي في النار » (٢) . أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه هذه الثلاث ، وجد حلاوة الايمان ، لأن وجود الحلاوة بالشئ يتبع المحبة له . فمن أحب شيئاً أو أشياء ، اذا حصل له به مراده ، فانه يجسد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتى .

ومن قال : ان اللذة ادراك الملائم — كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء — فقد غلط في ذلك غلطا يينا ، فان الادراك يتوسط بين المحبة واللذة ، فان الانسان مثلاً يشتهي الطعام ، فاذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة ، فاللذة تتبع النظر الى الشئ ، فاذا نظر اليه التذ به ، واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر ، وليست هي رؤية الشئ بل تحصل عقيب رؤيته .

قال تعالى : « وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين » (٣) .

وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام : من فرح ، وحزن ، ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب ، أو الشعور بالمكروه ، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن .

(١) البقرة : ١٦٥

(٢) رواه الشيخان عن انس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) الزخرف : ٧١

فحلاوة الايمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجنده المؤمن.
الواجد حلاوة الايمان ، تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور :
تكميل هذه المحبة ، وتعريفها ، ودفع ضدها •

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فإن
محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله
ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم •

وتعريفها : « أن يحب المرء لا يحبه الا لله » •

ودفع ضدها : أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الالتقام
في النار •

فاذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله ، لأنه أكمل
الناس محبة الله ، وأحقهم بأن يحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه
الله ، والخلة ليس لغير الله فيها نصيب ، بل قال : « لو كنت متخذاً
من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً »^(١) • علم مزيد مرتبة
الخلة على مطلق المحبة •

والمقصود : هو أن الخلة والمحبة لله : تحقيق عبوديته ، وانما يغلط
من يغلط في هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط
لا محبة معه ، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء ، أو اذلال لا تحتمله
الريوية ، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة
فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها • وكره من
كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة
بلا خشية • وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو
زنديق^(٢) ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ^(٣) ، ومن عبده

(١) متفق عليه •

(٢) الزنديق : هو من يبطن الكفر ويظهر الايمان •

(٣) المرجئة : قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما
لا ينفع مع الكفر طاعة •

بالخوف وحده فهو حرورى^(١) ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد . ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك الى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافى العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح الا لله ، فيدعى أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه الا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين (فضلا عن هم دونهم) .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ . وسببه : ضعف تحقيق العبودية التي بينها الرسل ، وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته . وإذا ضعف العقل : وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة (طائشة جاهلة) ، انبسطت النفس بحمقها في ذلك ، كما ينسبط الانسان في محبة الانسان مع حمقه وجهله . ويقول : أنا محب ، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : « نحن أبناء الله وأحباؤه » (٢) . قال الله تعالى لهم : « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشئ من خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » (٣) .

فان تعذبيه لهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين : ولا منسويين اليه بنسبة النبوة ، بل يقتضى أنهم مربيون مخلوقون . فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه . ومحبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من : الكفر ، والفسوق ، والعصيان . ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فان الله يبغضه ويبغض منه ذلك ، كما يحب عبده المؤمن ويجب منه ما يفعله من الخير : اذ أن حبه للعبد بحسب ايمانه وتقواه . ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع اصراره عليها ، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه . وعدم تداويه منه لصحة مزاجه ولو تدبر الأحمق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه ، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار ، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي كان فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم ،

(١) الحرورية : الذين خرجوا على « على » رضى الله عنه ، وحاربوه عند قرية اسمها حروراء .
(٢) المائدة : ١٨

علم ضرر انذوب بأصحابها ، ولو كان أرفع الناس مقاما . فان الحب للمخلوق اذا لم يكن عارفا بمحابه ولا مریدا لها ، بل يعمل بمقتضى الحب ، وان كان جهلا وظلما . كان ذلك سبب بغض المحبوب له ، ونفوره عنه ، بل سببا لمقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا فى دعوى حب الله أنواعا من الجهل بالدين : اما من تعدى حدود الله ، واما من تضييع حقوق الله ، واما من ادعاء الدعاوى الباطلة التى لا حقيقة لها ، كقول بعضهم : أى مرید لى ترك فى النار أحدا فأنا برىء منه . فقال الآخر : أى مرید لى ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فأنا برىء منه برىء .

فالأول : جعل مریده يخرج كل من فى النار . والثانى : جعل مریده يمنع من دخول النار .

ويقول بعضهم : اذا كان يوم القيامة نصبت خيمتى على جهنم حتى لا يدخلها أحد .

وأمثال ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين . وهى اما كذب عليهم ، واما غلط منهم .

ومثل هذا قد يصدر فى حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الانسان ، او يضعف حتى لا يدرك ما قال . والسكر لذة مع عدم تمييز ، ولهذا كان من هؤلاء من اذا صحا استغفر من ذلك الكلام ، والذين توسعوا من الشيوخ فى سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق وانلوم والعدل والغرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فان هذا الجنس يحرك ما فى القلب من الحب كائنا ما كان ، ولذا أنزل الله محبته يستحسن بها المحب ، فقال : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (١) .

فلا يكون محبا لله الا من يتبع رسوله . وطلاعة الرسول ومتابعته لا تكون الا بتحقيق العبودية . وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسننه صلى الله عليه وسلم ، ويدعى من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسننه وطاعته ، بل قد

جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد في سبيله ، والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : « اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (١) .

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها ، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل . فآين هذا من قوم يدعون المحبة ؟ وسمعوا كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب ، وأرادوا أن تكون كله . قد أراد الله وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء . حتى الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يمكن لأحد أن يحب كل موجوده . بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيه ويضره . ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماسا في أهوائهم وشهواتهم ، فهم يحبون ما يهوون ، كالصور ، والرئاسة ، وفضول المال ، والبدع المضلة ، زاعمين أن هذا من محبة الله ، وكذبوا وفسدوا ، فإن محبة الله لا تكون إلا ببغض ما يبغضه الله ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد الله تعالى ، الإرادة الكونية في كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله ، من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المذاهب ، فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا معنى صحيح ، فإن من تمام الحب لله أن لا يحب إلا ما يحبه الله ، فإذا أحببت ما لا يحب ، كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ، فإن لم أوافق في بغضه وكرهه وسخطه ، لم أكن محبا له ، بل محبا لما يبغضه . فتابع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل

محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدعى محبة الله .
 فأنظر الى عموم ربوبيته ، أو متبعي البعض البدع المخالفة لشرعته ،
 فإن نغوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة
 لله ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شراً من دعوى اليهود والنصارى ،
 لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار ، كما قد
 تكون دعوى اليهود والنصارى شراً من دعواهم اذا لم يصلوا الى مثل
 كفرهم .

وفي التوراة والانجيل من الترغيب في محبة الله ما هم مشفقون
 عليه ، حتى ان ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس .

ففي الانجيل أعظم وصايا المسيح ، أن تحب الله بكل قلبك وعقلك
 ونفسك ، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من
 الزهد والعبادة ، هو من ذلك ، وهم براء من محبة الله ، اذ لم يتبعوا
 ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم .
 والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه .
 لا يمكن أن يكون العبد محباً لله والله تعالى غير محب له ، بل بقدر
 محبة العبد لربه يكون حب الله له ، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم .
 كما في الحديث الصحيح الالهي عن الله تعالى أنه قال : « من تقرب الى
 شبرا تقربت اليه ذراعاً ، ومن تقرب الى ذراعاً تقربت اليه باعاً ، ومن
 أتاني يشي أتيت هرولة » (١) .

وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصابرين ،
 ويجب التوازين ، ويجب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به من
 واجب ومستحب ، كما في الحديث الصحيح : « لا يزال عبدي يتقرب
 الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،
 وبصره الذي يبصر به » (٢) الحديث . وكثير من المخطئين الذين
 ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من
 دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته : وترك المجاهدة في سبيله ، ونحو

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .
 (٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد تكلم عليه
 الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » فليراجع .

ذلك ، ويتمسكون فى الدين الذى يتقربون به الى ربهم بنحو ما تسلك به
النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التى لا يعرف صدق قائليها ،
ولو صدق لم يكن قائليها معصوما ، فيجعلون منبوعيهم وشيوخهم
شارعين لهم ديناً ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم
ديناً • ثم أنهم ينتقصون العبودية ، ويدعون أن الخاصة يتعدونها ،
كما يدعى النصارى فى المسيح والقساوسة ، ويشبتون لخاصتهم من
المشاركة فى الله ، من جنس ما تثبته النصارى فى المسيح وأمه والقسيسين
والرهبان : الى أنواع آخر يطول شرحها فى هذا الموضع •

وانما الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجهه ، وهو تحقيق
محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ،
وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما
كان فى القلب حب لغير الله ، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ،
وكل محبة لا تكون لله فهى باطلة ، وكل عمل لا يراى به وجه الله فهو
باطل • فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله ، ولا يكون لله
الا ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع •

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق الله لم يكن
لله بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين : أن يكون لله ، وأن يكون موافقا
لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : « فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) •

فلا بد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولا بد أن يكون
خالصا لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن
فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا
فهو رد » (٣) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل
امرى ما نوى • فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله

(١) الكهف : ١١٠ . (٢) البقرة : ١١٢ .

(٣) رواه احمد ومسلم عن عائشة رضى الله عنها •

ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه « (١) .

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، واليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قلب الدين الذى يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء فى الحديث : « هو فى هذه الأمة أخفى من ديب النمل » (٢) وفى حديث آخر : قال أبو بكر : يا رسول الله .. كيف تنجو منه ، وهو أخفى من ديب النمل ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « الا أعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله . قل : اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » (٣) ، وكان عمر يقول فى دعائه : اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .

وكثيرا ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له ، كما قال شداد ابن أوس : يا بقاء العرب ! يا بقاء العرب ! ان أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . وقيل : لأبى داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٤) .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح . فبين صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) رواه البزار بلفظ : « الشرك أخفى فى أمتى من ديب النمل على الصفا » . وفى سننه عبد الأعلى بن أعين ، وهو ضعيف .

(٣) رواه أبو يعلى بمعناه عن شيخه عمرو بن الحصين العقبلى ، وهو متروك ، كما قال الهيثمى فى « المجمع » .

(٤) رواه أحمد والترمذى وأبو يعلى . وقال المنذرى : إسناده جيد ، وقد كتب الحافظ ابن رجب فى هذا الحديث رسالة قيمة أدرجت فى كتاب « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر .

أن الحرص على المسال والشرف (فى افساد الدين) ، لا ينقص عن افساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم . فان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك أن القلب اذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبه له ، لم يكن شئ أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف — عن أهل الاخلاص لله — السوء والنجاء ، كما قال تعالى .

((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين)) (١)

فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبه الله ما يمنعه عن محبه غيره ، اذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبه له ، واخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضى انجذاب القلب الى الله ، فيصير القلب منيبا الى الله ، خائفا منه ، راغبا راهبا ، وكما قال تعالى : « من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » (٢) .

اذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه ، فلا يكون عبد الله ومحبه ، الا بين خوف ورجاء ، كما قال تعالى : « أولئك الذين يسمعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافتون عذابه ، ان عذاب ربك كان محظورا » (٣) .

واذا كان العبد مخلصا لله اجتباؤه ربه . فأحيا قلبه واجتذبه اليه . فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وجبا مطلقا ، فيهوى كل ما يسبح له ويتشبث بما يهواه ، كالغصن ، أى نسيم مر به عطفه وأماله . فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذته هو عبدا له لكان ذلك عيبا ونقصا وذما . وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتفرضه الكلمة . ويستعبده من يشئ عليه ولو بالباطل ، ويعادى من يذمه ولو بالحق .

وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التى

(٢) سورة ق : ٣٣

(١) يوسف : ٢٤

(٣) الاسراء : ٥٧

تستبعد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتخذ الله هواه ، ويتبع هواه
بغير هدى من الله .

ومن لم يكن محبا مخلصا لله ، وعبدا له ، قد صار قلبه معبدا لربه
وحده لا شريك له ، بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه ، ويكون
ذليلا له خاضعا ، والا استعبده الكائنات ، واستولت على قلبه الشياطين ،
وكان من الغاوين اخوان الشياطين ، وصار فيه من السوء والفحشاء
ما لا يعلمه الا الله ، وهذا أمر ضرورى لا حيلة فيه .

فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه ، كان
مشركا : « فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ،
لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
مبينين اليه واتقوه وقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء
المخلصين أهل محبة الله وعبادته ، وأخلاص الدين له ، كما جعل فرعون
وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم . قال تعالى فى ابراهيم :
« ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم
أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فصل الخبرات واقام الصلاة وابتاء
الزكاة وكانوا لنا عابدين » (٢) . وقال فى فرعون وقومه : « وجعلناهم
أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون . وأتبعناهم فى هذه
النيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين » (٣) .

ولهذا يصير أتباع فرعون أولا الى أن لا يميزوا بين ما يحبه الله
ويرضاه ، وبين ما قدره وقضاه ، بل ينظرون الى المشيئة المطلقة
الشاملة ، ثم فى آخر الأمر يميزون بين الخالق والمخلوق ، بل يجعلون
وجود هذا وجود هذا . ويقول محققوهم : الشريعة فيها طاعة ومعصية ،
والحقيقة فيها معصية بلا طاعة ، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية ،
وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا
تكمليته لعبده موسى ، وما أرسله به من الأمر والنهى .

(١) الروم : ٣٠ - ٣٢ (٢) الانبياء : ٧٢ ، ٧٣

(٣) القصص : ٤١ ، ٤٢

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم ، فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية ، وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً لهذا الفرق ، ازدادت محبته لله وعبوديته له ، وطاعته له ، واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره ، وطاعة غيره . وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه . والخليل يقول : « أفرايتم ما كنتم تعبدون . انتم وآبائكم الأقدمون . فأنهم عدو لي إلا رب الصالحين » (١) . ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى .

مثال ذلك : اسم « الفناء » فإن التناء ثلاثة أنواع : نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ، ونوع للمناققين الملحدين المشبهين .

فأما الأول : فهو الفناء عن ارادة ما سوى الله ، بحيث لا يحب إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب من غيره . وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد حيث قال : أريد أن أريد إلا ما يريد ، أى المراد المحبوب المرضى . وهو المراد بالارادة الدينية . وكمال العبد أنه لا يريد ولا يحب ولا يرضى . إلا ما أراد الله ورضيه وأحبه ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، ولا يحب إلا ما يحبه الله ، كالملائكة والأنبياء والصالحين ، وهذا معنى قولهم فى قوله تعالى : « إلا من أتى الله بقلب سليم » (٢) . قالوا : هو السليم مما سوى الله ، أو مما سوى عبادة الله ، أو مما سوى ارادة الله . أو مما سوى محبة الله ، فالمعنى واحد . وهذا المعنى أن سعى فناء ، أو لم يسم ، هو أول الاسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره .

وأما النوع الثانى : فهو الفناء عن شهود السوى ، وهذا يحصل لكثير من السالكين ، فانهم لفرط انجذاب قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته ، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد ، وترى غير ما تقصد ، لا يخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون به . كما قيل فى قوله تعالى : « وأصبح فراد أم موسى فارغباً ، أن كادت لتسعى به لولا أن ربطنا على قلبها » (٣) . قالوا : فارغاً من كل شيء : إلا من ذكر موسى . وهذا

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الشعراء : ٨٦

(٣) القصص : ١٠

كثيرا ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، اما حب ، واما خوف ، واما رجاء ، يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء ، الا عما قد أحبه أو أخافه . أو طلبه ، بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره ، فاذا قوى على صاحب الفناء هذا ، فانه يغيب بوجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن ، وهى المخلوقات ، العبد فمن سواه ، ويبقى من لم يزل ، وهو الرب تعالى ، والمراد فناؤها فى شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يذكرها أو يشهدا ، واذا قوى هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب فى تمييزه • فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلا ألقى نفسه فى اليم ، فألقى محبه نفسه خلفه فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خلفى ؟ قال غبت بك عنى ، فظننت أنك أنى • وهذا الموضع زلت فيه أقدام أقوام ، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبيب ، حتى لا يكون بينهما فرق فى نفس وجودهما • وهذا غلط ، فان الخالق لا يتحد به شيء أصلا ، لانه « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (١) •

وهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، الا اذا استحال وفسدت حقيقة كل منهما ، وحصل من اتحادهما أمر ثالث لا هو هذا ولا هذا ، كما اذا اتحد الماء واللبن ، والماء والخمر ، ونحو ذلك • ولكن يتحد المراد والمحبوب والمراد والمكروه ، ويتفقان فى نوع الارادة والكراهة فيجب هذا ما يجب هذا ، ويبغض هذا ما يبغض هذا ، ويرضى ما يرضى ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره ، ويوالى من يوالى ، ويعادى ما يعادى • وهذا الفناء كله فيه نقص •

وأكابر الأولياء ، كأبى بكر وعمر ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يقموا فى هذا الفناء ، فضلا عن هو فوقهم من الأنبياء ، وانما وقع شيء من هذا بعد الصحابة وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان ، فان الصحابة رضى الله عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولا ، وأثبت فى الأحوال الايمانية من أن تغيب عقولهم ، أو يصل لهم غشى.

أو صمق أو سكر ، أو فناء ، أو وله ، أو جنون ، وإنما كان بادياً هذه الأمور هي التابعين من عباد البصرة ، فانه كان فيهم من يغشى عليه اذا سمع القرآن ، ومنهم من يموت ، كأبي جهير الضرير ، وزرارة بن أبي أوفى قاضي البصرة . وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تميزه ، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما اذا صحا عرف أنه غلط فيه . كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد وأبي الحسن النوى ، وأبي بكر الشبلي . وأمثالهم ، بخلاف أبي سليمان الدرائي ومعروف الكرخي والفضيل ابن عياض ، بل وبخلاف الجنيد وأمثاله ، ممن كانت عقولهم وتميزهم يصحبهم في أحوالهم ، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه ، بل الكمل (من المؤمنين الذين لا يهتدون الا بهدى الكتاب والسنة) لا يكون في قلوبهم سوى محبة الله وارادته وعبادته ، لأن عندهم من سعة العلم والتميز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه . بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله ، مدبرة بمشيئته ، بل مسبحة له : قاتة له . فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممداً لما في قلوبهم من اخلاص الدين ، وتجريد التوحيد لله ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هي الحقيقة التي دعا اليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الايمان والكمل من أهل العرفان ونبينا صلى الله عليه وسلم امام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به الى السموات وعان ما هنالك من الآيات . وأوحى اليه ربه من أنواع المناجاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو له يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك . بخلاف ما كان يظهر على موسى من التفتش صلى الله (وسلم) عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء فهو ان يشهد أن لا موجود الا الله ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، فلا فرق بين الرب والعبد ، فهذا فناء أهل الضلال والالحاد ، الواقفين في الحلول والاتحاد ، وهذا يبرأ منه المشايخ (المستقيمون على هدى الكتاب والسنة ، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فانهم) اذا قال أحدهم ما أرى غير الله ، أو لا أنظر الى غير الله ونحو ذلك ، فمرادهم بذلك ما أرى ربا غيره ، ولا الها لى غيره ، ولا أنظر الى غيره محبة له أو خوفاً

منه أو رجاء له ، فإن العين تنظر الى ما يتعلق به القلب فمن أحب شيئاً أو رجاه أو خافه التفت اليه • وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له ، ولا خوف منه ، ولا بغض له ، ولا غير ذلك من تعلق القلب له ، لم يقصد القلب أن يلتفت اليه ، ولا أن ينظر اليه ، ولا أن يراه ، وإن رآه اتفاقاً رؤية مجردة ، كما لو رأى حائطاً ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به •

والمشايخ والصالحون رضئ الله عنهم يذكرون شيئاً من تجريد التوحيد الربانية وتحقيق اخلاص الدين كله ، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً الى غير الله ولا ناظراً الى ما سواه ، لا حبا له ولا خوفاً منه ولا رجاء له ، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات ، خالياً منها لا ينظر اليها الا بنور الله •

فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر ، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشى • فيحب منها ما يحبه الله ، ويبغض منها ما يبغضه الله ، ويوالي منها ما والاه الله ، ويمادى منها ما عاداه الله ، ويخاف الله فيها ، ولا يخافها في الله ، ويرجو الله فيها ، ولا يرجوها في الله ، فهذا هو القلب السليم الخفيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم •

فهذا النوع الثالث — الذى هو الفناء فى الوجود — هو تحقيق آل فرعون ومعرفتهم وتوحيدهم ، كالقرامطة وأمثالهم (من كل من يدين بوحدة الوجود الذين نطق عنهم الحلاج وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى) •

وأما النوع الذى عليه أتباع الأنبياء فهو التحقيق المحمود ، الذى يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنده الغالبين •

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول ، أن الذى أراه بعينى من المخلوقات : هو رب الأرض والسموات ، فإن هذا لا يقوله الا من هو فى غاية الضلال والفساد : اما فساد العقل ، واما فساد الاعتقاد : فهو متردد بين الجنون والالحاد وكل المشايخ الذين يقتدى بهم فى الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق

سبحانه مباين للمخلوقات . وليس في مخلوقاته شيء من ذاته . ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه يجب افراد القديم عن الحادث ، وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا في كلامهم أكثر من أن يسكن ذكره هنا . وهم قد تكلموا على ما يعرض للقابض من الأمراض والشبهات . فإن بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات . فيظننه خالق الأرض والسماوات ، لعدم التمييز والفرقان في قلبه . - بنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء . وهم قال . يتكلمون في الفرق والجمع ، ويدخل في ذلك من العبارات المختلفة نظير ما دخل في الفناء .

فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقا بها مشتتا ناظرا اليها ، وتعلقه بها ، أما محبة ، وأما خوفا ، وأما رجاء . فإذا انتقل الى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه الى الله بعد التفاته الى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانت به لربه . وهو في هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر الى المخلوق ، ليفرق بين الخالق والمخلوق (فقد يكون مجتمعا على الحق معرضا عن الخلق . نظرا وقصدا) وهو نظير النوع الثاني من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثاني ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معدومة بوحداية الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات والهيأ ، وخالقها ومالكها ، فيكون مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا ومحبة وخوفا ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فيه . وأمثال ذلك - ناظرا الى الفرق بين الخالق والمخلوق ، مميزا بين هذا وهذا ، يشهد في تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذي لا اله الا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب وعبادته ، وقصده وارادته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن « لا اله الا الله » . فانها تنفي عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وثبتت في قلبه ألوهية الحق .

فيكون نافيا لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتا لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسماوات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على

الله ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقا في علمه وقصده ، في شهادته وإرادته ، في معرفته ومحبته : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون دائما بالله تعالى ، ذاكرا له ، عارفا به ، وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقته ، وانفراده عنهم ، وتوحيده دونهم ويكون محبا لله ، معظما ، عابدا له ، راجيا له ، خائفا منه ، محبا فيه ، مواليا فيه ، معاديا فيه ، مستعينا به ، متوكلا عليه ، مستنعا عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو خصائص الهية الله سبحانه وتعالى .

واقاراره بالوهية الله تعالى دون ما سواه ، يتضمن اقراره بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ، فحينئذ يكون موحدا لله .

وذلك يبين أن أفضل الذكر « لا اله الا الله » كما رواه الترمذى ، وابن أبى الدنيا ، وغيرهما مرفوعا الى النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » (١) .

وفى « الموطأ » وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير أن النبی صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » (٢) .

ومن زعم أن هذا ذكر العامة ، وأن ذكر الخاصة : هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة : هو الاسم المضممر ، فهم ضالون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : « قل الله ، ثم ثروهم في خوفهم يلعبون » (١) من أبين غلط هؤلاء ، فان الاسم (الله) مذكور في الامر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس » (٢) الى قوله : « قل الله » أى الله هو الذى أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، فالاسم (الله)

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وهو حديث حسن : وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

(٢) رواه مالك فى « الموطأ » مرسلا ، ورواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٣) الانعام : ٩١

مبتدأ ، خبره قد دل عليه الاستفهام ، كما في نظائر ذلك ، يقال : من جاءك ؟ فتقول : زيد •

وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا ، فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا هي •

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة • ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالا نافعا وإنما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفى ولا اثبات •

فإن لم يقترن به معرفة القلب ، وحاله ما يفيد بنفسه ، والا لم يكن فيه فائدة ، والشرعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره •

وقد وقع بعض من وازب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وبـ (هو) ، في فنون من الالحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع •

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : « أخاف أن أموت بين النفي والاثبات » حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا يخفاء به ، إذ لو مات العبد في هذه الحال ، لم يمت الا على ما تصدده ونواه ، إذ الأعمال بالنيات ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت : « لا اله الا الله »^(١) • وقال : « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة »^(٢) ، ولو كان ما ذكره معذورا ، لم يلحق الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتا غير محمود ، بل كان يلحق ما اختاره من ذكر الاسم المفرد •

والذكر بالاسم المضمن (أو) المفرد • أبعد عن السنة ، وأدخل في البدعة ، وأقرب الى ضلال الشيطان ، فإن من قال : يا هو يا هو • أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدى وقد يضل •

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي •

(٢) رواه أبو داود ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد

وقد صنف صاحب « الفصوص » كتابا سماه كتاب (هو) وزعم بعضهم ان قوله : « وما يعلم تأويله الا الله » (١) . معناه : وما يعلم تأويل هذا الاسم الذى هو الهو ، وهذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل ، فقد يظن ذلك ، من يظنه من هؤلاء ، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئا من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل (هو) « منفصلة » .

ثم كثيرا ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل « الله » بقوله : « قل الله ، ثم ذرهم » (٢) . ويظن ان الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد ، وهذا غلط باتفاق أهل العلم ، فان قوله « قل الله » . معناه : الله الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى ، وهو جواب لقوله : « قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم ، قل الله » (٣) . أى الله الذى انزل الكتاب الذى جاء به موسى ، والكلام رد لقول من قال من المكذبين لرسول الله : « ما انزل الله على بشر من شيء » . فقال : « من انزل الكتاب الذى جاء به موسى » . ثم قال : « قل الله » انزله ، ثم ذر هؤلاء المكذبين فى خوضهم يلعبون .

ومما يبين ما تقدم ، ما ذكره سييويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما ، لا يحكون به ما كان قولاً . فالقول لا يحكى به الا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ، ولهذا يكسرون « ان » اذا جاءت بعد القول ، فالقول لا يحكى به اسم ، والله تعالى لا يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للسليين ذكرها باسم مفرد مجرد والاسم المجرد لا يفيد شيئا من الايمان باتفاق أهل الاسلام ، ولا يؤمر به فى شيء من العبادات ، ولا فى شيء من المخاطبات .

ونظير من انتصر على الاسم المفرد : ما يذكر أن بعض الأعراب مر بمؤذن يقول : « أشهد أن محمدا رسول الله » فقال : ماذا يقول

(٢) الانعام : ٩١

(١) آل عمران : ٧

(٣) الانعام : ٩١

هذا ؟ .. هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذى يتم به الكلام ؟ وما فى القرآن من قوله : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » (١) . وقوله : « سبح اسم ربك الأعلى » (٢) . « قد أفلح من تركزى » وذكر اسم ربه صلى (٣) . « فسبح باسم ربك العظيم » (٤) . ونحو ذلك لا يقتضى ذكره مفردا . بل فى السنن انه لما نزل قوله : « فسبح باسم ربك العظيم » (٥) .

قال صلى الله عليه وسلم : « اجعلوها فى ركوعكم » ، ولما نزل قوله : « سبح اسم ربك الأعلى » (٦) .

قال : « اجعلوها فى سجودكم » (٧) . فشرع لهم أن يقولوا فى الركوع : « سبحان ربى العظيم » وفى السجود : « سبحان ربى الأعلى » .

وفى الصحيح : أنه كان يقول فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » وفى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » (٨) . وهذا معنى قوله : « اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم » . باتفاق المسلمين . فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك : هو بالكلام التام المفيد ، كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » (٩) .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلمتان خفيفتان

(١) المزمل : ٨ (٢) الأعلى : ١

(٣) الأعلى : ١٤ ، ١٥ (٤) الواقعة : ٧٤

(٥) الواقعة : ٧٤ ، ٩٦ ، الحاقة : ٥٢

(٦) الأعلى : ١

(٧) رواه أحمد فى « المسند » وأبو داود وابن ماجه .

(٨) الذى فى الصحيح بلفظ : « سبح قدوس رب الملائكة والروح » .

وأما هذا فرواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وهو صحيح .

(٩) رواه مسلم بلفظ : « أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ... » .

ورواه ابن حبان بلفظ : « أفضل الكلام » وجمله : « بعد القرآن » ليست عندهم .

على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم « (١) » .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال في يومه مائة مرة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، نه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك ، حتى يسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه » (٢) . و « من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » (٣) .

وفي « الموطأ » وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير « (٤) » . وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » (٥) . ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء ، وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » (٦) وقوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » (٧) .

انما هو قول : باسم الله . . باسم الله وهذا جملة تاما ، اما اسمية ، على أظهر قولى النحاة ، أو فعلية ، والتقدير : ذبحى باسم الله أو أذبح باسم الله . وكذلك قول القارىء : « بسم الله الرحمن الرحيم » . فتحديره : قراءتى باسم الله ، أو أقرأ باسم الله . ومن الناس من يضرع فى مثل هذا : ابتدائى باسم الله ، أو ابتدأت باسم الله ، والأول أحسن ، لأن الفعل كله مفعول باسم الله ، ليس مجردا ابتدائه ، كما أظهر

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٢) رواه البخارى ومسلم (٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه مالك ومرسلا والترمذى ، وتقدم .

(٥) رواه الترمذى ، وهو حديث حسن .

(٦) الانعام : ١٢١ (٧) المائدة : ٤

المضمّر في قوله : « اقرا باسم ربك الذي خلق » (١) . وفي قوله :
« باسم الله مجراها ومرساها » (٢) .

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كان ذبح قبل الصلاة
فليذبح مكانها أخرى : ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله » (٣) ومن
هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لربيّه
عمر بن أبي سلمة : « يا غلام .. سم الله ، وكل يمينك ، وكأ مسم
يليك » (٤) . فالمراد أن يقول : باسم الله ، ليس المراد أن يذكر الاسم
مجردا . وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم : « إذا
أرسلت كلبك المعلم وذكرته الله فكل » (٥) . وكذلك قوله صلى الله عليه
وسلم : « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند
خروجه ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء » (٦) .
وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم واعيادهم :
من ذكر الله تعالى ، إنما هو بالجملة التامة كقول المزمّن : « الله أكبر ،
الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله »
وقول المصلّي : « الله أكبر ، سبحان ربّي العظيم ، سبحان ربّي الأعلى ،
سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات لله وقول الملبّي :
« لبّيك اللهم لييك » وأمثال ذلك » .

فيجب ما شرعه الله من الأكر ، إنما هو كلام تام ، لا اسم منفرد ،
لا مظهر ولا مضمّر .

وهذا هو الذي يسمّى في اللغة : كلمة كقوله : « كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله
وحمده ، سبحان الله العظيم » (٧) وقوله : « أفضل كلمة قالها الشاعر
— كلمة لبّيد — ألا كل شيء ما خلا الله باطل » (٨) .

(٢) هود : ٤١

(١) العلق : ١

(٤) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه البخاري ومسلم

(٦) رواه مسلم

(٥) رواه البخاري ومسلم

(٨) رواه البخاري

(٧) رواه البخاري ومسلم

(٢٧ — مجموعة التوحيد)

ومنه قوله تعالى : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » (١) .
وقوله : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » (٢) .

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ : « الكلمة » . من الكتاب والسنة ،
بل وسائر كلام العرب ، إنما يراد به الجملة التامة ، كما كانوا يستعملون
الحرف في الاسم ، فيقولون : هذا حرف غريب ، أى : لفظ الاسم
غريب .

وقسم سيويه الكلام الى : اسم وفعل وحرف . جاء لمعنى ليس
باسم ولا فعل ، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا . لكن خاصة الثالث .
أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وسمى حروف الهجاء باسم
الحروف ، وهى أسماء .

ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها ، كما قال النبى صلى
الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ،
أما أنى لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم
حرف » (٣) . وقد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحرف
« الزاى » من زيد ، فقالوا : زى . فقال : جئتم بالاسم ، والميم
الحرف « ز » .

ثم إن النحاة اصطالحوا على أن هذا المسمى فى اللغة بالحرف ،
يسمى كلمة ، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ،
كحروف الجر ونحوها .

وأما ألفاظ حروف الهجاء ، فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف .
من اللفظ ، وتارة باسم الحرف ، ولما غلب هذا الاصطلاح صار
يتوهم من اعتاده أنه هكذا فى لغة العرب ، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة
فى اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلاً ، وبين الجملة ، ولا يعرف فى
صريح اللغة من لفظ « الكلمة » الا الجملة التامة .

والمقصود هنا : أن المشروع فى ذكر الله سبحانه ، هو ذكره بجملة

(١) الكهف : ٥

(٢) الانعام : ١١٥

(٣) رواه الترمذى بلفظ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به
حسنة ... » وقال : حديث حسن صحيح غريب .

تامة ، وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلية ، وهو الذى ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر ، ويجذب القلوب الى الله ومعرفته ، ومحبه وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية .

وأما الاختصار على الاسم المفرد ، مظهرا أو مضمرا ، فلا أصل له ، فضلا عن أن يكون ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة فى أنواع من البدع والضلالات ، وذريعة الى تصورات وأحوال فاسدة ، من أحوال أهل الألحاد وأهل الاتحاد ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع .

وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد الا الله ، ولا نعبد الا بما شرع ، لا نعبد بالبدع ، كما قال تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (١) .

وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن « لا اله الا الله » ، وشهادة أن « محمدا رسول الله » .

ففى الأولى : أن لا نعبد الا اياه .

وفى الثانية : أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ، فعلى أن نصدق خبره ونطيع أمره .

وقد بين صلى الله عليه وسلم لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الامور ، واخبر انها ضلالة ، قال تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) . وكما أننا مأمورون أن لا نخاف الا الله ، ولا نتوكل الا على الله ، ولا نرغب الا الى الله ، ولا نستعين الا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن تتبع الرسول ونطيعه ، وتتأسى به . فالحلال ما حله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، قال تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيقطينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون » (٣) . فجعل اليتاء لله وللرسول ، كما قال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٤) . وجعل التوكل

(٢) البقرة : ١١٢

(٤) الحشر : ٧

(١) الكهف : ١١٠

(٣) التوبة : ٥٩

على الله وحده بقوله : « وقالوا حسبنا الله » ولم يقل : ورسوله ، كما قال في وصف الصحابة رضى الله عنهم : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (١) . ومثله قوله : « يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٢) اى حسبك وحسب المؤمنين ، كما قال : « اليس الله بكاف عبده » (٣) ثم قال : « وقالوا حسبنا الله سبوتينا الله من فضله ورسوله » (٤) . فجعل الايتاء لله وللرسول ، وقد ذكر الفضل لله ، لأن النضل بيد الله يؤتية من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين . وقال : « انا الى الله راجعون » (٥) فجعل الرغبة الى الله وحده ، كما في قوله : « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » (٥) . وقد النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » (٦) والقرآن يدل على مثل هذا فى غير موضع .

فجعل العبادة والخشية والتقوى لله ، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله ، كما في قول نوح عليه السلام : « ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون » (٧) . وقوله : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » (٨) وامثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة اليه ، والتوكل عليه وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ، ويسألونهم مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لستهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله ، أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم لله ، وأسلموا وجوههم لله وأنابوا الى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ،

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) الانفال : ٦٤

(٣) الزمر : ٣٦ (٤) التوبة : ٥٩

(٥) الشرح : ٧ ، ٨

(٦) رواه أحمد ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وهو حسن لغيره .

(٧) نوح : ٣

(٨) النور : ٥٢

ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه : وتوكلوا عليه : وأبداً بمرسله ،
وعزروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ، وأنوهم : واتبعوهم واقتفوا آثارهم ،
واهتدوا بمنارهم •

وذلك هو دين الاسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من
الرجال ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينا الا اياه ، وهو حقيقة
العبادة لرب العالمين •

فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ، ويكسله لنا ويميتنا عليه ، وسائر
اخواننا المسلمين •

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

* * *

الرسالة الخامسة عشرة :

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف شيخ الاسلام

احمد بن عبد العظيم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل
فلا هادي له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن
محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله وكفى بالله شهيدا . أرسله بين يدي الساعة بشيرا وتذيرا ، وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من
العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صمما ،
وقلوبا غلغا ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد
والغي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل
النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد صلى الله عليه
وسلم بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه
من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان .

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
أن لله أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن
وأولياء الشيطان فقال تعالى :

« الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا
وكانوا يتقون . لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبدل
لكلمات الله ، وذلك هو الفوز العظيم » (١) . وقال تعالى : « الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها
خالدون » (٢) .

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالين ، فترى الدين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا اهلؤا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمكم ، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين . يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين امة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (١) .

وقال تعالى : « هنالك الولاية لله الحق ، هو خير ثوابا وخير عقبا » (٢) .

وذكر اولياء الشيطان فقال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٣) .

وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .

وقال تعالى : « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ، افنتخلوكم وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو ، بش للظالمين بدلا » (٥) .

وقال تعالى : « ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » (٦) . وقال تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس

(٢) الكهف : ٤٤

(٤) النساء : ٧٦

(٦) النساء : ١١٩

(١) المائدة : ٥١ - ٥٦

(٣) النحل : ٩٨ - ١٠٠

(٥) الكهف : ٥٠

قد جمعوا فآخسشوههم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين (١) .

وقال تعالى : « انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون . واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا (٢) الى قوله : « اتهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون (٣) » وقال تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم (٤) » .

وقال الخليل عليه السلام : « يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٥) » . وقال تعالى : « يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة (٦) » .
الايات الى قوله : « انك انت العزيز الحكيم (٧) » .

* * *

فصل

واذا عرف أن الناس فيهم اولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الله ورسوله بينهما ، فالولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون (٨) » .

وفي الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى (٩) » بالمحاربة — أو فقد آذنته

(١) آل عمران : ١٧٣ — ١٧٥ (٢) الأعراف : ٢٧ ، ٢٨

(٣) الأعراف : ٣٠ (٤) الأنعام : ١٢١

(٥) مريم : ٤٥ (٦) المتحنة : ١

(٧) المتحنة : ٥ (٨) يونس : ٦٢ ، ٦٣

(٩) لفظ : « المبارزة » لم يرد فى صحيح البخارى ، وانما هو من رواية الطبرانى عن أبى أمامة ، والحديث فى البخارى مروي فى كتاب « الرقائق باب التواضع » ولفظه : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » . وقد تكلم الحافظ ابن رجب الخطبى عن هذا الحديث فى « جامع العلوم والحكم » . فليراجع .

بالحرب — وما تقرب الى عبدى بدليل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت ... يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » « ولئن سألتنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيننه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن : يكسره الموت وأكره مساءته . ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى فى الإيلاء ، فبين النبى صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد ابرز الله فى المحاربة .

وفى حديث آخر : « (و) انى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث العرب » أى : آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يجب أن يعطى ، ومنعوا من يجب أن يمنع ، كما فى الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرتقى عرى الايمان : الحب فى الله والبغض فى الله » (١) . وفى حديث آخر رواه أبو داود قال : « من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان » (٢) .

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والتقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : ان الولى سمي وايضا من موالاته للطاعات ، أى متابعتها لها ، والأول أصح . والولى : القريب ، يقال : هذا يلى هذا ، أى : يقرب منه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر » (٣) أى لأقرب رجل الى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص

(١) حديث حسن أخرجه أحمد فى « المسند » عن البراء والطبرانى فى « الكبير » عن ابن عباس وفى « الصغير » عن ابن مسعود .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والاناث ، كما قال فى الزكاة :
« فابن لبون ذكر » (١) .

فاذا كان ولى الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه
ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادى لوليه معاديا له ، كما قال
بمعالي : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالوعدة » (٢) .
فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال :
« ومن عادى لى ولىا فقد بارزنى بالمحاربة » .

وأفضل أولياء الله هم أنبياءه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،
وأفضل المرسلين أولوا العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
صلى الله عليهم وسلم قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه » (٣) . وقال تعالى : « واذا اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا . ليسال الصادقين عن صدقهم ، واعد للكافرين
عذابا اليما » (٤) .

وأفضل أولى العزم : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
وامام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا ، وخطيبهم
اذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ،
وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم
القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذى بعثه الله بأفضل كتبه ،
وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ،
وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر
الأمم خلقا ، وأول الأمم بعثا ، كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث
الصحيح : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا

(١) هذا اللفظ جاء فى رواية أبى داود عن أبى بكر ونصه : « فيما
مدون خمس وعشرين من الابل والغنم ، كل خمس ذود شاة ، فاذا بلغت
خمساً وعشرون ففيها بنت مخاض الى أن تبلغ خمساً وثلاثين ، فان لم يكن
فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » ورواه النساء والبخارى بمعناه .

(٢) الشورى : ١٣

(٣) المتحنة : ١

(٤) الاحزاب : ٧ ، ٨

الكتاب من قبلنا ، وأوتيناها من بعدهم : فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه — يعنى يوم الجمعة — فهدانا الله له : الناس لنا تبع فيه : غدا لليهود ، وبعد غد للنصارى « (١) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من تنشق عنه الأرض » (٢) .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت : فأقول : أنا محمد . فيقول : بك أمرت أن لا افتح لأحد قبلك » (٣) .

وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضائل أمته كثيرة . ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون وليا لله الا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطنا وظاهرا : ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (٤) .

قال الحسن البصرى رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ، ان من اتبع الرسول فان الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فليس من أولياء الله ، وان كان كثير من الناس يظنون فى أنفسهم ، أو غيرهم ، أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله (وأنه لا يدخل الجنة الا من كان منهم ، بل يدعون أنهم أبناءه) وأجأوه ، قال تعالى : « قل قلم يعذبكم بنذوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق » (٥) . وقال تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك امانتهم » الى قوله : « ولا هم يحزنون » (٦) .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله، لسكنائهم مكة ومجاورتهم

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود ومسلم بمعناه .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه . عن أنس .

(٤) آل عمران : ٣١ (٥) المائدة : ١٨

(٦) البقرة : ١١١ : ١١٢

البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : « قد كانت آياتى تنلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون » (١) . وقال تعالى : « واذا يمكر بك الذين كفروا لينبتوك او يقتلوك » (٢) الى قوله : « وهم يصعدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ، ان اولياؤه الا المتقون » (٣) . فبين سبحانه ان المشركين ليسوا اولياءه ولا اولياء بيته ، انما اولياؤه المتقون .

وثبت فى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا من غير سر : « ان آل فلان ليسوا لى بأولياء — يعنى طائفة من أقاربه — انما وليى الله وصالح المؤمنين » (٤) . وهذا موافق لقوله تعالى : « فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » (٥) . وصالح المؤمنين : هو من كان صالحا من المؤمنين . وهم المؤمنون المتقون اولياء الله ، ودخل فى ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكلهم فى الجنة ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » (٦) . ومثل هذا الحديث الآخر : « ان اوليائى المتقون ايا كانوا وحيث كانوا » (٧) .

كما أن من الكفار من يدعى أنه ولي الله ، وليس وليا لله ، بل عدو له فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، يقرون فى الظاهر بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأنه مرسل الى جميع الانس ،

(١) المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧ (٢) الانفال : ٣٠

(٣) الانفال : ٣٤

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب « الادب » باب (يبيل الرحم ببلالها) . وأخرجه مسلم فى « كتاب الايمان » باب (موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم) عن عمرو بن العاص .

(٥) التحريم : ٤

(٦) أخرجه مسلم بلفظ : « لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة — أحد — الذين بايعوا تحتها » وأبو داود والترمذى عن جابر . (٧) روى الحاكم فى « المستدرک » مرفوعا : « ان اوليائى منكم المتقون » ، وفى سنده اسماعيل بن عبيد وهو مجهول . ولفظ : « ايا كانوا » وحيث كانوا » انما هو من كلام مجاهد .

بل الى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ، مثل ان لا يقرؤا في الباطن بأنه رسول الله ، وانما كان ملكا مطاعا ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : انه رسول الله الى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل الى عامة الخلق ، وأن لله أولياء خاصة ، لم يرسل إليهم ، ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق الى الله من غير جهنم ، كما كان الغنصر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون اليه ويتنفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : ان أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : ان الله أوحى الى أهل الصفة في الباطن ما أوحى اليه ليلة المعراج . فصار أهل الصفة بمنزلة ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الاسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : **«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله»** (١) .

وأن الصفة لم تكن الا بالمدينة ، وكانت صفة في شمالي مسجده صلى الله عليه وسلم ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم ، فإن المؤمنين كانوا يهاجرون الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ، ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد ، الى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .

وام يكن أهل الصفة ناسا بأعيانهم يلزمون الصفة ، بل كانوا يقولون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زمنا ، ثم ينتقل من مكان ، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي صلى الله عليه وسلم ، كالعربيين الذين اجتروا المدينة — أي : استوخوها — ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح — أي ابل لها لبن — وأمرهم أن يشربوا من أبوالها ، فلما صحوا ، قتلوا الراعي ، واستاقوا الأزد ،

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون .

وحديثهم في الصحيحين^(١) من حديث أنس ، وفيه أنهم أنزلوا الصفة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد ابن أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة ، وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفة .

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة ، وكذلك أكابر المهاجرين — كآبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبي عبيدة (ابن الجراح) وغيرهم — لم يكونوا من أهل الصفة .

وقد روى أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية » وكذا كل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة ، أو سبعة ، أو اثني عشرة ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد . فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروى فيهم حديث أنهم أربعين رجلا ، وأنهم بالشام ، وهو في

(١) أخرجه البخاري في « كتاب الحدود » باب (لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا) ونصه : « قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله . إبعنا رسلا ، فقال : ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بابل رسول الله . فأتوها فشريوا من البانها وأبوالها حتى صبحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الدود ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الصريح ، فبعث الطلب في آثارهم ، فمنا رجل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فاحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم ، وما حسمهم ، ثم ألقوا في الحرة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا »

« المسند »^(١) من حديث على كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر على .

وقد أخرجنا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين غرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الجروية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، قتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أنشد
منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طيب لها ولا راقى
الا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقتى وترياقى

وأن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه ، فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجى ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ، أنه فيمن يقر برسائله العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك ، فيكون منافقا ، وهو يدعى في نفسه

(١) قال الشيخ أحمد في تعليقه على « المسند » ، اسناده ضعيف . لاقطاعة ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك عليا ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاء من الصحابة .

وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما عنادا ، وأما جهلا ، كما أن كثيرا من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وأن محمدا رسول الله ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب ، وأنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل إلينا رسلا قبله ، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طاعتهم أنهم أولياء الله ، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقنون » (١) .

ولا بد في الايمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزله الله : كما قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم نحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنا هم في شقاق ، فسيكفركم الله ، وهو السميع العليم » (٢) . وقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا وافر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (٣) . وقال في أول السورة : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٤) .

فلا بد في الايمان من أن تؤمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين : الجن والانس . فكل من لم يؤمن بما جاء به خليس بمؤمن ، نصرت من ان

(٢) البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧

(٤) البقرة : ١ — ٥

(١) يونس : ٦٢ ، ٦٣

(٣) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

يكون من أولياء الله المتقين . ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخلوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احدى منهم ، اولئك سوف يؤتيهم اجرهم ، وكان الله غفورا رحيفا » (١) .

ومن الايمان : الايمان : بأنه هو الرابطة بين الله وبين خلقه في تبليغ امره ونهييه ، ووعدته ووعيده ، وحالته وحرامه . فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقا الى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه اياهم ، واجابته لدعائهم : وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، ويفعله بما يشاء من الأبواب ، لا يخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى ، كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم . وكذلك المنتسبون الى العلم والعبادة من المشركين ، مشركى العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمنا بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عن الله . وان ثلث طائفة أنه ولي لله ، كما كان حكماء النصارى من المجوس كفارا مجوسا ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو ، أمثالهم ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام ثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً لالاسكندر بن فليبس المقدوني ، وهو الذى يدرخ له تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود

والنصارى • وليس هذا هو ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه ، كما يظن بعض الناس ان أرسطو كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا أن ذلك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه •

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك — الذى قد كان أرسطو وزيره — متأخر عن ذاك ، ولم يبين هذا السور ، ولا وصل الى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذى كان أرسطو من وزرائه ، يؤرخ له تاريخ الروم المعروف •

وفى أصناف المشركين ، من مشركى العرب ، ومشركى الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد فى العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسول ، ولا مؤمن بما جاءوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترب بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : « هل أتيتكم على من تنزل الشياطين • تنزل على كل آفاك أثيم • يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » (١) •

وهؤلاء جميعهم ينتسبون الى المكاشفات وخوارق المعادات اذا لم يكونوا متبعين للرسول ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون فى أعمالهم ما هو اثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع فى العبادة •

ولهذا تنزل عليهم الشياطين واقتربت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . قال الله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (٢) •

وذكر الرحمن هو الذكر الذى بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترب به • قال تعالى :

« وهذا ذكر مبارك أنزلناه » (١) . وقال تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لما حسرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (٢) . فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد ، وعبدته مجتهدا في عبادته ، ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء ، أو مشى على الماء فإن الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

* * *

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من تفاق . كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر » .

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين : « انك امرؤ فيك جاهلية » ، فقال : يا رسول الله .. أعلى كبر سني ؟ قال : « نعم » .

وثبت في الصحيح عنه أنه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر في الأحياء ، والطعن في الأنساب ، والنيافة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم » (٣) .

(٢) طه : ١٢٤ - ١٢٦

(١) الانبياء : ٥٠

(٣) أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز) عن أبي مالك الأشعري .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

وفى صحيح مسلم : « وإن صام وصلن وزعم أنه مسلم » .

وذكر البخارى عن ابن أبى مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم تعالوا فقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعنكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » (١) .

فقد جعل هؤلاء الى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مخطئون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخطئا وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالنابى متفاضلون فى ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم فى الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون فى عداوة الله ، بحسب تفاضلهم فى الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أئكم زادته هذه إيمانا ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » (٢) .

وقال تعالى : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » (٣) .

وقال تعالى : « والذين أهدى الله دينهم هدى وآتاهم تقواهم » (٤) .

وقال تعالى فى المنافقين : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » (٥) . فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(٢) التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) محمد : ١٧ .

(١) آل عمران : ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) التوبة : ٣٧ .

(٥) البقرة : ١٠ .

كفره ونفاقه . وقال تعالى : « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » (١) .
وقال تعالى : « أليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » (٢) .

* * *

فصل

وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون ، وأستعاب :
مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة
(الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الإنسان) و (المطففين) ، وفي سورة
(فاطر) ، فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى ذي
أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ، فقال في أولها : « اذا وقعت
الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا .
وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . كنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب
اليمنى ما أصحاب اليمنى . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة .
والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من
الأولين . وقليل من الآخرين » (٣) .

فهذا تقسيم الناس اذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها
الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ،
ثم قال تعالى في آخر السورة : « فلولا » - أى فهلا - : « اذا بلغت
الخطوم . وانتم حينئذ تنظرون . ونحن اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين .
فاما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . واما ان كان
من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . واما ان كان من
الكلبيين الضالين . فتنزل من حميم . وتصلية جهيم . ان هذا لهو حق
اليقين . فسبح باسم ربك العظيم » (٤) وقال تعالى في سورة الانسان :
« انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا . انا اعتدنا للكافرين سلاسل
وأغلالا وسعيرا . ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا .
عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما

(١) المدثر : ٣١
(٢) الفتح : ٤
(٣) الواقعة : ١ - ٤
(٤) الواقعة : ٨٣ - ٩٦

كان شره مستظيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .
أنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا .
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١) وكذلك ذكر في سورة المطففين
فقال : « كلا أن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدرك ما سجين .
كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين .
وما يكذب به إلا كل معتد أثيم . إذا تتلى عليه آياتها قال أساطير
الاولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا أنهم عن
ربهم يومئذ لحجوبون . ثم أنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون . كلا أن كتاب الأبرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون .
كتاب مرقوم . يشهده المقربون . أن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك
ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم .
ختمه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم .
عينا يشرب بها المقربون » (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من السلف ، قالوا : بمزج
لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقربون صرفا ، وهو كما قالوا
فانه تعالى قال : « يشرب بها » ولم يقل يشرب منها ، لانه ضمن قوله :
يشرب معنى يروى ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فاذا قيل : يشربون
منها ، لم يدل على الرى ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروى
بها ، فالمقربون ، يروون بها فلا يحتاجون معها الى ما دونها ، فلهذا
يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا ،
وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : « كان مزاجها كافورا . عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (٣) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن
الجزء من جنس العمل فى الخير والشر ، كما قال النبى صلى الله عليه
وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة
من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا

(٢) المطففين : ٧ - ٢٨

(١) الانسان : ٣ - ١٢

(٣) الانسان : ٥ ، ٦

والآخرة ، ون ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة : والله نرى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم . الا نزلت عليهم السكينة . وغشيتهم الرحمة ، وحفقتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم فى صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (١) قال الترمذى : حديث صحيح .

وفى الحديث الآخر الصحيح الذى فى السنن يقول الله تعالى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » (٢) . وقال : « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعته الله » (٣) ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على فوعين : مقربون وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عمل القسمين فى حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : من عادى لى ولبأ فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » (٤) .

-
- (١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وقال : حديث صحيح .
(٢) أخرجه أبو داود والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذرى : وفى تصحيح الترمذى له نظر ، فان أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا .
(٣) رواه البخارى ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعته الله » .
(٤) رواه البخارى فى صحيحه ، وليس فيه لفظ : المبارزة ، وانما هو من رواية الطبرانى عن أبى امامة . وقد تقدم .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون اليه بالفرائض ، يهابون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا اليه بالتوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما تقربوا اليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما ، كما قال تعالى : « ولا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » (١) . يعنى الحب المطلق كقوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) . أى أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور فى قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » (٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات فى حقهم طاعات يتقربون بها الى الله عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشرىوا صرفا ، كما عملوا صرفا ، والمقتصدون كان فى أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه ، ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه فى الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام الى عبد رسول ، ونبي ملك ، وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا ، فاختر أن يكون عبدا رسولا ، فالنبي الملك ، مثل داوود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى فى قصة سليمان الذى قال : « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ، انك انت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب » (٤) : أى : اعط من شئت ، واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، فالنبي الملك ، يفعل ما

(١) حديث قدسى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة .

(٢) الفاتحة : ٦ ، ٧ . (٣) النساء : ٦٩ .

(٤) سورة ص : ٣٥ - ٣٩ .

فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصدق ، في الولاية : أنا ، بما يحبه ويختار ، من غير اثم عليه .

وأما العبد الرسول : فلا يعطى أحدا الا بأمر ربه ، ولا يؤتى من يشاء ، ويحرم من يشاء ، ان يعطى من أمره ربه باعطائه ، ويؤتى من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى : كما في « صحيح البخارى » عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى والله لا أعطى أحدا ، ولا أمتنع أحدا : انما أنا قاسم أضع حيث أمرت » (١) ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية الى الله والرسول ، كقوله تعالى : « قل الأنفال لله والرسول » (٢) وقوله تعالى : « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلهه والرسول » (٣) . وقوله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول » (٤) . ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولى الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل فى الخمس : انه يقسم على خمسة كقول الشافعى ، وأحمد فى المعروف عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبى حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبى الملك ، كما أن ابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداوود ، وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين لبسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات

(١) رواه البخارى بلفظ : « ما أمطىكم ولا امتعكم ، أنا قاسم ، أضع حيث أمرت » وأخرجه أحمد بن حنبل فى « مسنده » عن عبد الله ابن عمر بلفظ : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فى ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس . فقال قائل : يا رسول الله .. وما فتنة الأحلاس ؟ قال : « هى فتنة السراء دخلها — أو دخلها — من تحت قدمى رجل من اهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى ، انما ولى المتقون » .

(٢) الأنفال : ١

(٣) الحشر : ٧

(٤) الأنفال : ٤١

ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان انما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ،
ويقصد أن يستعين بما أتيح له على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة
« فاطر » ، في قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يطون فيها من أساور
من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ، أن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » (١) .

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية ، هم أمة محمد صلى
الله عليه وسلم خاصة ، كما قال تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » (١) .

وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد
الأمم المتقدمة ، وليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن ، بل كل من آمن
بالقرآن فهو من هؤلاء ، وقسمهم الى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق ،
بخلاف الآيات التي في « الواقعة » و « المطففين » و « الانقطار » (٢)
فانه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة ، كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم
للأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب
المصرون عليها . والمقتصد : المؤدى للفرائض ، المجتنب للمحارم .
والسابق للخيرات : هو المؤدى للفرائض والنوافل ، كما في تلك
الآيات . ومن تاب من ذنبه ، أى ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم يخرج
بذلك عن السابقين والمقتصدين ، كما في قوله تعالى : « وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين

(١) فاطر : ٣٢ - ٣٥

(٢) الواقعة : ٧ - ١٠ ، المطففين : ٦ - ١٨ ، الانقطار : ٣ ، ١٤

ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يفسر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، ونعم اجر العاملين» (١) . وقوله :
(جنات عدن يدخلونها) (٢) .

مما يستدل به أهل السنة ، على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تواترت بخروجهم من النار : وشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في أهل الكبائر وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وشفاعة غيره : فمن قال : ان أهل الكبائر مخلصون في النار ، وتأول الآية على أن السائقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله (من تأوله) من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويؤمنون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاجماع سلف الأمة وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه ، وهو قوله تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٣) : فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يغفره الله أيضا للتائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ، قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » (٤) : فهنا عمم المغفرة واطلقها ، فان الله يغفر للعباد

(٢) الرعد : ٢٣

(٤) الزمر : ٥٣

(١) آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦

(٣) النساء : ٤٨

ذنّب. تاب منه ، فسن تاب من الشرك غفر الله له ، ومن تاب من الكبائر غفر الله له . وأى ذنب تاب العبد منه غفر الله له .

ففى آية التوبة ، عمم وأطلق ، وفى تلك الآية خصص وطاق ، فخصّ الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك التعطيل للحالتين ، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق ، أو يجوز أن لا يعذب بذنب ، فانه لو كان كذلك ، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يعلق ذلك بالمشيئة . وقوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) ، دليل على انه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل التفى والعفو العام .

* * *

فصل

واذا كان أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنون المتقين ، والناس يتفاضلون فى الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون فى ولاية الله بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين فى الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين فى عداوة الله بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسول الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ، فالايان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسالة . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسول ، وبما جاءوا به ، فان هذا هو الكفر الذى يستحق صاحبه العذاب فى الآخرة ، فان الله تعالى أخبر فى كتابه ، أنه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة . قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٢) وقال تعالى : « انّا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، واتينا داود زبوراً » ورسلا

قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (١) .

وقال الله تعالى عن اهل النار : « كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى لقد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير » (٢) ، فأخبر أنه كلما القى في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على أنه لا يلقي فيها فوج الا من كذب النذير . وقال تعالى في خطابه لابليس : « لا ملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين » (٣) ، فأخبر أنه يملؤها ابليس ومن اتبعه ، فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم أنه لا يدخل النار الا من اتبع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا نسب له ، فانه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذبذبا ، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة بالرسول .

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسول ايمانا (عاما) مجملا ، وأما الربسان المنفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل ايمانا مجملا ، فهذا اذا سئل بما علم أن الله أمره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه . وما لم تقم عليه الحجة به ، فان الله تعالى لم يكلفه معرفته ، والايمان المنفصل به فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك : فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به ايمانا مفصلا ، وعمل به ، فهو أكمل ايمانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي الله تعالى . والجنة درجات متفاوتة تفاضلا عظيما ، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب ايمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء

(٢) الملك : ٨ ، ٩

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٥

(٣) سورة ص : ٨٥

لن نريد ثم جئنا له جهنم يصلوها مذبذبون . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » (١) .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظورا من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » (١) . فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (٢) . وقال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داوود زبوراً » (٣) .

وفى « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان »

وفى « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمر بن العاص رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (٤) . وقال تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين

(٢) البقرة : ٢٥٣

(٤) الحديد : ١٠

(١) الاسراء : ٨ — ٢١

(٣) الاسراء : ٥٥

على القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما» (١) . وقال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدون فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم » (٢) . وقال تعالى : « امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب » (٣) . وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » (٤) .

* * *

فصل

واذا كان العبد لا يكون وليا لله الا اذا كان مؤمنا تقيا : لقوله تعالى : « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٥) .

وفى « صحيح البخارى » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » . ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب الى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ، فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وان قدر أنه لا اثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وان قيل : انهم لا يعذبون . حتى يرسل اليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، الا اذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن (لم) يتقرب الى الله لا بفعل الحسنات . ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ، وكذلك المجانين والأطفال ،

(٢) التوبة : ١٩ — ٢٢

(٤) المجادلة : ١١

(١) النساء : ٩٥ ، ٩٦

(٣) الزمر : ٩

(٥) يونس : ٦٢ ، ٦٣

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ » (١) .

وهذا الحديث تد رواه أهل « السنن » من حديث علي وعائشة رضى الله عنهما ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، وأما المجنون الذى رفع عنه القلم ، فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمر الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا ، ولا تصح عقود باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعى ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالا معتبرة فى مواضع بالنص والاجماع ، وفى مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ، ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون وليا لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، أما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار الى واحد ، فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، بل يعتقد أنه تسع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء

(١) رواه أحمد فى « المسند » وأبو داود والحاكم . وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورد له طرق عديدة بالفاظ متقاربة : هذه طرق يتولى بعضها بعضا . وصححه أحمد شاكر فى « المسند » .

ضيّقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ؛ دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعى الولاية ، فيؤلاه فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلا عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن اهلهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنونا ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن احيانا ويفيق احيانا ، اذا كان في حال افاقته مزمنا بالله ورسوله ، ويؤدى الفرائض ، ويجتنب المحارم ، فهذا اذا جن ، لم يكن جنونه مانعا من أن يشيخه الله على ايمانه وتقواه الذى أتى به في حال افاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه جنون بعد ايمانه وتقواه ، فان الله يشيخه ويأجره على ما تقدم من ايمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنون الذى ابتلى به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فمن انقلب الولاية وهو لا يؤدى الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي الله ، فان هذا ان لم يكن مجنونا ، بل كان متولها من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ، ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر ، وان كان مجنونا باطنا وظاهرا قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وان لم يكن معاقبا عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقا لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحمد أنه ولي الله ، ولكن ان كان له حالة في افاقته كان فيها مؤمنا بالله متقيا ، كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وان كان له حال افاقته فيه كفر أو فساد ، أو كان كافرا أو منافقا ، ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والفساد ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال افاقته من كفر أو فساد .

* * *

فصل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء ، بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والنحور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقراوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقراوا ما تيسر منه » (١) .

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : « القراء » فيدخل فيهم العلماء والنسك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء ، واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح .

وقد قيل : انه نسبة إلى صفة الفقهاء ، وقيل : إلى صوفة . (بن مر) بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل : إلى أهل الصفة . وقيل : إلى (أهل) الصفاء ، وقيل : إلى الصوفة ، وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ، وهذه أقوال ضعيفة ، فانه لو كان كذلك ل قيل : صفى ، أو صفائي ، أو صفوى ، أو صفى ، ولم يتل صوفى ، وصار اسم الفقراء ، يعنى به أهل السلوك ، وهذا عرف حادث قد تنازع الناس : أيهما أفضل : مسمى الصوفى ، أو مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضا أيهما أفضل : الغنى الشاكر ، أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيذ وبين أبي العباس .

ابن عطاء ، وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان : والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، حيث قال : « يا ايها الناس انظروا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه سئل : أى الناس أفضل ؟ قال : « اتقاهم » ، قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله . ابن يعقوب نبي الله ، ابن اسحاق نبي الله ، ابن ابراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا » (٢) .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله اتقاهم .

وفى السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا فضل لعربى على عربى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، كلکم لآدم وآدم من تراب » (٣) .

وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى أذهب عنكم غيبة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجالان : مؤمن بقی ، وفاجر شقی » (٤) .

فمن كان من هذه الأصناف أتقى الله ، فهو أكرم عند الله ، واذا استويا فى التقوى ، استويا فى الدرجة .

ولفظ الفقر فى الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق الى خالقه ، كما قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » (٥) وقال تعالى : « يا ايها الناس اتقوا الله الى الله » (٦) .

(١) الحجرات : ١٣

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد فى « المسند » عن أبى نضرة ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .

(٦) فاطر : ١٥

(٥) التوبة : ٦٠

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل القىء .

فقال في الصنف الأول : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحظا » (١) .

وقال في الصنف الثاني ، وهم أفضل الصنفين : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » (٢) .

وهذه من المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء الله باطنا وظاهرا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من آمنه الناس على دينهم وأموالهم » (٣) و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (٤) و « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » (٥) .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله (٦) ، و جهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان . قال الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (٧) . وقال تعالى :

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) الحشر : ٨

(٣) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن . ورواه ابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه الترمذي ، وأحمد ، والطبراني . قال العلاني : حديث حسن

(٦) قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر .

وقال الحافظ ابن حجر : هو من كلام إبراهيم بن عيلة .

(٧) النساء : ٩٥

« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، لا يستترون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم » (١) .

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : ما أبالي إلا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله . أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قال : حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

وفي الصحيحين أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله . أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه - أو لا تطيقه - » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تقتر » ؟

وفي السنن عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ . اتق الله حيثما

كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن » (١) .
وقال : « يا معاذ انى لأحبك ، فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم
أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » (٢) ، وقال له وهو رديفه :
« يا معاذ .. أتدرى ما حق لله على عباده » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .
قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . أتدرى ما حق
العباد على الله اذا فعلوا ذلك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال :
« حقهم عليه الا يعذبهم » (٣) .

وقال أيضا لمعاذ : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ،
وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » وقال : « يا معاذ .. ألا أخبرك
بأبواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء
الماء النار ، وقيام الرجل فى جوف الليل » ثم قرأ : « تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم
نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٤) .

ثم قال : « يا معاذ .. ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك » ؟
فقال : « أمسك عليك لسانك هذا » فأخذ بلسانه ، قال : يا رسول الله ..
وإنما لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب
الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم » (٥) .

وتفسير هذا ما ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »
فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من
التكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهى عنها ، وكذلك الامتناع عن
أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضا ،
كما ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى
صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما فى الشمس ، فقال : « ما هذا » ؟
فقالوا : أبو اسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ، ولا يستظل ولا يتكلم ،

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن . وهو كما قال .

(٢) رواه أبو داود ، والنسائى ، وسنده صحيح .

(٣) رواه الشيخان . (٤) السجدة : ١٦ ، ١٧

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وقد تكلم عليه

الحافظ ابن رجب الحنبلى فى « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع .

« يصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » .

وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجلا سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنهم تقالوها . فقالوا : وأينا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فاصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال لآخر : أما أنا فلا أكل اللحم^(١) ، وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال رجال يقول أحدهم : كذا وكذا ، ولكنني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأكل اللحم ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، أي سلك غيرها ظانا أن غيرها خير منها . فمن كان كذلك فهو برىء من الله ورسوله ، قال تعالى : « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه »^(٢) .

بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت عنه في الصحيح^(٣) أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة .

* * *

فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور ما أمر الله به ومما نهى الله عنه ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ،

(١) جملة : « أكل اللحم » هي من رواية مسلم ، وليست في البخاري .

(٢) البقرة : ١٣٠

(٣) أي « صحيح مسلم » . ولفظه : « أما بعد ، فإن خير الحديث

كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد » صلى الله عليه وسلم .

فقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (١) .

وقد ثبت في الصحيح (٢) أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال « قد فعلت » .

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية : « وان تبسلوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير » (٣) .

قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال فالتقى الله الإيمان في قلوبهم ، فانزل الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » إلى قوله : « لا أو أخطأنا » .

قال الله : « قد فعلت » « ربنا لا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا » قال : « قد فعلت » « ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (٤) . قال : « قد فعلت » وقد قال تعالى : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم » (٥) .

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وعمر بن العاص رضي الله عنهما ، مرفوعا أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » . فلم يؤثم المجتهد المخطئ . بل جعل له أجرا على اجتاده ، وجعل خطاه مغفورا له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان

(١) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم »

(٣) البقرة : ٢٨٤

(٤) البقرة : ٢٨٦

(٥) الاحزاب : ٥

ولى الله يجوز ان يعلنه . لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يفتواه .
من هو ولى الله ، الا ان يكون نبيا . بل ولا يجوز تولى الله ، ان يعتد
على ما ينهى ، به في قلبه ، الا ان يكون موافقا ، وعلى ما يقع له مما يراه
الهاما ومحاذيه وخطابا من الحق . بل يجب عليه ان يعرف ذلك جميعه
على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان وافقه قبله . وان خالفه
لم يقبله ، وان لم يعلم موافق هو أم مخالف . توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط . فتبين من
اذا اعتقد في شخص أنه ولى الله . وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به
قلبه عن ربه ، وسلم اليه جميع ما يفعله ، ومنهم من اذا رآه قد قال
أو فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية الله بالكلية وان كان
مجتهدا مخطئا ، وخيار الأمور أوساها . ومدو أن لا يجعل معصوما
ولا مأثوما اذا كان مجتهدا ، فلا يتبع في كل ما يقوله . ولا يحكم
عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله : وأما اذا خالف
قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين . لم يكن لأحد أن يلزمه بتقول
المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فعمر منهم » .
وروى الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم
أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » (١) .

وفي حديث آخر : « ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » (٢)
وفيه : « لو كان نبي بعدى لكان عمر » (٣) وكان على بن أبى طالب

(١) ليس هو في الترمذى ، وانما أخرجه ابن عدى ، وفي سنده زكريا
ابن يحيى الوزار . قال ابن عدى : يضع الحديث ، والحديث شواهد كلها
ضعيفة والذي جاء في الترمذى : « لو كان نبي بعدى لكان عمر » . وهو
حديث حسن .

(٢) رواه الترمذى بلفظ : « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »
وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٣) رواه الترمذى ، وهو حديث حسن .

رضى الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر •
ثبت هذا عنه عن رواية البيهقي^(١) • وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول
فى شيء : انى لاراه كذا ، الا كان كما يقول • وعن قيس بن طارق
قال : كنا نتحدث ان عمر ينطق على لسانه ملك ، وكان عمر يقول :
اقتربوا من أفواه المطيعين • واسمعوا منهم ما يقولون ، فانه تتجلى
لهم أمور صادقة •

وهذه الأمور الصادقة التى أخبر بها عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، انها تتجلى للمطيعين ، هى الأمور التى يكشفها الله عز وجل لهم ،
فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء فى هذه
الامة بعد أبى بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فان خير هذه الامة
بعد نبىها أبو بكر ثم عمر^(٢) •

وقد ثبت فى الصحيحين تعيين عمر ، بأنه محدث فى هذه الامة ،
فأى محدث ومخاطب فرض فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فعمر
أفضل منه ، ومع هذا كان عمر رضى الله عنه يفعل ما هو الواجب
عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته
غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية
لما كان قد رأى محاربة المشركين ، والحديث معروف فى البخارى
وغیره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد اعتمر سنة ست من الهجرة ،
ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ،
وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على ان يرجع
فى ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطا فيها نوع

(١) رواه البيهقي فى « دلائل النبوة » •

(٢) أخرج البخارى عن ابن عمر قال : كنا نخبئ الناس فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم فتخير أبابكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان
رضى الله عنهم • وأخرج البخارى وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال :
قلت لأبى رضى الله عنه : يا أبت ! أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : أبو بكر • قلت : ثم من ؟ قال : عمر • وخشيت ان أقول :
ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، قال : ما انا الا رجل من
المسلمين •

غضاضة على المسلمين في الظاهر ، نشق ذلك على كثير من المسلمين .
وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة ، وكان عمر
خيم كره ذلك حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله . .
السنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » قال : أفليس
قتلنا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : « بلى » قال : فعلام نعطي
الدنية في ديننا ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اني رسول
الله وهو ناصري ، ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا ذنبي
البيت ونطوف به . قال : « بلى » ، قال : أقلت لك : « انك تأتيه العام ؟ »
قال : لا . قال : « انك آتيه ومطوف به » .

فذهب عمر الى أبي بكر رضى الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي صلى الله
عليه وسلم ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي صلى الله عليه وسلم .
فكان أبو بكر رضى الله عنه أكمل موافقة الله وللنبي صلى الله عليه وسلم
من عمر ، وعمر رضى الله عنه رجس عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك
أعمالا (١) .

وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، أنكر عمر موته
أولا ، فلما قال أبو بكر : انه مات . رجع عمر عن ذلك (٢) .

(١) رواه البخارى في « باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل
الحرب » (ج ٣ / ٢٣٩) .

(٢) روى البخارى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسبخ قال اسماعيل :
(هو شيخ البخارى) يعنى بالعالية ، فقام عمر يقول : والله ما مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسى الا
ذلك ، وليبعثه الله فليقطعن ايدى رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال : بأبى أنت وأمى . . طبت
حيا وميتا ، والذى نفسى بيده لا يديقك الله الموتين أبدا . ثم خرج فقال :
أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر
وأثنى عليه وقال : الا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا
قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقال : « انك ميت
وأنهم ميتون » (الزمر : ٣٠) وقال « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه =

وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألم يقل : « إلا بحقها » فإن الزكاة من حقها . والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق (١) .

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر . مع أن عمر رضى الله عنه محدث ، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعوضه على ما جاء به النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يشاور الصحابة رضى الله عنهم ، وينظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور ، وينازعونه في أشياء فيحتاج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرهم على منازعته ، ولا يقول لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي أن تقبلوا مني ولا تعارضوني فأى أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولى الله ، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا أضل الناس ، فعمربن الخطاب رضى الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الأنبياء صلوات الله

== فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » (آل عمران : ٤٤) - أخرجه البخارى عقب باب « قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا » . في المناقب (٦/٥) .

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة . وفى مسلم بلفظ : لو منعوني عقلا ، بدل : عناقا .

عليهم وسلامه . يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل ، ونسب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فانهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا ، وان كان صاحبه من أولياء الله ، وكان مجتهدا معذورا فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، ولكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا ، وكان من الخطأ المغنم اذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فان الله تعالى يقول : **« فاتقوا الله ما استطعتم »** (١) . وهذا تفسر قوله تعالى : **« يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته »** (٢) .

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أى بحسب استطاعتكم ، فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها ، كما قال تعالى : **« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »** (٣) . وقال تعالى : **« والذين امنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة ، هم فيها خالدون »** (٤) . وقال تعالى : **« واولفوا الكتاب واليزان بالقسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها »** (٥) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : **« قولوا امنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب ولا سباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »** (٦) . وقال تعالى : **« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم ، واولئك هم المفلحون »** (٧) . وقال تعالى : **« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق المغرب ولكن البر من آمن**

(٢) آل عمران : ١٠٢

(٤) الاعراف : ٤٢

(٦) البقرة : ١٣٦

(١) التغابن : ١٦

(٣) البقرة : ٢٨٦

(٥) الانعام : ١٥٢

(٧) البقرة : ١ - ٥

بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى الباس والضراء وحين الباس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون» (١) .

وهذا الذى ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع فى قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ، ومن خالف فى هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم ، بل إما أن يكون كافرا ، وإما أن يكون مفرطا فى الجهل .

وهذا كثير فى كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبى سليمان الداراني أنه ليقع فى قلبى النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها الا بشاهدين : الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له ان يتكلم فى علمنا ، أو قال : — لا يقتدى به — .

وقال أبو عثمان النيسابورى : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلًا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلًا ، نطق بانبدعة ، لأن الله تعالى يقول فى كلامه القديم : «**وإن تطيعوه تهتدوا**» (٢) .

وقال أبو عمر بن نجيـد : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط فى هذا الموضع ، فيظن فى شخص أنه ولى الله ، ويظن أن ولى الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم اليه كل ما يقوله ويسلم اليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذى فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين ،

ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين . فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا الى البدعة والضلال . وآخرا الى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : « يوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولا » (١) . وقوله تعالى : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا . وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » (٢) . وقوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب . اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » (٣) . وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم : « اتخذوا آباءهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسيح ابن مريم وما امروا الا لعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » (٤) .

وفى المسند وصححه (٥) الترمذى عن عدى بن حاتم فى تفسيره هذه الآية ، لما سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم اياهم » ولهذا قيل فى مثل هؤلاء : انما حرّموا الوصول بتضييع الأصول ، فان أصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق انهم وبنهم ، عربهم وعجمهم . علمائهم وعبادهم ، ملوكهم وسوقتهم ، وأنه لا طريق الى الله عز وجل لأحد من الخلق الا بمتابعته باطنا وظاهرا حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه .

(١) الفرقان : ٢٧ — ٢٩ (٢) الاحزاب : ٦٦ — ٦٨

(٣) البقرة : ١٦٥ — ١٦٧ (٤) التوبة : ٣١

(٥) الترمذى لم يصححه وانما حسنه فقط وهو الصواب .

كما قال تعالى : « واذا أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى ، قالوا اقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فاولئك هي الفاسقون » (١) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا . اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى ينكبوا فيما شبّج بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلدوا تسليما » (٢) . وكل من خالف شيئا مما جاء به الرسول ، مقلدا فى ذلك لمن يظن أنه ولى الله ، فانه بنى أمره على أنه ولى الله ، وأن ولى الله لا يخالف فى شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف اذا لم يكن كذلك ؟ وتجد كثيرا من هؤلاء ، عمدتهم فى اعتقاد كونه وليا لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة فى بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة المعادة ، مثل أن يشير الى شخص فيموت ، أو يطير فى الهواء الى مكة أو غيرها ، أو يمشى على الماء أحيانا ، أو يملأ ابريقا من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفى أحيانا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحان غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس فى شيء من هذه الأمور

ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يفتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة . وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله ، فقد يكون عدوا لله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنية وشرائع الإسلام الظاهرة .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها ، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابسا لنجاسات ، معاشرا للكلاب ، يأوى إلى انجاسات ، والقمامات والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب »^(١) . وقال عن هذه الأخلية : « إن هذه الجشوش محتضرة »^(٢) أى يحضرها الشيطان ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »^(٣) .

(١) أخرجه أبو داود والنسائي عن علي ، ورجاله ثقات ، إلا أن نحر ، وهو أحد الرواة — لم يوثقه سوى العجلي ، والحدث في « الصحيحين » دون قوله : « ولا جنب » وروى أبو داود في سننه « ثلاثة لا تقرب الملائكة : جفة الكافر ، والمتضمخ بالخلق ، والجنب إلا أن يتوضأ ، وهو حديث حسن لطيفه .

(٢) أخرجه أبو داود عن زيد بن أرقم ، ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم بلفظ : « من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » ورواه البخاري بلفظ : « من أكل بصلا أو ثوما فليعتزل — أو ليعتزلنا — مسجدنا » ولفظة الخبيثتين وردت من قول عمر ، كما في « صحيح مسلم » .
(٣٠ — مجموعة التوحيد)

وقال : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا »^(١) ، وقال : « ان الله
نظيف يحب النظافة »^(٢) ، وقال : « خمس من الفواسق يقتلن في الحل
والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور »^(٣)

وفى رواية : « الحية والعقرب » وأمر صلوات الله وسلامه عليه
بقتل الكلاب^(٤) وقال : « من اقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعاً ولا ضرعاً ،
يقص من عمله كل يوم قيراط »^(٥) ، وقال : « لا تصحب الملائكة
رفقة معهم كلب »^(٦) وقال : « اذا ولغ الكلب لآثاء أحدكم فلبغسله
سبع مرات ، أحداهن بالتراب »^(٧) .

وقال تعالى : « ورحمتى وسعت كل شيء ، فساكنها للذين يتقون .
ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي
الأمي الذي يجيئونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم
إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون »^(٨) .

فاذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها
الشیطان ، أو يأوى الى الحمامات والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ،

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذی بلفظ : « ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف .
يحب النظافة » ، وهو حسن .

(٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ، والبخارى بلفظ : « خمس من الدواب .
كلهن فاسق يقتلن في الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ،
والكلب العقور » .

(٤) ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم نهى عن ذلك
واستثنى من النهي الكلب العقور ، والاسود البهيم .

(٥) رواه مسلم ، وأبو داود والترمذی وأحمد ، عن أبي هريرة .

(٦) رواه مسلم بلفظ : « أولاهن » ولفظة أحداهن وردت عنيد

الدارقطني ، وإسنادها ضعيف .

(٨) الإعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

أو يأكل الحيات والعقارب والزناير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يجلبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بال مخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب أو النيران أو يأوى إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوى إلى المقابر ، ولا سيما إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم على سماع الأعداء والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو ظهرت قلوبنا لما نسبنا من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الإيمان في القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة ، فارقاً بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم » (١) . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا » (٢) .

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا فإساة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . قال الترمذي : حديث حسن (٣) .

(١) الحديد : ٢٨ (٢) الشورى : ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمي وغيره .

وقد تقدم الحديث الصحيح الذى فى البخارى وغيره قال فيه :
« لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل ، حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت
بسمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ،
وبرجله التى يمشى بها ، (فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى
يمشى)^(١) ، ولئن سألتنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ،
وما ترددت فى شيء أنا فاعله ، ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن ،
فكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه »^(٢) .

فاذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال
أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفى بين الدرهم الجيد والدرهم
الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء ،
وكما يفرق من يعرف الفروسيه بين الشجاع والجبان ، وكما أنه يجب
الفرق بين النبى السادق وبين المتنبى الكذاب ، فيفرق بين محمد
أنسداد الأئمن رسول العالمين ، وموسى والمسيح ، وغيرهم وبين مسيلمة
الكذاب ، والأشود العنسى ، والملحة الأسدى ، والحارث الدمشقى ،
وباباه الرومى ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله
المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

* * *

فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هي ما اتفق عليها
الأنبياء والمرسلون ، وان كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة : هي
الشرعة قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »^(٣) .
وقال تعالى : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع
آهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين
بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين »^(٤) . والمنهاج : هو الطريق .

(١) ما بين القوسين ليس من رواية البخارى .

(٢) المائة : ٤٨ (٣) الجائية : ١٨ ، ١٩

قال تعالى : « وان لى استغاثوا على الطريقه لاستغيثناهم ولا عاذا »
 لنفتنهم فيه ، ومن يغوف عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا » (١)
 فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذى سلك فيه ،
 والغاية المقصودة هى حقيقة الدين ، وهى عبادة الله وحده لا شريك
 له وهى حقيقة دين الاسلام ، وهى أن يستسلم العبد لله رب العالمين
 لا يستسلم لغيره ، فمن استسلم لغيره كان مشركا . والله « لا يفقر إن
 يشرك به » (٢) . ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته . كان
 ممن قال الله فيه : « ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم
 داخرين » (٣) :

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين .
 وقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » (٤) .
 عام فى كل زمان ومكان . فنوح و ابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى
 وعيسى والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذى هو عبادة الله وحده
 لا شريك له . قال الله تعالى : « يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
 بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم » الى قوله : « وامرت ان
 اكون من المسلمين » (٥) . وقال تعالى : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم
 الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن
 الصالحين » . ان قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى
 بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
 الا وانتم مسلمون » (٦) . وقال تعالى : « وقال موسى يا قوم
 ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٧) . وقال السحرة :
 « ربنا افرغ علينا صنبرا وتوفنا مسلمين » (٨) . وقال يوسف عليه
 السلام : « توفنى مسلما واخضعنى بالصالحين » (٩) . وقالت بلقيس :
 « واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (١٠) . وقال تعالى : « يحكم

- | | |
|--------------------|------------------------|
| (١) الجن : ١٦ ، ١٧ | (٢) النساء : ٤٨ |
| (٣) غافر : ٦٠ | (٤) آل عمران : ٨٥ |
| (٥) يونس : ٧٦ ، ٧٧ | (٦) البقرة : ١٣٠ — ١٣٢ |
| (٧) يونس : ٨٤ | (٨) الاعراف : ١٢٦ |
| (٩) يوسف : ١٠١ | (١٠) النمل : ٤٤ |

بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار (١) .
وقال الحواريون : « آمنا بالله واشهد باننا مسلمون (٢) » .

فدين الأنبياء واحد ، وإن تنوعت شرائعهم ، كما فى « الصحيحين »
فإن النبى صلى الله عليه وسلم : قال « أنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه (٣) » . وقال تعالى : « يا أيها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، إني بما تعملون عليم . وإن
هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا
كل حزب بما لديهم فرحون (٤) » .

* * *

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أولياء الله تعالى : على
أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده
السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى : « ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا (٥) » .

وفى الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين
والمرسلين أفضل من أبى بكر » وأفضل الأمم أمة محمد صلى الله
عليه وسلم . قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس (٦) » .
وقال تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٧) » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى فى « المسند » :

- | | |
|-----------------|------------------------|
| (١) المائة : ٤٤ | (٢) آل عمران : ٥٢ |
| (٣) الشورى : ١٣ | (٤) المؤمنون : ٥١ — ٥٣ |
| (٥) النساء : ٦٩ | (٦) آل عمران : ١٠ |
| (٧) فاطر : ٣٢ | |

وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرن الأول .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير وجه أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعث فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وهذا ثابت في « الصحيحين » من غير وجه .

وفي « الصحيحين » أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، والذي نفس محمد بيده : لو أتق أحدكم مثل أحد ذهابا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة . وقال تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (١) . وقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٢) .

والسابقون الأولون : الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا : والمراد بالفتح : صلح الحديبية . فإنه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل الله تعالى : « أنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (٣) . فقالوا : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : « نعم » .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة : وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجماهيرها ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في « منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية » .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة . وأفضل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعا له ، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه ، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملا به ، فهو

(٢) التوبة : ١٠٠

(١) الحديد : ١٠

(٣) الفتح : ١ ، ٢

أفضل أولياء الله ، اذ كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه •

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ، قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذى ، فانه صنف مصنفاً غلط فيه فى مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ، ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم ذلك ابن عربى صاحب كتاب « الفتوحات المكية » وكتاب « الفصوص » فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن •

وذلك أن الأنبياء أفضل فى الزمان من أولياء هذه الأمة ، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف الأنبياء كلهم ؟ ! والأولياء انما يستفيدون معرفة الله ممن يأتى بعدهم ، ويدعى أنه خاتم الأولياء وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم ، فإن فضل محمد صلى الله عليه وسلم ثبت بالنصوص الدالة على ذلك • كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وقوله : « أتى باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، أن لا أفتح لأحد قبلك » •

وليلى المراج ، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » (١) •

الى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتى الوحي من الله ، لا سيما محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فى نبوته محتاجاً الى غيره ، فلم تحتج شريعته الى سابق ، ولا الى لاحق ، بخلاف المسيح ، أحالهم فى أكثر الشريعة على التوراة ، وجاء المسيح فأكملها ، ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح ، فالتوراة والزبور ، وتمام

الأربع وعشرين نبوة ، وكان الأمم قبلنا محتاجين الى محدثين : بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الله أغناهم به : فلم يبتجر • الى نبي ، ولا الى محدث ، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء ، فكان ما فضله الله به بما أنزله اليه ، وأرسله اليه لا بتوسط بشر •

وهذا بخلاف الأولياء ، فان كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون وليا لله الا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من بلغه رسالة رسول الله ، لا يكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل اليه •

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد ، فهذا كافر ملخّذ ، واذا قال : أنا محتاج الى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : ان محمدا رسول الى الأمين دون أهل الكتاب ، فان أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفارا بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : ان محمدا بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة ؛

فاذا ادعى المدعى ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، انما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أؤمن ببعض ، وأكفر ببعض . ولا يدعى أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى القسمين •

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبسون على الناس ، فيقولون : ولايته أفضل من نبوته ، وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

ويقولون : نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ، لا إبراهيم ولا موسى ، فضلا عن إيمان ثلة فيها هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي ، ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته ، وإذا قدرنا مجرد انباء الله آياه بدون ولايته لله ، فهذا تقدير مستنق ، فانه حال انبائه آياه ، ممتنع أن يكون الا وليا لله ، ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربي : أنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : ان الافلاك قديمة أزلية ، لها علة تشبه بها ، كما يقوله أرسطو وأتباعه : أولها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله ، ولا يقولون : انها لرب خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأنبياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل اما أن ينكروا علمه مطلقا ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : انما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، انكار علمه بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الافلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ، فمن لم يعلم الا الكليات ، لم يعلم شيئا من الموجودات ، والكليات انما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي العرب ، فإن جميع هؤلاء يقولون : ان الله خلق السموات والأرض ، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وانما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الالهية ، فكل منهم فيها قليل العوالب . كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيئات منهم بكثير . ولكن متأخروهم كابن سينا وغيره أرادوا أن يلققوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصل الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهبا قد يعتزى اليه متفلسفة أهل المال . وفيه الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كسوسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، أعظم ناموس طرقت العالم . ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولا عشرة ، يسمونها : المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن : وسموا تلى المفارقات ، لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك نفسا . وأكثرهم جعلوها أعراضا ، وبعضهم جواهر .

وهذه المجردات التى أثبتوها ، ترجع عند التحقيق الى أمور موجودة فى الأذهان لا فى الأعيان (كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعدادا مجردة ، و) كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ، ومدة وخلاء مجردين ، وقد اعترف حذاقهم ، بأن ذلك انما يتحقق فى الأذهان ، لا فى الأعيان ، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من اتصف بها فهو نبي : ١ - أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوة القدسية ، ينال بها العلم بلا تعلم .

٢ - وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل فى نفسه ، بحيث يرى فى نفسه صورا ، أو يسمع فى نفسه أصواتا ، كما يراه النائم . ويسمعه ، ولا يكون لها وجود فى الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى .

٣ — وأن يكون له قوة فعالة ، يؤثر بها في هيولى العالم وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هي (من) قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصاة حية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء فى مواضع ، وبيننا أن كلامهم هذا أفسد الكلام وأن هذا الذى جعلوه من خصائص النبى تحصل ، ما هو أعظم منه لاحاد العامة ، ولاتباع الأنبياء ، وأن الملائكة التى أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » (١) .

وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضا ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعال العاشر ، رب كل ما تحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله ، وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور فى حديث يروى : « أن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي ما خلقت خلقا : كرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطى ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضا القلم لما روى « أن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذى (٢) .

والحديث الذى ذكروه فى العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي ، والدارقطنى ، وابن الجوزى ، وغيرهم . وليس فى شيء من دواوين الحديث التى يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا حجة عليهم ، فإن لفظه : « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال — ويروى — : « لما خلق الله العقل قال له . . » (٣) ،

(١) المدبر : ٣١

(٢) هو حديث صحيح أخرجه أحمد ، والترمذى وصححه .

(٣) أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد فى « زوائد المسند » قال : حدثنا على بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن برفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر قال : ما خلقت خلقا أحب الى منك ، بك آخذ وبك أعطى » وهو مرسل . =

فمعنى الحديث : أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات (وأول) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لما) وتام الحديث : « ما خلقت خلقا اكرم على منك » فهذا يقتضى أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوى والسفلى صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ انعقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا ، كما في القرآن : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » (١) . « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٢) « أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » (٣) .

ويراد بالعقل الغريزة التى جعلها الله تعالى فى الإنسان يعقل بها .

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعافل ، وليس هذا مطابقا للغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيسميها عالم الأمر ، وقد يسمى (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملكوت ، و (الأجسام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما فى الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبسا كثيرا كاطلاقهم أن الفلك

= وهو فى « معجم الطبرانى الأوسط » موصول من حديث أبى امامة وأبى هريرة باسنادين ضعيفين . ومما يحسن التنبيه عليه أن كل ما ورد فى فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء وهى تدور بين الضعف والوضع وقد أخرج الحارث بن أبى أسامة فى « مسنده » عن داوود بن المحبر بضعا وثلاثين حديثا فى فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر كلها موضوعة وقال ابن القيم فى المنار : أحاديث العقل كلها كذب .

(٢) الرعد : ٤

(١) الملك : ١٠

(٣) الحج : ٤٦

محدث ، أى معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون الا مسبوقاً بالعدم ، ليس فى لغة العرب ولا فى لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلى ، محدثاً ، والله قد أخبر أنه خالق كل شئ • وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن نأظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما خبر به الرسول ، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للإسلام نصروا ، ولا للأعداء كسروا ، وشاركوا أولئك فى بعض قضاياهم الفاسدة ، ونأزعوهم فى بعض المقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء فى العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط فى غير هذا الموضع •

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذى يتشكل فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربى صاحب « الفتوحات » و « الفصوص » • فقال : انه يأخذ من المعدن الذى أخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذى هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبى ، ولو كان خاصة النبى ما ذكروه ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين ؟ ! والنبوة أمر وراء ذلك ، فان ابن عربى وأمثاله وان ادعوا أنهم من الصوفية ، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم ، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالفضيل بن عياض ، وابراهيم بن أدهم ، وأبى سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين ، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة فى كتابه بصفات تبين قول هؤلاء ، كقوله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • ومن يقل منهم انى اله من

دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين» (١) وقال تعالى :
 « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن
 الله لمن يشاء ويرضى » (٢) . وقال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم
 من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم
 فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
 اذن له » (٣) . وقال تعالى : « وله من في السموات والأرض ، ومن
 عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحصرون . يسبحون الليل والنهار
 لا يفترون » (٤) .

وقد أخبر أن الملائكة جاءت ابراهيم عليه السلام في صورة البشر ،
 وأن الملك تمثل لمريم بشرا سويا وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي
 صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة أعرابي ،
 ويراهم الناس كذلك . وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه
 ذو قوة : « عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين » (٥) . وان محمدا
 صلى الله عليه وسلم « رآه بالأفق المبين » (٦) . ووصفه بأنه :
 « شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى .
 فكان قاب قوسين او ادنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب
 الفؤاد ما رأى . افتخارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند
 سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يقضى السدرة ما يقضى .
 ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (٧) .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير
 مرتين ، يعنى المرة الأولى بالأفق الأعلى ، والنزلة الأخرى عند سدرة
 المنتهى ، ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين ،
 وأنه روح القدس ، الى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم
 مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس

-
- | | |
|-----------------------|------------------------|
| (٢) النجم : ٢٦ | (١) الأنبياء : ٢٦ - ٢٩ |
| (٤) الأنبياء : ٩ ، ٢٠ | (٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ |
| (٦) التكوين : ٢٣ | (٥) التكوين : ٢٠ ، ٢١ |
| | (٧) النجم : ٥ - ١٨ |

خيالا فى نفس النبى ، كما زعم هؤلاء الملاجدة المنفسفة ، والمدعون بولاية الله وأهم أعلم من الأنبياء •

وغاية حقيقة هؤلاء انكار أصول الايمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر • وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم يجعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فإن الموجودات تشترك فى مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسى فى مسمى الانسان ، والحيوانات فى مسمى الحيوان • ولكن هذا المشترك الكلى لا يكون مشتركا كليا الا فى الذهن ، والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هى الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته •

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذى عطل الصانع ، فانه لم يكن منكرا هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه فى ذلك لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وان كان قوله هذا هو أظهر فسادا منهم ، ولهذا جعلوا عباد الأصنام ما عبدوا الا الله ، وقالوا : لما كان فرعون فى منصب التحكم صاحب السيف — وان جاز فى العرف الناموس لذلك قال : أنا ربكم الأعلى — أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته فى الظاهر من الحكم فيكم •

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له بذلك وقالوا : « فاقض ما أنت قاض ، إنما نقضى هذه الحياة الدنيا » (١) • قالوا : فصح قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » (٢) •

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم •

وليس هذا موضع بسط الحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام نبي أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان ، نبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو في الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هي أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي الخيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فإن الشيطان يخيل للإنسان الأمور بخلاف ما هي .

قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون (١) . وقال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضالاً بعيداً » (٢) . إلى قوله : « يصدونهم ويمنهم ، وما يصدونهم الشيطان إلا غروراً » (٣) . وقال تعالى : « وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلمونني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم » (٤) . وقال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جبار لكم ، فلما تراءت الفتنان تكص على عقبيه وقال إني بئس منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله ، والله شديد العقاب » (٥) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : أنه رأى جبريل يزعم الملائكة (٦) ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله .

(١) الزخرف : ٣٦ - ٣٩

(٢) النساء : ١١٦

(٣) النساء : ١٢٠

(٤) إبراهيم : ٢٢

(٥) الأنفال : ٤٨

(٦) في « موطأ مالك » باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله ابن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصفر ولا أضجر ولا أحقر ولا أغيط منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا = (٣١ - مجموعة التوحيد)

التي يؤيد بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته قال تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا » (١) . وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحها وجنودا لم تروها » (٢) . وقال تعالى : « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها » (٣) . وقال تعالى : « اذ تقول للمؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (٤) .

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتمثل لهم ، وهن جن وشياطين ، فيظنونها ملائكة ، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام .

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء فى الاسلام : المختار بن أبى عبيد الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى « صحيحه » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون فى ثقيف كذاب ومبير » (٥) وكان الكذاب : المختار بن أبى عبيد والمبير : الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل اليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افكك أثيم » (٦) .

وقال الآخر : وقيل له : ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال : قال الله تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » (٧) . وهذه الأرواح الشيطانية ، هى الروح الذى يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات .

= لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر . قيل : وما برأى يوم بدر يا رسول الله . قال : « اما انه قد رأى جبريل يزعم الملائكة » أي يصفهم للقتال وهو حديث مرسل .

(١) الأنفال : ١٢ (٢) الأحزاب : ٩

(٣) التوبه : ٤٠ (٤) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥

(٥) رواه مسلم بلفظ : « أن فى ثقيف كذابا ومبيرا » والمبير : المهلكة .

(٦) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢ (٧) الأنفال : ١٢٧

بطعام معين ، وشئ معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وانما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عددا : ومنهم من كان يحصل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يوثى بمال تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات يجعل يحصل له من الناس او لعطاء يعطونه اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك •

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ، كانوا مناقضين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و « الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن مسدد ، وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهما • ويمدح المذمومين عند المسلمين كالجلال ونحوه ، كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد — قدس الله روحه — كان من أئمة الهدى ، فستل عن التوحيد فقال : التوحيد افراد الحدوث عن القدم • فبين أن التوحيد أن نميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق •

وصاحب « الفصوص » أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد • هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : افراد الحدوث عن القدم ، لأن قوله هو : ان وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في « فصوصه » ومن أسمائه الحسنی : « العلى » على من ؟ وما ثم الا هو • وعن ماذا ؟ وما هو الا هو ، فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات ، فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست الا هو • الى أن قال :

هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك من الأسماء المحدثات •

فيقال لهذا الملحد : من شرط المميز بين الشيتين بالعلم والقبول أن يكون ثالثا غيرهما ، فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالثا ، فالعبد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسه وخالفه ،

والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا .

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم ، وهو أحذقهم في اتحادهم — لما قرئ عليه « القصص » ف قيل له : القرآن يخالف « فصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد من كلامنا . ف قيل له : فإذا كان الوجود واحدا ، فلم كانت الزوجة حلالا والأخت حراما ؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام . فقلنا : حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهرا ، فإن الوجود اذا كان واحدا ، فمن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال أحد شيوخهم لمريده : من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب . ف قال له مريده : فمن هو الذي يكذب ؟ وقالوا لآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هي ؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وان كانت أياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ، وبيننا حقيقة قول كل واحد منهم ، وأن صاحب « الفصوص » يقول : المعدم شيء ، ووجود الحق قاض عليهما ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المعدم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه ، فان أولئك قالوا : ان الرب خلق لهذا الأشياء الثابتة في العدم وجودا ليس هو وجود الرب ، وهذا زعم أن عين وجود الرب قاض عليهما ، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق ، وصاحبه الصدر القنوي يفرق بين المطلق والمعين ، لأنه كان أقرب الى الفلسفة فلم يقر بأن المعدم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف « مفتاح غيب الجمع والوجود » .

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه ، فان المطلق بشرط للإطلاق ، وهو الكلى العقلى ، لا يكون الا في الأذهان لا في الأعيان ، والمطلق لا بشرط ، وهو الكلى الطبيعى . وان قيل : انه موجود في الخارج ، فلا يوجد في الخارج الا معينا ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ، فيلزم أن يكون وجود الرب ، اما منتفيا في

الخارج ، وأما أن يكون جزءا من وجود المخلوقات ، وأما أن يكون عين وجود المخلوقات • وهل يخلق الجزء الكلى أم يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود ؟ أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه ؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لأنه يقتضى حالا ومثلا ، ومن لفظ الاتصاف ، لأنه يقتضى شيئين اتحد أحدهما بالآخر • وهذا أمر بديهي واحد ويقولون : النصارى كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ، ولو عسوا لما كفروا •

وكذلك يقولون فى عباد الأصنام : انما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض ، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم • والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام •

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، ففيه ما يلزمهم دائما من التناقض ، لأنه يقال لهم : فمن المخطيء ؟ لكنهم يقولون : ان الرب هو الموصوف بجميع النقاىص التى يوصف بها المخلوق ، ويقولون : ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التى يوصف بها الخالق ، ويقولون ما قاله صاحب « الفصوص » : فالعلى لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب الالهيّة ، سواء أكاف محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة •

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحق والعقل أن هذا ليس هو ذاك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلسائى أنه ثبت عندنا فى الكشف ما يناقض صريح العقل يقولون : من أراد التحقيق — يعنى تحقيقهم — فليترك العقل والشرع •

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بقولهم أنه ممتنع ، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون فى أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان ، سواء آكانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا ، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل ؟ !

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبسات الشياطين •

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الأولياء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون : العبد يشهد أولاً طاعة ومصيبة ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب يعصى ، وهذا يزعم أن المعصية : مخالفة الإرادة التي هي المشيئة ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ويقول شاعرهم :

أصبحت منفعلاً لما تختاره منى ففعلى كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب ، مخالفة أمر الله ورسوله ، كما قال تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » (١) •

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية ، والأمر الكوني والديني •

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبينها الجنيد رحمه الله لهم ، فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه ضل ، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الأول ، فبين لهم الجنيد أنه لا بد من شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقها ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه ، كما قال تعالى : « افنجمل المسلمين كالجرمين • ما لكم كيف

(١) النساء : ١٣ ، ١٤

تَحْكُمُونَ» (١) . وقال تعالى : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » (٢) . وقال تعالى : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (٣) . وقال تعالى : « وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ، قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ » (٤) .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره . وهو مع ذلك أمر بالطاعة ، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى عادة الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وإن كانت وافعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل ييغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية . فانه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله ، وهو في الحقيقة غاية الالتحاد في أسماء الله وآياته ، وغاية العداوة لله ، فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء : وقد قال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ » (٥) . ولا يتبرا من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ . إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . كُفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » (٦) . وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَانْهُمْ عِدُو لِي إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ » (٧) . وقال تعالى : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » (٨) .

(٢) سورة ص : ٢٨

(٤) غافر : ٥٨

(٦) المتحنة : ٤

(٨) المجادلة : ٢٢

(١) القلم : ٣٥ ، ٣٦

(٣) الجاثية : ٢١

(٥) المائدة : ٥١

(٧) الشعراء : ٧٥ - ٧٧

وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل فصيدة ابن الفارض المسماة بـ « نظم السلوك » يقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
بكلانا مصل واحد ساجد الي حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
الي أن قال :

وما زلت اياها واياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلت
الي رسولا كنت مني مرسلا وذاني بآياتي على استتلت
فان دعيت كنت المجيب وان أكن منادى أجابت من دعائي ولبت
الي أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

ان كان منزلتي في الحب عندكم أمنية ظفرت نفسي بها زمتنا
ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي واليوم أحسبها أضغاث أحلامى
فان كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه بين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : « سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

فجميع ما فى السموات والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : « له ملك السموات والأرض ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم » (٢) .

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر » .

ثم قال : « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير » (١) .

فذكر ان السموات والأرض ، وفى موضع آخر : « وما بينهما » مخلوق مسبح له وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء . وأما قوله : « وهو معكم » فلفظ « مع » لا تقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشئيين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٢) . وقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار » (٣) . وقوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » (٤) . ولفظ « مع » جاءت فى القرآن عامة وخاصة ، فالعامة فى هذه الآية وفى آية المجادلة : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شئ عليم » (٥) .

فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم : ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ، ففى قوله تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٦) . وقوله تعالى لموسى : « انى معكما اسمع وأرى » (٧) . وقال تعالى : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (٨) ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ، فهو مع موسى وهارون ودون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبى جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان ، تناقض الخبر الخاص.

(٢) التوبة : ١١٩
(٤) الأنفال : ٧٥
(٦) النحل : ١٢٨
(٨) التوبة : ٤٠

(١) الحديد : ٤
(٣) الفتح : ٢٩
(٥) المجادلة : ٧
(٧) طه : ٤٦

والخبر العام ، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأيده دون أولئك ،
وقوله تعالى : « وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله » (١) ،
أى هو الله من فى السموات والله من فى الأرض كما قال تعالى :
« وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (٢) .
وكذلك قوله تعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض » (٣) .
كما فسره أئمة العلم ، كالامام أحمد وغيره أنه المعبود فى السموات
والأرض .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بآئن من مخلوقاته ،
يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم
من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يوصف بصفات ،
الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثله شئ ، ولا كقوله ،
فى شئ من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى : « قل هو الله أحد . الله
الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (٤) .

قال ابن عباس : الصمد العليم الذى كمل فى علمه ، العظيم الذى
كمل فى عظمته ، التقدير الكامل فى قدرته ، الحكيم الكامل فى حكمته ،
السيد الكامل فى سيّده .

وقال ابن مسعود وغيره هو : الذى لا جوف له ، والأحد : الذى
لا نظير له . فاسمه « الصمد » يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، ونفى
النقائص عنه ، واسمه « الأحد » يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .
وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك فى هذه السورة وفى كونها تعدل
بمثل القرآن .

* * *

فصل

وكثير من الناس تشبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الايمانية
بالحقائق الخلقية القدريّة الكونية ، فان الله سبحانه وتعالى له الخلق

(٢) الروم : ٢٧
(٤) سورة الاخلاص ،

(١) الزخرف : ٨٤
(٣) الانعام : ٣

والأمر . كما قال تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يقضى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » (١) .

فهو سبحانه خالق كل شئ وربّه ومليكه . لا خالق غيره . ولا رب سواه . ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن . فكل ما فى الوجود من حركة وسكون . فيقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقته . وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله . ونهى عن معصيته ومعصية رساله . أمر بالتوحيد والاخلاص . ونهى عن الاشراك بالله . فأعظم الحسنات التوحيد . وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) .

وقال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣) .

وفى « الصحيحين » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله . . أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت : ثم أى . قال : « أن تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » . فأنزل الله تصديق ذلك : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٤)

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى . ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وأخبر أنه يحب المتقين . ويحب المحسنين . ويحب المقسطين . ويحب التوايين . ويحب المتطهرين . ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . وهو يكره ما نهى عنه . كما قال فى سورة « سبحان » : « كل ذلك سيئه عند ربك مكروها » (٥)

(٢) النساء : ١١٦
(٤) الفرقان : ٦٨ — ٧٠

(١) الاعراف : ٥٤
(٣) البقرة : ١٦٥
(٥) الاسراء : ٣٨

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذى القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقير ، وأن يجعل يده مغلولة الى عنقه ، وأن يسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم الا بالتى هى أحسن الى أن قال : « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » (١) . وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب الى الله تعالى دائما قال الله تعالى : « وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) .

وفى « صحيح البخارى » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس .. توبوا الى ربكم ، فوالذى نفسى بيده انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفى « صحيح » مساهم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الله ليغان عن قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » .

وفى « السنن » عن ابن عمر قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لى وتب على انك أئت التواب الرحيم » .. مائة مرة » (٣) . أو قال : « أكثر من مائة مرة » .

وقد أمر الله سبحانه أن يختتموا الأعمال الصالحات بالاستغفار ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم اذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاکرام » (٤) .

كما ثبت فى الحديث الصحيح عنه . وقد قال الله تعالى : « والمستغفرين بالأسحار » (٥) . فامرهم أن يقوموا بالليل ويستغفرون بالأسحار . وكذلك ختم سورة « المزمل » وهى سورة قيام الليل بقوله

(١) الاسراء : ٣٨ (٢) النور : ٣١

(٣) رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٤) أخرجه مسلم عن ثوبان (٥) آل عمران : ١٧

تعالى : « واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (١) . وكذلك قال في سورة « البقرة » : « فاذا افصتتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله من الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (٢) . بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوة نبوك وهي آخر غزواته : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتسبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (٣) . وهي من آخر ما نزل من القرآن . وقد قيل : ان آخر سورة نزلت قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح . وراى الناس يدخلون في دين الله افواجا . فسيح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا » (٤) . فامر الله تعالى ان يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانه اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » - يتأول القرآن .

وفي « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى ، واسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى هزلى وجدى ، وخطئى ، وعمدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . لا اله الا أنت » .

وفي « الصحيحين » أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا رسول الله .. علمنى دعاء أدعوه به فى صلاتى ، قال : قال : « اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم » .

(١) البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩ (٢) التوبة : ١١٧ ، ١١٨

(٣) سورة النصر .

وفى « السنن » عن أبى بكر رضى الله عنه قال : يا رسول الله .. علمنى دعاء أدعو به اذا أصبحت واذا أمسيت ، فقال : « قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءا ، أو أجره الى مسلم : اذا أصبحت واذا أمسيت ، واذا أخذت مضجعتك » (١) .

فليس لأحد أن يظن استغناؤه عن التوبة الى الله والاستغفار من الذنوب ، بل كل أحد محتاج الى ذلك دائما قال الله تبارك وتعالى : « وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتسوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٢) .

فالإنسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى فى كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت فى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته منه وفضل » (٣) . وهذا لا يناقضى قوله : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » (٤) . فان الرسول صلى الله عليه وسلم نفى بقاء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت بقاء السبب .

وقول من قال : اذا أحب الله عبدا لم تضره الذنوب ، مغناه أنه اذا أحب عبدا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب ، ومن يظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها ، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والأئمة ، بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وانما عباده المدحون هم المذكورون فى قوله : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت

(١) رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣ (٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) الحاقة : ٢٤

للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الفيت والعافين
عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون» (١) . ومن ظن انه القدر حجة لاهل
الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : « سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا ابأؤنا ولا حرمنا من شيء » (٢) .

قال الله تعالى ردا عليهم : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى
ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن
وان اتمتم الا تخرسون . قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم
جميعين » (٣) .

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين للرسل ، كقوم
نوح وعاد وثمود والمؤثفات ، وقوم فرعون ، ولم يأمر بإقامة الحدود
على المعتدين ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم
والعقاب ، فعليه أن لا يذم أحدا ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه ، بل يستوى
عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم ، فلا يفرق بين من يعمل معه
خيرا ولا بين من يفعل معه شرا ، وهذا ممتنع طبعا وعقلا وشرعا .
وقد قال تعالى : « ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
فى الأرض ام نجعل المتقين كالفجار » (٤) . وقال تعالى : « افنجعل
المسلمين كالمجرمين » (٥) . وقال تعالى : « ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ، ساء ما يحكمون » (٦) وقال تعالى : « افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » (٧) وقال تعالى : « ايحسب
الانسان ان يترك سدى » (٨) . أى مهلا لا يؤمر ولا ينهى .

وقد ثبت فى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه

- | | |
|-------------------------|-------------------|
| (١) آل عمران ١٣٣ — ١٣٥ | (٢) الانعام : ١٤٨ |
| (٣) الانعام : ١٤٨ ، ١٤٩ | (٤) سورة ص : ٢٨ |
| (٥) القلم : ٣٥ | (٦) الجاثية : ٢ |
| (٧) المؤمنون : ١١٥ | (٨) القيامة : ٣٦ |

قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم .. أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ، فبكم وجدت مكتوبا على قبل أن أخلق » (وعصى آدم ربه فغوى) (١) ؟ . قال : بأربعين سنة . قال : فلم تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن أخلق بأربعين سنة ؟ قال : فاحتج آدم موسى « أى غلبه بالحجة » .

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان : طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضى رفع الذم والعقاب عن عصى الله لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون : القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه ، أو الذين لا يرون أن لهم فعلا ، ومن الناس من قال : انما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ، أو لأن الذنب كان فى شريعة واللوم فى أخرى ، أو لأن هذا يكون فى الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه الا لأجل المصيبة التى لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه ، فان موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام ، وهو قد تاب منه أيضا ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل : « وبنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٢) . والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى : « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر للنيك » (٣) . فأمره بالصبر على المصائب . والاستغفار من المعائب . وقال تعالى : « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٤) . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فالمؤمنون اذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل ، صبروا لحكم الله ، وان كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أثبت أبوه ما به فى

(٢) الامراف : ٢٣

(٤) التغابن : ١١

(١) طه : ١٢١

(٣) غافر : ٥٥

المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم ان يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله ، والرضا قد قيل : انه واجب . وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من أنعام الله عليه بها ، حيث جعلها سببا لتكفير خطاياهم ، ورفع درجاته ، وانا بته الى الله وتضرعه اليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر اذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات الى أنفسهم اذا أنعم عليهم بها ، كما قال أسد السلاء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشاد اذا فعلوا حسنة ، شهدوا انعام الله عليهم بها ، وأنه هو الذى أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة الا به ، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن والأذى ، واذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا اليه منها .

ففى « صحيح البخارى » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت . من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة » .

وعلى الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى ، فاستغفرونى أغفر لكم . يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهديكم . يا عبادى انكم

(٣٢ - مجموعة التوحيد)

لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا • يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخطط غمسة واحدة • يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها • فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه « (١) » •

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه إذا وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه •

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدريّة المتعلقة بخلقه ومشيئته ، وبين الحقيقة الدينيّة الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينيّة موافقا لما أمر الله به على ألسن رسله ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر بذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذى بعث الله به رسوله ، فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كافر ، وبين الشرع الذى هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ ، هذا إذا كان عالما عادلا ، والا ففى « السنن » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة ، رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو فى النار » (٢) •

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت فى الصحيحين أنه قال : « انكم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وانما أقضى بنحو ما

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير فى بعض الفاظه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه . فانما أقطع له قطعة من النار » .

فقد أخبر سيد الخلق أنه اذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له . وأنه انما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة اذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر ، لم يجز للمقضى له أن يأخذ ما قضى به له بالاتفاق . وان حكم في العقود والقسوخ بمثل ذلك ، فأكثر العلماء يقول : ان الأمر كذلك ، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وفرق أبو حنيفة رضى الله عنه بين النوعين .

فلفظ الشرع والشريعة اذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر .

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان غالطا من وجين : أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ، فان موسى كان مبعوثا الى بنى اسرائيل . وأما محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والانس ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه ، فكيف بالخضر سواء أكان نبيا أو وليا ؟ ولهذا قال الخضر لموسى : « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » (١) وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا .

الثاني : أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام ، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بينها له وافقه على ذلك ، فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصاحبة أهلها خوفا من

(١) أخرجه الشيخان والترمذي .

الظالم أن يأخذها ، احسان اليهم ، وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز وان كان صغيرا ، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع الا بقتله جاز قتله .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لنجدة الحرورى لما سأل عن قتل الغلمان ، قال له : « ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، والا فلا تقتلهم » رواه البخارى .

وأما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع ، فهذا من صالح الأعمال ، فلم يكن فى ذلك شيء مخالفا شرع الله .

وأما اذا أريد بالشرع حكم الحاكم ، فقد يكون ظالما ، وقد يكون عادلا ، وقد يكون صوابا ، وقد يكون خطأ ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه ، كأبى حنيفة والثورى ومالك بن أنس والأوزاعى والليث وابن سعد والشافعى وأحمد وإسحاق ، وداوود وغيرهم ، فهؤلاء أقوالهم يصحح لها بالكتاب والسنة ، واذا قلد غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزا ، أى ليس اتباع أحدهم واجبا على جميع الأمة ، كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .

وأما ان أضاف أحد الى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزل ، والشرع المؤول ، والشرع المبديل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفى فيها بذوق صاحبها ووجدته .

* * *

فصل

وقد ذكر الله فى كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم ، والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكونى الذى خلقه وقدره وقضاء ، وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يشب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الدينى الذى أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرهه ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التى يفرق بها بين أولياء

الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عليه فيما ييغضبه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه : وجميع المخلوقات داخله في مشيئته وارادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبه ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا ودينا . وهذه مختصة بالايان وانعل الصالح ، قال الله تعالى : « فمن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » (١) . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » (١) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : « ولا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم أن كان الله يريد أن يغويكم » (٢) وقال تعالى : « وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » (٣) .

وقال تعالى في الثانية : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٤) . وقال في آية الطهارة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٥) .

ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الإنسان ضعيفا » (٦) . وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبی صلی الله عليه وسلم وما نهاهن عنه : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٧) .

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، فمن أطاع أمره كان مطهرا قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .

وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه

(٢) هود : ٣٤
(٤) البقرة : ١٨٥
(٦) النساء : ٢٦ - ٢٨

(١) الأنعام : ١٢٥
(٣) الرعد : ١١
(٥) المائدة : ٦

أن نقول له كن فيكون» (١) وقال تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » (٢) . وقال تعالى : « أتأثمنا ليلا أو نهارا فجعلناهما حصيدا كان لم تفن بالأمس » (٣) .

وأما الأمر الدينى فقال تعالى :

« أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » (٤) . وقال تعالى : « أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، أن الله نعمما يعظكم به ، أن الله كان سميعا بصيرا » (٥) . وأما الأذن ، فقال فى الكونى لما ذكر السحر : « وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله » (٦) أى بمشيئته وقدرته ، والا فالسحر لم يبحه الله عز وجل .

وقال فى الأذن الدينى : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (٧) . وقال تعالى : « أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه » (٨) وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله » (٩) . وقال تعالى : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » (١٠) .

وأما القضاء فقال فى الكونى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » (١١) . وقال سبحانه : « وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » (١٢) .

وقال فى الدينى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » (١٣) . أى أمر ، وليس المراد به : قدر ذلك ، فإنه قد عبد غيره ، كما أخبر

(٢) القمر : ٥٠	(١١) النحل : ٤٠
(٤) النحل : ٩٠	(٣) يونس : ٢٤
(٦) البقرة : ١٠٢	(٥) النساء : ٥٨
(٨) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦	(٧) الشورى : ٢١
(١٠) الحشر : ٥	(٩) النساء : ٦٤
(١٢) البقرة : ١١٧	(١١) فصلت : ١٢
	(١٣) الإسراء : ٢٣

في غير موضع ، كقوله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يفرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (١) .

وقال الخليل عليه السلام لقومه : « افرايتم ما كنتم تعبدون . انتم واباؤكم الاقدمون . فانهم عبدوا لى الا رب العالمين » (٢) .
وقال تعالى : « قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لآبيه لاسْتَغْفِرْ لَكَ وَمَا اَمْلَكَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ » (٣) .

وقال تعالى : « قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا ائتكم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين » (٤) . وهذه كلمة تقتضى براءة من دينهم ، ولا تقتضى رضاه بذلك ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى : « وان كنوبك فقل لى عملى ولكم عملكم ائتكم بربون مما اعمل وما يرى مما تعملون » (٥) . ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من أكذب الناس وأكفرهم : كمن ظن أن قوله : « وقضى ربك » (٦) . بمعنى قدر ، وان الله سبحانه ما قضى بشيء الا وقع ، وجعل عباد الأصنام ما عبدوا الا الله ، فان هذا من أعظم الناس كفرا بالكتب .

واما لفظ البعث ، فقال تعالى فى البعث الكونى : « فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا » (٧) .

وقال فى البعث الدينى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٨) . وقال تعالى :

(٢) الشعراء : ٧٥ — ٧٧
(٤) سورة الكافرون .
(٦) الاسراء : ٢٣
(٨) الجمعة : ٢

(١) يونس : ١٨
(٣) الممتحنة : ٤
(٥) يونس : ٤١
(٧) الاسراء : ٥

« ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت » (١) .
 وأما لفظ الإرسال فقال في الإرسال الكوني : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » (٢) . وقال تعالى : « وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » (٣) .

وقال في الديني : « أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (٤) .
 وقال تعالى : « أنا أرسلنا نوحا إلى قومه » (٥) . وقال تعالى : « أنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا » (٦) . وقال تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (٧) .

وأما لفظ الجمل ، فقال في الكوني : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » (٨) .

وقال في الديني : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٩) .
 وقال تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » (١٠) .
 وأما لفظ التحريم ، فقال في الكوني : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (١١) . وقال تعالى : « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ، يتيهون في الأرض » (١٢) .

وقال في الديني : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به » (١٣) .

وقال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » (١٤) .

وأما لفظ الكلمات ، فقال في الكلمات الكونية : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه » (١٥) .

(٢) مريم : ٨٣	(١) النحل : ٣٦
(٤) الأحزاب : ٤٥	(٣) الفرقان : ٤٨
(٦) الزمل : ١٥	(٥) نوح : ١
(٨) القصص : ٤١	(٧) الحج : ٧٥
(١٠) المائدة : ١٠٣	(٩) المائدة : ٤٨
(١٢) المائدة : ٢٦	(١١) القصص : ٢
(١٤) النساء : ٢٣	(١٣) المائدة : ٣
	(١٥) التحريم : ١٢

وثبت في « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول :
« أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق . ومن غضبه وعقابه
وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون »^(١) وقال صلى الله
عليه وسلم : « من نزل منزلا فقال : « أعوذ بكلمات الله التامات من
شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »^(٢) . وكان
يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ،
ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل
والنهار ، ومن شر كل طارق ، الا طارقا يطرق بخير يا رحمن »^(٣) .

وكلمات الله التامات لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، هي التي كون
بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيتته وقدرته ،
وأما كلماته الدينية ، وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعتها
الأبرار ، وعصاها الفجار .

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية . وجعله الديني ،
واذنه الديني ، واراادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر ، فانه يدخل
تحتها جميع الخلق ، حتى ابليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من

(١) ليس في الصحيح بهذا اللفظ وانما رواه مالك في « الموطأ » عن
يحيى بن سعيد قال : بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أتى أروع في منامي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات
الشياطين وأن يحضرون » .

(٢) أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من نزل منزلا . . . » الحديث .

(٣) روى الطبراني عن خالد بن الوليد انه شكك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : اني أجد فرعا في الليل فقال : « ألا أعلمك كلمات
علمنهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتاً من الليل يكيدني فقال : أعوذ
بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء
وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن
الليل وفتن النهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير
يا رحمن » ورواه مالك بنحوه .

يدخل النار ، فالخلق وان اجتمعوا فى شمول الخلق والمشية والقدرة والقدر لهم ، فقد افترقوا فى الأمر والنهى والمحبة والرضا والغضب .
وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور ، وتركوا المحظور ، وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبه ، ورضى عنهم ورضوا عنه .
وأعداؤه أولياء الشياطين ، وان كانوا تحت قدرته فهو يبعثهم ، ويغضب عليهم ويلعنهم ويماديهم .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وانما كتبت هنا تنبيهها على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل البغى والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأوليائه الذين كتب فى قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه ، قال تعالى :
« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (١) . وقال تعالى : « اذ يوحى ربك الى اللائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (٢) . وقال فى أعدائه : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » (٣) . وقال : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (٤) . وقال : « هل أتيتكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاله أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » (٥) . وقال تعالى :
« فلا أقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون ، تنزل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخفنا منه

(٢) الأنفال : ١٢

(٤) الأنعام : ١١٢

(١) المجادلة : ٢٢

(٣) الأنعام : ١٢١

(٥) الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٧

باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين . وانه
لتذكرة للمتقين . وانا لنظلم أن منكم مكذبين . وانه لحسرة على الكافرين .
وانه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم (١) . وقال تعالى :
« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » (٢) الى قوله :
« ان كانوا صادقين » (٣) .

فنزله سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن تتنزل
به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانبين ، وبين أن الذي جاءه
بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : « الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس » (٤) . وقال تعالى : « وانه لتنزيل رب الصالحين .
نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي
مبين » (٥) . وقال تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على
قلبك باذن الله » (٦) . وقال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم » (٧) . الى قوله : « وبشرى للمسلمين » (٨)
فسماه الروح الامين ، وسماه روح القدس . وقال تعالى : « فلا أقسم
بالخنس . الجوار الكنس » (٩) . يعنى الكواكب التى تكون فى السماء
خائسة ، أى مختفية قبل طلوعها ، فاذا ظهرت رآها الناس جارية فى
السماء ، فاذا غربت ذهبت الى كناسها الذى يحجبها « والليل اذا
عسعس » (١٠) أى اذا ادبر واقبل الصبح « والصبح اذا تنفس » (١١) .
اى اقبل . « انه لقول رسول كريم » (١٢) وهو جبريل عليه السلام .
« ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين » (١٣) . اى مطاع
فى السماء أمين ، ثم قال : « وما صاحبكم بمجنون (١٤) » . اى صاحبكم
بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة . كما قال تعالى :
بصحبكم اذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة : كما قال تعالى :
« وقالوا لولا نزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم

(١) الحاقة : ٣٨ — ٥٢	(٢) الطور : ٢٩
(٣) الطور : ٣٤	(٤) الحج : ٧٥
(٥) الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥	(٦) البقرة : ٩٧
(٧) النحل : ٩٨	(٨) النحل : ١٠٢
(٩) التكوين : ١٥ ، ١٦	(١٠) التكوين : ١٧
(١١) التكوين : ١٨	(١٢) التكوين : ١٩
(١٣) التكوين : ٢٠ ، ٢١	(١٤) التكوين : ٢٢

لا ينظرون . ولو جماناه ملكا لجمناه رجلا» (١) . وقال تعالى :
 « ولقد رآه بالأفق المبين » (٢) . أى رأى جبريل عليه السلام .
 « وما هو على الغيب بظنين » (٣) . أى بمتهم ، وفى القراءة الأخرى :
 « بضنين » (٤) أى ببخيل يكتم العلم ولا يبذله الا بعمل ، كما يفعل
 من يكتم العلم الا بالمعوض « وما هو بقول شيطان رجيم » (٥) .
 فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا ، كما نزه محمدا صلى
 الله عليه وسلم عن أن يكون شاعرا أو كاهنا .

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
 فيفعلون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بين لهم
 أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف الله فى قلوبهم
 من أنواره ، ولهم الكرامات التى يكرم الله بها أوليائه المتقين وخيار
 أولياء الله ، كراماتهم لحاجة فى الدين ، أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت
 معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك .

وكرامات أولياء الله انما حصلت ببركة اتباع رسوله صلى الله
 عليه وسلم ، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول صلى الله عليه
 وسلم مثل انشقاق القمر (٦) وتسبيح الحصا فى كفه (٧) ، واتيان الشجر
 اليه (٨) ، وحنين الجذع اليه (٩) ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت
 المقدس (١٠) واخباره بما كان وما يكون (١١) ، واتيائه بالكتاب العزيز ،
 وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع فى الخندق العسكر

(١) الأنعام : ٨ ، ٩

(٢) التكوين : ٢٣

(٣) التكوين : ٢٤

(٤) التكوين : ٢٤ وهى قراءة حفص .

(٥) التكوين : ٢٥

(٦) رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك .

(٧) رواه البزار والطبرانى عن أبى ذر .

(٨) رواه مسلم عن جابر . (٩) فى « الصحيحين » .

(١٠) فى « الصحيحين » والترمذى عن جابر . قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى
 بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » .

(١١) أخرج مسلم من حديث له عن عمرو بن أخطب « فأخبرنا ما كان
 وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .

من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سليم المشهور^(١) ، وروى
العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص . وملا أوعية العسكر
عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص ، وهم نحو ثلاثين ألفا ونبع
الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه ،
كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة - أو خمسمائة^(٢) ،
ورده لعين أبي قتادة حين سألت على خده فرجعت أحسن عينيه^(٣) ،
ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت
رجله فمسحها فبرأت^(٤) ، وأطعم من ثواء مائة وثلاثين رجلا كلا منهم
حز له قطعة ، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم ، ثم فضل
فضلة^(٥) . و (قضى) دين عبد الله أبي جابر لليهودى وهو ثلاثون
وسقا^(٦) .

قال جابر : فأمر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذى كان
له فلم يقبل ، فمشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال
لجابر : جد له ، فوفاه الثلاثين وسقا ، وفضل سبعة عشر وسقا ،
ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا ،
مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل
الظلة فيها أمثال السرج ، وهى الملائكة نزلت لقراءته^(٧) وكانت الملائكة
تسلم على عمران بن حصين ، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان فى

(١) فى الصحيحين عن جابر . (٢) فى الصحيحين عن جابر .
(٣) رواه الطبرانى وأبو يعلى . قال الهيثمى فى « المجمع » وفى أسناد
الطبرانى من لم أعرفهم ، وفى أسناد أبى يعلى : الحمانى ، وهو ضعيف .
(٤) الذى فى البخارى أن الذى كسرت رجله فمسحها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذى بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقتل أبى رافع ، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعبا ولم
تكسر رجله .

(٥) فى « الصحيحين » عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .
(٦) أخرجه البخارى فى باب إذا قضى دون حقه أو حله .
(٧) نزول الظلة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه
البخارى عن أسيد بن حضير إذ تبدت له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ
« شمتة سحابة » .

صفحة ، فسبحت الصفحة أو سبح ما فيها • وعباد بن بشر وأسيد ابن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط ، فلما افترقا ، افترق الضوء معهما ، رواه البخارى وغيره •

وقصة الصديق فى الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه الى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك • فنظر اليها أبو بكر وامراته ، فاذا هى أكثر مما كانت ، فرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا •

وخبيب بن عدى كان أسيرا عند المشركين بمكة — شرفها الله تعالى — وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبه^(١) •

وعامر بن فهيرة قتل شهيدا ، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما كان قتل رفع ، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع • وقال عروة : فيرون الملائكة رفعته •

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حسا على رأسها ، فرفعته فاذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها •

وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده^(٢) •

والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه^(٣) ، وكان الحرب اذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون : يا براء • • أقسم

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة •

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، وهو كما قال •

(٣) رواه الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء ابن مالك » .

على ربك ، فيقول : يا رب .. أفسدت عليك لما منحتنا أكتافهم ،
فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أفسدت عليك يا رب
لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد . فسنحوا أكتافهم وقتل البراء
شهيدا .

وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا ، فقالوا : لا سلم حتى نشرب
السم ، فشربه فلم يضره .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة^(١) : ما دعا قط
الا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية ،
فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية .. الجبل ،
يا سارية .. الجبل ، الجبل . فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال :
يا أمير المؤمنين .. لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ،
يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله^(٢) .

ولما عذبت الزيرة على الاسلام في الله ، فأبت الا الاسلام
وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى . قالت :
كلا والله فرد الله عليها بصرها^(٣) .

ودعا سعد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعنى بصرها لما كذبت
عليه ، فقال : اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ،
فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت^(٤) .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على البحرين ، وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حلیم يا على يا عظیم ،

(١) روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم استجب
لسعد اذا دعاك » فكان لا يدعو الا استجيب له .

(٢) رواه البيهقي في « الدلائل » قال ابن حجر في « الاصابة » :
اسناده حسن .

(٣) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في « الاصابة » .

(٤) القصة : انها ادعت عليه أرضا له .

فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا الماء عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم ، فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم ، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده اذا مات ، فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقى في النار ، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهي ترمى بالخشب من مدها ، ثم التفت الى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعني ، فتبعه فوجدوها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها ، فوجدوه قائماً يصلي ، وقد صارت عليه بردا وسلاما •

وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كذا فعل إبراهيم خليل الله ، ووضعت له جاريته السم في الطعام فلم يضره ، وخببت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها •

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألقى درهم في كفه ، وما يلقاه سائل في طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء الى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها ، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد ، فجاء حتى مس بشيابه الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن ، واني أستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره ، ومرت القافلة ، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار ، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة ، فلم يقدر عليه •

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج ، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج - كان يؤذيهم - فخر ميتا •

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو ، فقال : اللهم لا تجعل

لمخلوق على منة • ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل الى بيته قال : يا بنى خذ سرج الفرس فانه عارية ، وأخذ سرجه فمات الفرس • وجاع مرة بالأهواز ، فدعا الله عز وجل واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير ، فأكل التمر ، وبقي الثوب عند زوجته زمانا • وجاءه الأسد وهو يصلى في غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع ، فولى الأسد وله زئير •

وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره •

ورجل من النخع له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم تتوزع متاعك على رحالتنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيهة ، ثم توفضاً فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه •

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأنواب •

وكان عمرو بن عقبة بن فرق قد يصلى يوماً في شدة الحر فأظلمت له غمامة ، وكان السبع يحميه ، رشو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم •

وكان مطرف بن عبد الله بن النخعي إذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط •

ولما مات الأحنف بن قيس ، وقعت قلنسوة رجل في قبره ، فاهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسخ فيه مد البصر •

وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه فمر بسهولة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع الى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبل من أصلها الى فرعها حباً متراكباً •

وكان عتبة الغلام قد سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودعماً (٣٣ - مجموعة التوحيد)

غزيرا ، وطعاما من غير تكلف • فكان اذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوى الى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه •

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضائه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده •

وهذا باب واسع ، (و) قد بسط الكلام على كرامات الأولياء فى غير هذا الموضع •

وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه فى هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة ، بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة •

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد^(١) الذى ظهر فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان • قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « قد خبأت لك خبا » قال : الدخ الدخ • وقد كان خبا له سورة الدخان ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « احسأ فلن تعدو قدرك » يعنى انما أنت من اخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأصدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة تنزل فى العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قصى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » •

(١) وحديثه فى « الصحيحين » •

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى قصر من الأنصار اذ رمى بنجم
فاستنار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل
هذا فى الجاهلية اذا رأيتموه » ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد
عظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فانه لا يرمى بها لموت
أحد ولا لحياة ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبح حيلة
العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حتى
يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حيلة
العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى
يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا . وتخطف الشياطين السمع فيرمون
فيقذفونه الى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم
يزيدون » .

وفى رواية ، قال معمر : قلت للزهرى : آكان يرمى بها فى الجاهلية ؟
قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم .
والأسود العنسى الذى ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره
ببعض الأمور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين
أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها
كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات
ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقى الذى خرج بالشام
زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة ، وكانت الشياطين تخرج رجليه
من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبح الرخامة اذا مسحها
بيده ، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل فى الهواء ويقول :
هى الملائكة ، وانما كانوا جنا ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه
الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : انك لم تسم الله .
فسمى الله فطعنه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر
عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت فى الصحيح عن

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما فعل أسيرك البارحة » ؟ فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كذبتك وأنه سيعود » فلما كان في المرة الثالثة ، قال : دعني حتى أعلمك ما ينفعك . . اذا أويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي : « الله لا اله الا هو الحي القيوم » (١) الى آخرها ، فانه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صدقك وهو كذوب » وأخبره أنه شيطان (٢) .

ولهذا اذا قرأها الانسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها ، مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يحضر سماع المكاء والتصدي . فتتزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم ، وربما لا يفقه . وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، وربما تكلم بالسنة مختلفة ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع . والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه ، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال .

ولهذا قد يضرب المصروع (ضربا كثيرا حتى قد يقتل مثله الانسى أو يمرضه لو كان هو المصروب وذلك) الضرب لا يؤثر في الانسى ، ويخبر اذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الجنى الذى لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجنى الى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرها ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجا شرعيا ، بل يذهب بشيابه ، ولا يحرم اذا حاذى الميقات ، ولا يلبي ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ولا يسمى بين الصفا والمروة ، ولا يرمى الجمار ، بل يقف بعرفة بشيابه ، ثم يرجع من ليلته ، هذا ليس بحج (مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة يحلى بغير وضوء والى غير القبلة ، ومن هؤلاء

المحمولين ، من حمل مرة الى عرفات ورجع فرأى فى النوم ملائكة يكتبون الحجاج) فقال : ألا تكتبونى ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، معنى لم تحج حجا شرعيا .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها أن كرامات الأولياء سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله . وقال الله تعالى : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (١) .

فالقول على الله بغير علم ، والشرك والظلم والفواحش ، قد حرما الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن . بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأموال التى فيها شرك ، كالاستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهى من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من اذا حضر سماع المكاء والتصدية ينزل عليه شيطانه حتى يحملة فى الهواء ، ويخرجه من تلك الدار ، فاذا حضر رجل من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق ، اما حى أو ميت ، سواء كان ذلك المخلوق مسلما أو نصرانيا أو مشركا ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضى بعض حاجة ذلك المستغيث ، فيظن أنه ذلك الشخص ، أو هو ملك تصور على صورته ، وانما هو شيطان أضله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل فى الأصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور . وأعطاه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى ، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتى الشيطان بعد موته على صورته ،

وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضى الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته ، ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : اذا أنا مت فلا تدع أحدا يغسلنى ، فأنا أجىء وأغسل نفسى ، فلما مات رأى خادمه شخصا فى صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أى غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطانا ، وكان قد أضل الميت ، وقال : افك بعد الموت تجىء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضا فى صورته ليغوى الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك •

ومنهم من يرى عرشا فى الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فان كان من أهل المعرفة ، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه ، فيزول •

ومنهم من يرى أشخاصا فى اليقظة يدعى أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد (وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذى يزوره ، فيرى القمر قد انشق وخرج اليه صورة ، فيعتقدها الميت • وانما هو جنى تصور بتلك الصورة • ومنهم من يرى فارسا قد خرج من قبره ، أو دخل فى قبره ، ويكون ذلك شيطانا ، وكل من قال : أنه رأى نبيا بعين رأسه فما رأى الا خيالا) •

ومنهم من يرى فى منامه أن بعض الأكابر ، اما الصديق رضى الله عنه أو غيره قد قص شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أو ثوبه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره مخلوق ، أو مقصر ، وانما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأمور الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطيء ، فان كان الانسى كافرا أو فاسقا أو جاهلا ، دخلوا معه فى الكفر والفسوق والضلال ، وقد يماونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل الاقسام عليهم بأسماء ن يعظمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة الاخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فيعورون له الماء ، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد

يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ، أما في الهواء ، وأما مدفوعاً
مُلجأً إليه . إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والإيمان بها
إيمان بالحبث والطاغوت ، والحبث : السحر . والطاغوت : الشياطين
والأصنام . وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً ، لم يمكنهم
الدخول معه في ذلك ، أو مسالته .

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي
بيوت الله ، كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل
الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت
أو يدعون به أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب إلى الأحوال
الشيطانية ، فإنه ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال :
« إن أمن الناس على في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً
خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل
الله ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت ، إلا خوخة أبي بكر ، إن
من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ،
فإنى أنهاكم عن ذلك » .

وفي « الصحيحين » عنه أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة،
وذكروا من حسناتها وتصاوير فيها ، فقال : « إن أولئك إذا مات فيهم
الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك التصاوير ، أولئك
شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وفي « المسند » و « صحيح أبي حاتم »^(١) عنه صلى الله عليه وسلم
قال : « إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين
اتخذوا القبور مساجد » .

وفي « الصحيح » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجلسوا
على القبور ولا تصلوا إليها » .

وفي « الموطأ » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم لا تجعل

(١) وهو معروف بـ « صحيح ابن حبان » .

قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » •

وفى « السنن » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، وصلوا على حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغنى » •

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغوننى عن أمتى السلام » •

وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة على » قالوا : يا رسول الله • • كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — يقولون : بليت — فقال : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء » (٢) • وقد قال الله تعالى فى كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : « وقالوا لا تدن آلهتكم ، ولا تدن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » (٣) •

قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان •

فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها (٤) وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون فى الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب • والشيطان يضل بنى آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فاته ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ويسمون ذلك

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووى •

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووى •

(٣) نوح : ٢٣ •

(٤) قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس •

ولا غروبها فانها تطلع بين قرنى شيطان » أخرجه مسلم •

روحانية الكواكب : وهو شيطان . والشيطان وان أعان الانس ان على بعض مقاصده ، فانه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبه من أطاعه الى شر ، الا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثا هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « اذا أعتكم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور » . ولما هذا وضع من فتح باب الشرك .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهى من الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه . يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، واذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا ، فان التوحيد يطرد الشيطان . ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال : « لا اله الا الله » فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان .

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان هذا الاقطاع الى المغارات والبوادي من البدع التى لم يشرعها الله ولا رسوله ، صارت الشياطين كثيرا ما تأوى المغارات والجبال مثل مغارة الدم التى بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذى بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسموان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل اللكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقشوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التى يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الانس ، ويسمونهم : رجال الغيب ، وانما هناك وجال من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الانس رجال : قال تعالى : « ولانه كان رجال من الانس يمسونون يرجال من الجن فزادوهم رهقا » (١) .

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعراني ، جلده يشبه جلد الماعز ، فيظن من لا يعرفه أنه انسى ، وانما هو جنى . ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن هذه الجبال ، كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع الموضع لبسطه ، وذكر ما نعرفه من ذلك ، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به كل ذلك .

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء ، وربما صدق به مجعلا ، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء ، ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليا لله وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا نجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله . وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة ، والصواب القول الثالث ، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم . لا من أولياء الله عز وجل ، كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم » (١)

وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة ، تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضا ، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا ، ومن الائم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين ، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين . قال الله تعالى : « هل أتيتكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكك أثيم » (٢) . والافك : الكذاب . والاثيم : الفاجر .

ومن أعظم ما يقوى الأحوال الشيطانية ، سماع الغناء والملاهي

وهو سماع المشركين ، قال الله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » (١) .

قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وغيرهما من السلف .
التصدية: التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصمير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبدتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت برده . بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ ، والباقيون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون .
ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأبى موسى الأشعرى وهو يقرأ فقال له : « مررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أسمع لفراءك » فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا (٢) أى لحسنته لك تحسينا .
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٣)
وقال صلى الله عليه وسلم : « الله أشد أذنا - أى استمعا - الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : « اقرأ على القرآن » فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « انى أحب أن أسمع من غيرى » فقرأت عليه سورة (النساء) حتى انتهيت الى هذه الآية : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٥) . وقال : « حسبك » فاذا عيناه تذرفان من البكاء .

(٢) متفق عليه .

(١) الانفال : ٣٥

(٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وسنده صحيح .

(٤) أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والحاكم . قال في « الزوائد » :

(٥) النساء : ٤١

إسناده حسن .

ومثل هذا السماع ، هو سماع التبيين وأتباعهم ، كما ذكر الله ذلك في القرآن فقال : « أولئك الذين أئتم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » (١) . وقال في أهل المعرفة : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » (٢) .

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان ، واقتشعار الجلد ودمع العين ، فقال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » (٣) وقال تعالى : « أنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٤) .

وأما السماع المحدث ، سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين ، يجعلون هذا طريقا إلى الله تبارك وتعالى ، ولا يمدونه من القرب والطاعات ، بل يمدونه من البدع المذمومة ، حتى قال الشافعي : خلفت بينغداد شيئا أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغير ، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبا ولقرا . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله ، كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة الخمر ، (بل هو) يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ، نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على السنة بعضهم ، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه . ويظن الجاهل أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هذا مبعث لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال

(١) مريم : ٥٨

(٢) المائدة : ٨٣

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) الأنفال : ٢ - ٤

الشياطين ، فان قتل المسلم لا يحل بما أحله الله ، فكيف يكون تسل المعصوم مما يكرم الله به أوليائه ؟! وانما غاية الكرامة لزوم الاستقامة . فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه اليه ، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو جنس انعم : كالمكاشفات ، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للعادات ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في المظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور ، ان استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه اليه ، ويرفع درجته ، وأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا الى الله ورسوله ، وعلت درجته . وان استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ، والا كان كأمثاله من المذنبين : ولهذا كثيرا ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة الى العامة ، وتارة ينزل الى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الاسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فان كثيرا من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثيرا منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، اذا أعطى عبدا خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله اذا أعطى عبدا ملكا ومالا وتصرفا ، لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيرا ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكانهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجربها همته ، ولا يتجسس بها ، معظمتهم أنها كرامات ، فكيف اذا كانت بالحقيقة من

الشياطين تفويهم بها ؟ ! فأنى أعرف من مخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذى دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولى الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذنى حتى يأكلنى الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل فى الانس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون فى البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك فى أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تراه أثواراً ، وتحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويعده بأنه المهدي الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف فى الطير والجراد فى الهواء ، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً وشمالاً ، ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشى ، أو فومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه فى الظاهر ، وتحمله الى مكة ، وتأتى به ، وتأنيبه بأشخاص فى صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول فى نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحي ، ويقول له : علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت فى جسدك شامة ، فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج الى مجلد كبير . وقد قال تعالى : « فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمنى . واما اذا ما ابتلاه فقصد عليه رزقه فيقول ربى اهاننى » (١) .

قال الله تبارك وتعالى : « كلا » نولفظ « كلا » فيها زجر وتنبيه ، زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ، ويؤمر به بعده ، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة ، يكون الله عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ،

بل هو سبحانه يتلى عبده بالسراء والضراء ؛ فقد يعطى النعم الدنيوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحصى منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الايمان والتقوى ، وما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من حوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر وقيام الليل ، والدعاء ، وانما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ، كالحيات ، والزناير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويشكفه ، ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويجب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » (١) . فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » (٢) . بمعنى تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

* * *

فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الانس والجن ، فلم يبق انسى ولا جنى الا وجب عليه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه ، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويعطيه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء أكان انسيا أو جنيا .

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه يبطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله : « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجزىكم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين » (١) .

وانزل الله تعالى بعد ذلك : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشده فآمننا به ، ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (٢) . أى السفيه منا فى أظهر قولى العلماء .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس اذا نزل بالوادي قال : أعوذ بعظيم هذا الوادى من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس بالجن ، ازدادت الجن طغيانا وكفرا ، كما قال تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا . وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » (٣) .

(٢) الجن : ١ - ٦

(١) الاحقاف : ٢٩ - ٣٢

(٣) الجن : ٦ - ٨

وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن . لكن كانوا أحيانا يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب الى أحدهم ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ملئت السماء حربا شديدا وشهبا ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعو ، كما قالوا : « وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » (١) . وقال تعالى : في الآية الأخرى : « وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون » (٢) . وقالوا : « وانا لا ندرى اشر اريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قعدا » (٣) . أى على مذاهب شتى ، كما قال العلماء : منهم المسلم والمشرک واليهودى والنصرانى ، والسنى والبدعى . « وانا ظننا ان لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا » (٤) . اخبروا أنهم لا يعجزونه ، لا ان أقاموا في الأرض ولا ان هربوا منه .

« وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون » (٥) . أى الظالمون . يقال : قسط اذا جاز وظلم : « فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . وان لو استتقوا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا . وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربى ولا أشرك به أحدا . قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا » (٦) . أى ملجأ ومعاذا . « الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعص الله ورسوله فان له اجر جهنم خالدين فيها أبدا . حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقسل عددا » (٧) . ثم لما سمعت الجن القرآن اتوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، وهم جن نصيين ، كما ثبت ذلك فى « الصحيح

(٢) الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢

(٤) الجن : ١٢

(٦) الجن : ١٤ - ٢٢

(٣٤ - مذبذبة التوحيد)

(١) الجن : ٩

(٣) الجن : ١٠ ، ١١

(٥) الجن : ١٣ ، ١٤

(٧) الجن : ٢٣ ، ٢٤

من حديث ابن مسعود • وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن • وكان إذا قال : « فبأى آلاء ربكما تكبران » (١) . قالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا فكذب ، فلك الحمد (٢) .

ولما اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم سألوه الزاد لهم ولدوابهم ، فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما ، وكل برة علف لدوابكم » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فلا تستنجوا بها فافهما زاد اخوانكم من الجن » (١) . وهذا النهى ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهى عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فاذا منع الاستنجاء بما للجن ولدوابهم ، فما أعد للانس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى •

ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل الى جميع الانس والجن ، وهذا أعظم قدرا عند الله تعالى من كون الجن سخرؤا لسلیمان علیه السلام ، فافهم سخرؤا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لأنه عبد الله ورسوله ، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك •

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع ، وأما مؤمنوهم ، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ، ولم يبعث من الجن رسول ، لكن منهم النذر ، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر •

والمقصود هنا أن الجن مع الانس على أحوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له : وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك •

(١) الرحمن : ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير ، ورجال اسناده ثقات .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود .

هذا اذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايتة أن يكون في عموم أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف ، مع ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن كان يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله ، اما في الشرك ، واما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل : كنريضه وانسائه العلم ، وغير ذلك ، واما في فاحشة ، كجلب من يطاب فيه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وان استعان بهم على المعاصي فهو عاص : اما فاسق . واما مذنب غير فاسق .

وان لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، ومثل ان يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه الى عرفات ، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة الى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التليسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فان كان مشركا يعبد الكواكب والأوثان ، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون » (١) .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فان كان نصرانيا واستغاث بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة جرجس

أو من يستغيث به • وإن كان منتسبا إلى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ • وإن كان من مشركى الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك •

ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشريعة ، لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإنما هو يتوسط الشيطان •

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يرينى الجن شيئا براقا مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الاخبار به ، قال : فأخبر الناس به ، ويوصلون إلى كلام من استغاث به من أصحابى فأجيبه ، فيوصلون جوابى إليه •

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق — إذا كذب بها من لم يعرفها وقال : انكم تفعلون هذا بطريق الحيلة ، كما يدخل النار بحجر انطلق وقشور النارج ، ودم من الشفاسع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية — يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئا من هذه الدجيل • فلما ذكر لهم الخير : انكم لصادقون فى ذلك ، ولكن هذه الأحوال شيطانية ، أقروا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق ، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة فى الشرع وعند المعاصى لله ، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعملوا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه •

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه • صلاة وسلاما نستوجب بهما شفاعته • آمين •

الرسالة السادسة عشرة :

الحزب المقبول من احاديث الرسول

تأليف

الفاضل الأجل أبى سعيد محمد بن الفياض الأنصارى

المقدمة وفيها ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى فضل الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب

لكم » (١) .

« الدعاء مخ العبادة » (٢) .

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » (٣) .

« لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر » (٤) .

« ان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله

بالدعاء » (٥) .

« ما من أحد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من

السوء ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم » (٦) .

« ومن لم يسأل الله يغضب عليه » (٧) .

(١) غافر : ٦٠ - والحديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذى بسند ضعيف .

(٣) رواه أحمد ، والترمذى وقال : غريب ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وأقره الذهبى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، وفيه أبو مودود فضة : لينا الحافظ فى « التقريب » ورواه ابن حبان فى « صحيحه » والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٥) رواه الترمذى ، والحاكم وصححه ، وتعقبه الذهبى بان فيه عبد الرحمن أى : الملىكى ، ولينه الحافظ ابن حجر .

(٦) رواه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، وفى سنده ابن لهيعة ، وللحديث شواهد من طريق أبى سعيد وعبادة بن الصامت .

(٧) رواه الترمذى وابن ماجه ، وفى سنده أبو صالح الخوزى ، ضعفه ابن معين . وقال أبو زرعة : لا بأس به .

« من فتح له منكم باب الدعاء ، فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئا — يعنى أحب إليه — من أن يسئل العافية »^(١) .
« ان ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا »^(٢) .

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : اما أن يجعله دعوته ، واما أن يدخرها له في الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر ؟ قال : « الله أكثر »^(٣) .

الفصل الثاني

في آداب الدعاء

« اذا سألت الله فاسأله ببطون أكفكم ولا تسأله بظهورها »^(٤) .
« (وكان) اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه »^(٥) .

« (وكان) يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض ابطينه »^(٦) .
قال : كان يجعل أصبعيه حذاء منكبيه ويدعو .
قال : ان رفعكم أيديكم بدعة ، ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، يعنى الى الصدر .
اذ دخل رجل فصلى ، فقال اللهم اغفر لي وارحمني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجلت أيها المصلي ! اذا صليت فقمعت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل على ، ثم ادعه »^(٧) .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، لا نعرفه الا من حديث أبي بكر الملقب ، وهو ضعيف في الحديث .
(٢) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذى وقال : حسن غريب . قال ابن حجر العسقلانى : سنده جيد .
(٣) قال المنذرى : رواه أحمد ، والبخارى ، وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٤) قال أبو داود : روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب القرظى كلها وأهية ، وهذا الطريق أمثلها ، وهو ضعيف أيضا .
(٥) رواه الترمذى وقال : غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن عيسى تفرد به وهو قليل الحديث ، وقد حدث عنه الناس . وضعفه العراقي .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه أبو داود ، والترمذى والنسائى ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك : فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أيها المصلي » ادع تجب » • فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى : ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دعوت لنفسي • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سل تعطه ، سل تعطه » (١) •

« ان الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصل على نبيك » (٢) •

كان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك (٣) •
« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم » (٤) •
« اذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي ان شئت : ارحمني ان شئت ، ارزقني ان شئت ، وليعزم مسألته ، انه يفعل ما يشاء لا مكره له » (٥) •

« يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل » قيل : يا رسول الله • ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » (٦) •
« دعوة الرجل المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » (٧) •

« ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » (٨) •
« أشركنا يا أخى فى دعائك ولا تنسنا » فقال كلمة ما يسرنى أنى بها الدنيا (٩) •

(١) رواه النسائي بسند صحيح •

(٢) رواه الترمذي موقوفا على عمر بن الخطاب •

(٣) رواه أبو داود فى الصلاة ، والحاكم فى الدعاء عن عائشة : قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبى ، وجود اسناده النووى فى « الأذكار » و « الرياض » • (٤) رواه مسلم عن جابر •

(٥) رواه أحمد فى « المسند » والبخارى ومسلم فى الدعوات عن أنس •

(٦) رواه مسلم عن أبى هريرة • (٧) رواه مسلم عن أبى الدرداء •

(٨) رواه أبو داود ، والترمذي ، والطبراني عن عبد الله بن عمرو ، وقد ضعفه الترمذي •

(٩) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح •

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع » (١) .

وفى رواية عن ثابت البناني مرسل : « حتى يسأله الملح ، وحتى يسأله شسع نعله اذا انقطع » (٢) .

« اذا ذكر أحدا فدعا له ، بدم نفسه » (٣) .

« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر الدعاء فى الرخاء » (٤) .

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » (٥) .

« يا غلام .. احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٦) .

« اذا قال العبد : يا رب ! يا رب ! قال الله : لبيك عبدى ، سل تعط » (٧) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوجب أن ختم » فقال رجل . من القوم : بأى شئ يختم ؟ قال : بـ « آمين » (٨) .

(١) رواه الترمذى وابن حبان من أنس .

(٢) رواه الترمذى عن ثابت البناني مرسل ، ورواه البزار عن أنس مرفوعا : « ليسأل أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها ، حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح ، غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب صحيح .

(٤) رواه الترمذى ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبى .

(٥) رواه الترمذى عن عبد الله بن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء عن عائشة ، وهو ضعيف ، لكن له شاهد عند البزار .

(٨) رواه أبو داود عن أبى زهير النميرى .

الفصل الثالث

في اوقات قبولية الدعاء

أى الدعاء أسع ؟ قال : « جوف الليل الأخير . ودبر الصلوات المكتوبات » (١) .

« لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة » (٢) .

« ان فى يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه » (٣) .

« هى ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة » (٤) .

« التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد العصر الى غيبوبة الشمس » (٥) .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : فأكثروا الدعاء » (٦) وفى رواية عن ابن عباس : « وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فقمين أن يستجاب لكم » (٧) .

« اذا دخلت على مريض فمره يدعوك : فان دعاه كدعاء الملائكة » (٨) .

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » (٩) .

(١) رواه الترمذى من حديث أبى امامة وقال : حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة وابن حبان فى « صحيحيهما » .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم . وأبو داود . قال أحمد : أكثر الأحاديث فى الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة انها بعد صلاة العصر . ومن شاء التفصيل فليراجع « فتح البارى » (٢ / ٢٥١) .

(٥) رواه الترمذى من حديث أنس ، وقال : حديث غريب ، وقد روى عن أنس من غير لوجه ، وله شواهد ، وفى الباب عن جابر عند أبى داود وغيره ، وصححه الحاكم والذهبى والنووى .

(٦) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، عن أبى هريرة .

(٧) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى .

(٨) رواه ابن ماجه : قال المنذرى : رواه ثقات ، لكن ميمون بن مهران

لم يسمع من عمر .

(٩) رواه أحمد فى « المسند » والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة .

وفيه مقال ، تكلم فيه الحافظ ابن حجر وغيره .

« ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم » (١) .
 « ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة » (٢) .
 « اثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » (٣) .
 وفي رواية : « وتحت المطر » (٤) .
 « كنا نؤمر بالدعاء عند أذان المغرب » .

باب الدعاء عند القيام من النوم

« الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » (٥) .
 « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، رب اغفر لي » (٦) .
 « لا اله الا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك .. اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب » (٧) .

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، كلهم من حديث أبي جعفر المدني ، قال المناوي وغيره : لا يعرف . وقال ابن العربي في « العارضة » : الحديث مجهول ، وربما شهدت له الأصول .
 (٢) رواه أحمد ومسلم من جابر رضي الله عنه .
 (٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، وهو حديث صحيح .
 (٤) رواها الحاكم ثم قال : تفرد به يعقوب الزمعي ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق سيء الحفظ .
 (٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
 (٦) رواه البخاري والترمذي وأبو داود ، وهو بتمامه : « من تمار من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : رب اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فان توضأ وصلى قبلت صلاته » وتعار : أي استيقظ .
 (٧) أخرجه أبو داود والنسائي ، من عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال : « لا اله الا أنت .. » وفي سنده عبد الله بن الوليد ، وهو المصري ، وهو لين الحديث كما في « التقريب » .

« اللهم انى أسألك خيرا » .

« الله أكبر » — عشرا — « الحمد لله » — عشرا — « سبحان الله وبحمده » — عشرا — « سبحان الملك القدوس » — عشرا — « أستغفر الله » — عشرا — « لا اله الا الله » — عشرا — « اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة » — عشرا^(١) .

« سبحان رب العالمين » .

« سبحان الله وبحمده » .

« اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق . وقولك حق ، والجنة حق . والنار حق ، والنبون حق ، ومحمد حق . والساعة حق : اللهم لك أسلمت . وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت : وبك خاصست واليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت . وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك »^(٢) .

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الأبواب .. » (٣) الى ختم السورة .

باب الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

« اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والأرض : عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »^(٤) .

(١) رواه أبو داوود ، وفى سنده شريك الهوزنى ، لا يعرف ، وفيه بقية ابن الوليد وهو مدلس ، ولكن رواه أحمد ، وابن أبى شيبه ، وأبو داوود بلفظ : كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ، واسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والدارمى .

(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ — ٢٠٠ ، روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت عند اخالتى ميمونة ، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر الى السماء فقال : « ان فى خلق السموات والأرض ... » الآيات الحديث ..

(٤) رواه مسلم عن عائشة .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غيرك » (١) .
 « الله أكبر كبيرا » (٢) .
 « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » (٣) .
 « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » (٤) .

باب القنوت في الوتر

« اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فانك تقضي ولا يقضى عليك ، أنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا ونعاليك » (٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم انا نستعينك ونستغفرك ، ونثني عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع وترك من يفجرك » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللهم اياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، ونخشى عذابك الجذ ، ونرجو رحمتك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق » .
 « اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (٦) .

(١) رواه أبو داود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقد روى من غير وجه بأسانيد جيد .

(٢) رواه مسلم ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » استفتح به رجل فقال : « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا » فقال صلى الله عليه وسلم : « عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء » .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي بسند حسن ، والهمز : المؤنة ، نوع من الجنون ، والنفخ : الكبر . والنفث : الشعر ، والمراد به الشعر المدموم .

(٤) رواه أبو داود بسند صحيح .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وأحمد والطبراني ، قال الترمذي : ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت شيئا أحسن من هذا . ورواه ابن أبي شيبة ، وابن عساكر بسند صحيح .

(٦) رواه مسلم وأصحاب « السنن » عن عائشة .

« سبحان الملك القدوس » (١) • ثلاثا •

باب اجابة المؤذن والدعاء بعد الاذان

« اذا قال المؤذن : الله أكبر لله أكبر ، فقال احدكم الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله قال : أشهد أن لا اله الا الله ، ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله • ثم قال : حي على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله • ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : الله أكبر الله أكبر • ثم قال : لا اله الا الله قال : لا اله الا الله » (٢) •

« أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا ، وبالإسلام ديننا » (٣) •
« اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته » (٤) •
« اللهم هذا اقبال ليلك ، وادبار نهارك ، وأصوات دعائك فاغفر لى » (٥) •

باب الدعاء بعد ركعتى الفجر

« اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن يسارى نورا ، وفوقى نورا وتحتى نورا ،

(١) روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أبي بن كعب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الوتر قال : « سبحان الملك القدوس » وفى رواية النسائي وابن السنن : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات •

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال المؤذن . . » وقال فى آخره : « ثم قال : لا اله الا الله . قال : لا اله الا الله من قلبه دخل الجنة » •

(٣) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : حين يسمع المؤذن : أشهد . . » وفى آخره : « غفر له ذنبه » •

(٤) رواه البخارى ، وأبو داود وغيرهما عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم . . » وفى آخره : « حلت له شفاعتى يوم القيامة » •

(٥) رواه أبو داود ، والبيهقى فى « الدعوات الكبير » وإسناده =

وأمامي نورا ، وخلفي نورا ، واجعل لي نورا ، وفي لساني نورا ، وعصبي نورا ، ولحمي نورا ، ودمي نورا ، وشعري نورا ، وبشري نورا ، واجعل في نفسي نورا ، وأعظم لي نورا ، اللهم أعطني نورا « (١) » .

باب الدعاء عند الخروج من البيت

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم انا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نظلم (٢) أو نجعل أو يجعل علينا » (٣) .
« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » (٤) .
« اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجعل أو يجعل علي » (٥) .

باب الدعاء عند دخول المسجد

« أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم » (٦) .
« بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » (٧) .

-
- = ضعيف فيه أبو كثير ، وهو مجهول ، كما قال النووي وغيره .
وفي باب ما يقول إذا سَمِعَ الإقامة ، جاء في سنن أبي داود :
« حدثنا سليمان بن داود العتكي ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثني رجل من أهل الشام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة ، أو عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن بلالا أخذ بالإقامة فلما أن قال : قد قامت الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقامها الله وأدامها » .
(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة .
(٢) نظلم : الأولى بفتح النون والثانية بضمها .
(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي من حديث أنس ، والحديث بتمامه : من أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : — يعني إذا خرج من بيته — بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ولنحى عنه الشيطان » .
(٥) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي : وهو حديث صحيح .
— أضل أو أضل : الأولى بكسر الضاد والثانية بفتحها ، أظلم أو أظلم : الأولى بفتح الالف والثانية بضمها .
(٦) قال النووي في « الأذكار » : حديث حسن ، ورواه أبو داود بسند جيد .
(٧) قال النووي في « الأذكار » : رويناه في كتاب ابن المنى عن أنس =

« رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك »^(١) .

باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

« لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد . يديه
الخير وهو على كل شىء قدير »^(٢) .

« اللهم أجرنى من النار » — سبع مرات — .

« اللهم انى أسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا »^(٣) .

باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

« بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء
وهو السميع العليم »^(٤) — ثلاث مرات — .

« اللهم عافنى فى بدنى ، اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى
فى بصرى ، لا اله الا أنت »^(٥) — ثلاث مرات — .

« رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا »^(٦) ثلاث
مرات .

« أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان
من المشركين »^(٧) .

== رضى الله عنه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال : « بسم الله .. اللهم صل على محمد » .

(١) رواه ابن السنى بلفظ : « اللهم اغفر لى وافتح لى أبواب رحمتك » .

(٢) رواه الطبرانى من رواية يحيى بن عبد الله البابلتى ، وهو ضعيف .
كما فى « التقریب » .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن السنى عن أم سلمة .

(٤) رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى ، وقال :

حديث حسن قريب صحيح .

(٥) رواه أبو داود .

(٦) رواه الترمذى عن ثوبان بلفظ : « من قال حين يمسى : رضيت

بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » دون ذكر ثلاث
مرات . وفى اسناده سعد بن المرزبان ، وهو ضعيف ، وقال الترمذى منه :

حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ولعله صح عنده من طريق
آخر ، ورواه أبو داود والنسائى . قال النووى : بأساتيد جيدة .

(٧) حديث صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد « المسند »

عن عبد الرحمن بن أبزى ، وأخرجه أحمد ، والدارمى ، وابن السنى فى
« اليوم والليلة » .

- « أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ، والكبرياء والعظمة لله ،
والخلق والأمر ، والليل والنهار ، وما سكن فيهما الله » (١) •
- « اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً ، وأوسطه نجاحاً ، وآخره
فلاحاً يا أرحم الراحمين ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين » •
- « اللهم انى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته
وهده ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده » (٢) — فى الصباح •
- « أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين » •
- « اللهم انى أسألك خير هذه الليلة ، فتحها ونصرها ونورها
وبركتها وعداها ، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها » — فى المساء •
- « اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك
لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى الصباح •
- « اللهم ما أمسى بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك
لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » — فى المساء •
- « اللهم أنى أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك
وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن
محمدًا عبدك ورسولك » — فى الصباح •
- « اللهم انى أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع
خلقك أنك أنت الله ، لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا
عبدك ورسولك » — فى المساء •
- « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، حسبى الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » — (سبع مرات) •
- « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على
هدىك وعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك
بفضلك عالى ، وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت » (٣) •
- « اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة » •
- « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى » •
- « اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى » •

١١ ذكره النووي فى « الأذكار » برواية ابن السنى .

(٢) رواه ابو داود عن أبى مالك الأشعرى .

(٣) رواه البخارى من شهاد بن اوس .

« اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقی ، وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي » (١) .

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (٢) .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون » (٣) .
« اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه » (٤) .

« اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك المصير » (٥) — في الصباح .

« اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك النشور » (٦) — في المساء .

« أمسينا وأمسي الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة . وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل ، ومن سوء الكبر والكفر ، رب أعوذ من عذاب في النار وعذاب في القبر » (٧) — في المساء .

(١) أخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسي الملك لله ، والحمد لله . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . » .

(٣) الروم : ١٧ — ١٩ .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أبو داود ، والترمذي .

(٦) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

(٧) رواه مسلم دون لفظة « والكفر » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣٥ — مجموعة التوحيد)

« أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خيراً ما في هذا اليوم وخيراً ما بعده ، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر »^(١) — في الصباح •

« نعم • تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير »^(٢) •

« الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلي العظيم »^(٣) •

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » (ثلاث مرات) •



(١) رواه مسلم أيضاً دون لفظه « والكفر » عن ابن مسعود •
(٢) غافر : ١ — ٣
(٣) البقرة : ٢٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (٢) (ثلاث مرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » (٣) . (ثلاث مرات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس » (٤) (ثلاث مرات) .

« اللهم بك أحاول ، وبك أصاوم ، وبك أقاتل » .
« يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين » (٥) الى آخر السورة .

باب الدعاء عند الخروج من المسجد

« اللهم انى أسألك من فضلك » (٦) « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » (٧) . « رب اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك » (٨) .

(١) الحشر : ٢٢ — ٢٤ (٢) سورة الاخلاص .

(٣) سورة الفلق . (٤) سورة الناس .

(٥) يس : ١ — ٣

(٦) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى وابن ماجه .

(٧) رواه ابن السنى . بلفظ : بسم الله اللهم صل على محمد .

(٨) رواه ابن السنى اذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لى ، واذا خرج : اللهم افتح لى أبواب فضلك .

باب الدعاء عند دخول البيت

« اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا » (١) .

باب الدعاء عند لاكل والشرب

- « بسم الله ، وعلى بركة الله » .
- « الحمد لله الذى أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل » .
- « بسم الله أوله وآخره » (٢) .
- « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ، ربنا » (٣) .
- « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » (٤) .
- « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه ، وجعل له مخرجا » (٥) .
- « اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه » .
- « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » (٦) .

باب الدعاء عند دخول الخلاه وخروجه

- « اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث » (٧) .
- « أعوذ بالله من الخبث والخبائث بسم الله — عند الدخول —
- « قفرائك ، الحمد لله الذى أذهب عني الأذى وعافاني » — بعد الخروج » (٨) .

باب الدعاء قبل الوضوء وبعده

« بسم الله الرحمن الرحيم • أشهد أن لا اله الا الله وحده

-
- (١) رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري .
 - (٢) رواه أبو داود ، والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فان نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذي : حسن صحيح .
 - (٣) رواه البخاري عن أبي امامة .
 - (٤) رواه أبو داود ، والترمذي عن أبي سعيد الخدري .
 - (٥) رواه أبو داود ، والنسائي بسند صحيح .
 - (٦) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن بشر .
 - (٧) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .
 - (٨) روى أبو داود ، والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « قفرائك » وروى النسائي ، وابن ماجه باقيه .

لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . اللهم اجعلني من
التوايين واجعلني من المتطهرين »^(١) — بعد الوضوء .

باب الدعاء عند التكبيرة الأولى

« اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ،
اللهم تقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم
اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد »^(٢) .
« وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من
المشركين ، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك
له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

« اللهم أنت الملك لا اله الا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت
نفسى ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لى ذنوبى جميعا ، أنه لا يغفر الذنوب
الا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت ، واصرف
عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها الا أنت ، نبئك وسعديك والخير كله
فى يديك ، والشر ليس اليك ، وأنا بك واليك ، تباركت وتعاليت ،
أستغفرك وأتوب اليك »^(٣) « الله أكبر كبيرا (ثلاثا) والحمد لله
كثيرا »^(٤) (ثلاثا) .

« وسبحان الله بكرة وأصيلا »^(٥) (ثلاثا) « أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من تفخه وتفه وهمزه »^(٦) .

باب الدعاء فى الركوع وبعده وفى السجود وبين السجنتين

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى »^(٧) .

(١) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ » ثم قال : « أشهد أن لا اله
الا الله وحده . . » وزاد الترمذى : « اللهم اجعلني من التوايين واجعلني من
المتطهرين » وسندها صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن حبان ، واحمد ،
والشافعى ، والطبرانى .

(٤) رواه أبو داود ، والطحاوى بسند حسن .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والدارقطنى ، والحاكم وصححه
هو وابن حبان ، والذهبي .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح » (١) •

« سمع الله لمن حمده » (٢) •

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد » •
« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، سبحان ربى العظيم — ثلاثا — سبحان ربى الأعلى — ثلاثا — سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » •

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد » •

« اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذى خلقه ، وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » •
« اللهم اغفر لى ذنبى كله ، دقه ، وجله ، وأوله ، وآخره ، وعلايته ، وسره » •

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك ، من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أئنتت على نفسك » •
« اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى ، رب اغفر لى » •

باب التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والبقاء

« التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » •

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » •

« اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات » •

(١) رواه مسلم •

(٢) رواه البخارى ومسلم •

« اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمجرم » •
« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت
فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » •
« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،
وما أسرفت وما أنت اعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ،
لا اله الا أنت » •

« اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ،
وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا
صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك
لما تعلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » •

باب الدعاء والذكر بعد الصلاة

« الله أكبر ، استغفر الله — ثلاثا — اللهم أنت السلام ومنك
السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، رب أعنى على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك • لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شىء قدير » •

« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع
ذا الجذ منك الجذ • لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شىء قدير • لا حول ولا قوة الا بالله • لا اله الا الله ،
ولا نعبد الا اياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن • لا اله الا الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » •

« اللهم انى أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل ، وأعوذ
بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر • سبحان
الله — ثلاث وثلاثون — والحمد لله — ثلاث وثلاثون — والله أكبر
— اربع وثلاثون — « الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة
ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده
الا باذنه ، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه
الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ،
وهو العلى العظيم » (١) « قل أعوذ برب الفلق » الى آخرها ،
« قل أعوذ برب الناس » — الى آخرها .

باب الدعاء عند عيادة المريض

« اذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما • لا بأس طهور إن شاء الله تعالى •
« قل أعوذ برب الناس » - إلى آخر السورة - بسم الله تربة أرضنا ، يريقة بعضنا ، ليشفى سقيمنا باذن ربنا • بسم الله (ثلاثا) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحاذر (سبعا) • بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أريقك • أعيدك بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة • أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك • بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ، ومن شر حر النار • ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، فأجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع » •

« اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشی لك إلى جنازة » •
« اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي » •

باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت

« لا إله إلا الله ، أنا الله وأنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي ، واخلف لي خيرا منها » •
« اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهددين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . « يس • والقرآن الحكيم » (١) ، (السورة) •

باب الدعاء في صلاة الجنازة ودفنها

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ... » (٢) السورة •

« اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، وثقه من الخطايا كما تقيت؛

الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجة ، وأدخله الجنة ، واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار •

اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده •

اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك ، وحل جوارك ، فقه من فتة القبر وعذاب القبر ، وأنت أهل الوفاء والحق •

اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم •

اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتها إلى الإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلايتها ، جئنا شفعا فاغفر له •

اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وذخرا وأجرا •

اللهم عبدك وابن عبدك ، كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به مني ، ان كان محسنا فزد في احسانه ، وان كان مسيئا فاغفر له ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده •

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله « الم • ذلك الكتاب لا ريب فيه ... » إلى قوله : « وأولئك هم الفلاحون » (١) عند رأسه : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » (٢) ... إلى آخر السورة عند رجليه •

باب الدعاء عند زيارة القبور

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون • نسأل الله لنا ولكم العافية • السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أتم سلفنا ونحن بالأثر •

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون •

اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد ، السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وانا ان شاء الله بكم للاحقون •

باب دعاء الاستخارة

« اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : فى عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به » •

باب دعاء الحاجة

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين •
أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يا أرحم الراحمين » •

باب خطبة الحاجة ، كالنكاح وغيره وما يتعلق به

« ان الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، من يضله فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » (١) . « يا ايها النبیاس اتقوا ربکم الذى خلقکم من نفس واحدة ... » الى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان علیکم رقیبا » (٢) . « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سدينا . يصلح لکم أعمالکم ویغفر لکم ذنوبکم ، ومن یطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظیما » (٣) .

بارك الله لك وبارك عليكما ، وجمع بينكما فى خير •

اللهم انى أسألك من خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » •

باب الدعاء عند دخول السوق

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى

(٢) النبیاء : ١

(١) آل عمران : ١٠٢

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

ويميت وهو حي لا يموت ، بيله الخير وهو على كل شيء قدير • بسم الله ، اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها •

اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة •

باب الدعاء عند الكرب والغضب

« اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا •

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى الى نفسى طارئة عين • وأصلح لى شأنى كله ، لا اله الا أنت •

اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك وفى قبضتك ، فاصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاائك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، وأنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء همى وغمى • يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث • لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » •

باب الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمام

« اللهم انى أسألك من فضلك ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » •

باب الدعاء فى السفر ومشايعة المسافر

« الله أكبر — ثلاثا •

« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وانا لى ربنا

المنقلبون » (١) •

اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى • ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل • اللهم انى أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل ، آيئون تأيئون عابدون لربنا حامدون » •

« اللهم انى أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحصور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال •

« أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، سمع سامع بحمد الله

ونعمته ، وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا حافظنا وأفضل علينا عاذاً
بالله من النار ، الله أكبر — ثلاثاً — لا اله الا الله وحده لا شريك له ،
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون ، ساجدون ،
لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده •
اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم
اهزمهم وزلزلهم ، اللهم انا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من
شرورهم » •

« اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ،
بسم الله ، الحمد لله « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين •
وانا الى ربنا لمنقلبون » .

« الحمد لله (ثلاثاً) والله أكبر (ثلاثاً) سبحانك انى ظلمت نفسك
فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، يا أرض •• ربى وربك الله ،
أعوذ بالله من شرك وشر ما فىك ، وشر ما خلق فىك ، وشر ما يدب
عليك ، وأعوذ بالله من أمد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن شر
ساكن البلد ومن والد وما ولد » •

« استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك • استودع الله دينكم
وأمانتكم وخواتيم أعمالكم • زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر
لك الخير حيثما كنت » •

« اللهم اطو له البعد ، وهون عليه السفر » •

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل يا ايها الكافرون ••• » الى آخر السورة .

« اذا جاء نصر الله والفتح ••• » السورة .

« قل هو الله أحد ••• » السورة .

« قل أعوذ برب الفلق ••• » السورة .

« قل أعوذ برب الناس ••• » السورة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السموات السبع وما أظللن ،
 ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب
الرياح وما ذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ
بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها •

اللهم بارك لنا فيها (ثلاثاً) •

اللهم ارزقنا جناها وحبينا الى أهلها وحب صالحي أهلها اليها » •

باب دعاء الاحرام والتلبية

« لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ،
والملك ، لا شريك لك » .
« لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير في يديك لبيك والرغباء
اليك والعمل » .
« اللهم انى أسألك رضاك والجنة ، وأسألك العفو برحمتك من
النار » .

باب دعاء الطواف والمقام والصفاء والمروة

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول
ولا قوة الا بالله .
اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . ربنا آتنا فى
الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .
اللهم قننى بما رزقتنى ، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة
لى بخير ، « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » (١)
اللهم انك تعلم سرى وعلايتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى ،
فأعطنى سؤللى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى .
اللهم انى أسألك ايمانا يياثر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه
لا يصيبنى الا ما كتبت لى ، ورضنى بما قسمت لى يا أرحم الراحمين .
« ان الصفا والمروة من شعائر الله » (٢) .
أبدأ بما بدأ الله به : لا اله الا الله وحده ، الله أكبر ، لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .
لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .
اللهم انك قلت « ادعونى استجب لكم » (٣) ، وانك لا تخلف الميعاد ،
وانى أسألك كما هديتنى للاسلام أن لا تنزع منى حتى توفانى ، وأما
مسلم ، رب اغفر وارحم أنت الأعز الأكرم .

باب دعاء عرفة بعرفة

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
كل شىء قدير .
اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما تقول .

(٢) البقرة : ١٥٨

(١) البقرة : ١٢٥

(٣) غافر : ٦٠

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك ما بئى ، ولك
 ربى تراشى *
 اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسواس الصدر ،
 وشتات الأمر *
 اللهم انى أسألك من خير ما تجيء به الريح ، وأعوذ بك من شر
 ما تجيء به الريح ، لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد
 يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير *
 اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ،
 وفى قلبى نورا *
 اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأعوذ بك من وساوس
 الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر *
 اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ،
 وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر *
 لييك اللهم لييك ، انما الخير خير الآخرة ، الله أكبر ، والله الحمد ،
 الله أكبر والله الحمد ، الله أكبر والله الحمد * لا اله الا الله ، وحده
 لا شريك له ، له الملك وله الحمد *
 اللهم اجعله حسبا مبرورا ، وذنباً مغفورا *
 اللهم اهدنا بالهدى ، وزيئنا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة
 والأولى *
 اللهم انى أسألك رزقا حلالا طيبا مباركا *
 اللهم انك أمرتنى بالدعاء ولك الاجابة ، وانك لا تخلف الميعاد ،
 ولا تنكث عهدك *
 اللهم ما أحببت من خير فصعبه الينا ويسره لنا ، وما كرهت من
 شر فكرهه الينا وجنبناه ، ولا تترع منا الاسلام بعد اذ هديتنا
 « ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١) *
 اللهم انى أسألك من خير ما سألوك به نبيك صلى الله عليه
 وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ به نبيك صلى الله عليه وسلم *
 « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين » (٢) * « اب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل

دعاء • ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (١) •
« رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢) • « ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا
انك رؤوف رحيم » (٣) « ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم » (٤)
« وتب علينا ، انك انت التواب الرحيم » (٥) •

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •
اللهم انك تعلم وترى مكاني وتسمع كلامي ، وتعلم سري
وعلايتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري . وأنا البائس الفقير المستغيث
المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبي : أسألك مسألة المسكين ،
وأبتل اليك ابتهاج المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضريب من
خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، ونحل لك جسده . ورغم
لك أتفه •

اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا ، وكن لي رؤوفا رحيم ، يا خير
المستولين ، يا خير المعطين ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب
العالمين .. آمين •

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير (مائة مرة) « قل هو الله أحد ... » السورة (مائة مرة)
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، وعلينا معهم « (مائة مرة) •

باب الدعاء عند رؤية الهلال

« اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ربي
وربك الله ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد •
آمنت بالذي خلقك — ثلاث مرات — الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء
بشهر كذا ، وأعوذ بالله من شر هذا » •
« اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » •

باب دعاء الإفطار

« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظما ، وابتلت
العزوق ، وثبت الأجر ان شاء الله » •

(٢) الاسراء : ٢٤
(٤) البقرة : ١٢٧

(١) ابراهيم : ٤٠ ، ٤١
(٣) الحشر : ١٠
(٥) البقرة : ١٢٨

« اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر ذنوبى » •

باب الدعاء فى ليلة القدر

« اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » •

باب الدعاء عند لبس الثوب الجديد

« اللهم لك الحمد كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول ولا قوة ، الحمد لله الذى رزقنى من اللباس ما أتجمل به فى الناس ، وأوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى • الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى » •

باب دعاء كفارة المجلس

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، استغفرك واتوب اليك » •

باب دعاء حفظ القرآن

« اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتني ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعينني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني •
اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى ، وأن تطلق به لسانى ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدرى ، وأن تغسل به بدنى ، فانه لا يعيننى على الحق غيرك ، ولا يؤتيه الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله تعالى العظيم » •

باب الدعاء اذا رأى مبتلى

« الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا » •

باب دعاء قضاء الدين

« اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غيبة الدين وقهر الرجال » •
« اللهم اكفنى بجلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عن سواك » •

باب دعاء الاستسقاء

« اللهم اسق عبادك وبهيمنتك ، وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت . »

اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . لا اله الا الله يفعل ما يريد .
اللهم أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا الى حين . »

باب دعاء الرياح والرعد والمطر

« اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شر هذه الرياح وشر ما فيها وشر ما أمرت به .
اللهم اجعلها رحمه ولا تجعلها عذابا . اللهم اجعلها ريحا ولا تجعلها ريحا . »

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .
سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .
اللهم انى أعوذ بك من شر ما فيه .
اللهم سقيا نافعا . اللهم صيبا نافعا . »

باب دعاء التوبة

« اللهم انى أتوب اليك منها لا أرجع اليها أبدا .
اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ، ورحمتك أرحم من عندي من عملى . »

باب صلاة التسبيح

« سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . »

باب الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

« اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا .
اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره . »

باب الدعاء عند رؤية المرأة

« اللهم أنت حسنت خلقى ، فحسن خلقى . »
« اللهم كما حسنت خلقى فأحسن خلقى ، وحرم وجهى على النار . الحمد لله الذى سوى خلقى وأحسن صورتى وزان منى ما شان من غيرى . الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله ، وصور صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين . »

باب اسم الله الأعظم

« اللهم انى أسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .
 اللهم انى أسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم أسألك ، والهكلم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . الم . الله . لا اله الا هو الحي القيوم . لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » .

باب أسماء الله تعالى

« هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدى ، المعيد ، الحى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواحد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

باب الاستعاذة

اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .
 « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال » .
 « اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر » .

« اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها . أنت وليها ومولاها » •

« اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » •

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك » •

« اللهم انى أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل » •
« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت » •

« اللهم انى أعوذ بعزتك ، لا اله الا أنت ، أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والانس يسوتون » •
« اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » •

« اللهم انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق » •
« اللهم انى أعوذ بك من الجوع ، فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئس البطانة » •

« اللهم انى أعوذ بك من البرص ، والجذام ، والجنون ، ومن سبىء الأسقام » •

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والاهواء » •
« اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ، وشر لسانى وشر قلبى وشر منبى » •

« اللهم انى أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من التردى ، ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك من أن أموت لديفا » •

« اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع » •

« اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى » •

« اللهم انى أسألك الجنة » — ثلاث مرات •

« اللهم انى استجيرك من النار » — ثلاث مرات •

« أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت

منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً ويراً ، وأعوذ بالله من الكفر
والدين » •

باب جامع الدعاء

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري ، وما أنت
أعلم به مني » •

« اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي » •
« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،
وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء
قدير » •

« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي
التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة
زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » •
« اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم اهديني
وسددني » •

« اللهم اغفر لي وارحمني ، واحدني وعافني وارزقني » •
« اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار » • رب أعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا
تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى علي ، رب
اجعلني لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهباً ، لك مطوعاً ، لك مخبتاً ،
ليك أواهاً منيباً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ،
وثبت حجتي ، وسدد لساني ، واهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري » •
« اللهم اني أسألك العفو والعافية » • رب اني أسألك العافية والمعافة
في الدنيا والآخرة » •

« اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك » •
« اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب » •
« اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب » •
« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصبك ،
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات
الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث
تبعنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا » • ولا تجعل

مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

« اللهم انفعني ما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما ، الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار » .

« اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » .

« اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك . والعمل الذي يبنيني حبك » .

« اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي ومالي وأهلي : ومن الماء البارد » .

« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة لي خيرا لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي » .

« اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

« اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهدين » .

« اللهم اجعلني أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأنبغ نصحك : وأحفظ وصيتك » .

« اللهم اني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق : والرضى بالقدر » .

« اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور » .

« اللهم اجعل سريري خيرا من علانيتي ، واجعل علانيتي سالحة » .

« اللهم اني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من الأهل والمال والولد غير الضال ولا المضل » .

باب إلهاء عند المنام

« اللهم باسمك أموت وأحيا ، باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسي فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

« اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت » •
« الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى » •

« سبحان الله » — ثلاثا وثلاثين •

« الحمد لله » — ثلاثا وثلاثين •

« الله أكبر » — أربعاً وثلاثين •

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته • أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء : اقض عني الدين ، واغنني من الفقر ، بسم الله وضعت جنبى لله » •

« اللهم اغفر ذنبى ، وأخسىء شيطانى ، وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى » •

« الحمد لله الذى كفانى وآوانى وأطعمنى وسقانى ، والذى من على فأفضل ، والذى اعطانى فأجزل • • الحمد لله على كل حال » •
« اللهم رب كل شيء ومليكه ، واله كل شيء ، أعوذ بك من النار » •
« اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جاراً من شر خلقك كهلم جميعاً أن يفرط على أحد منهم ، وأن ينفى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، لا اله الا أنت » •

« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » — ثلاث مرات •

« اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته » •

« اللهم أنت تكشف المغرم والمائم » •

« اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعذك ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند ، سبحانك وبخمدك • أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه » — ثلاث مرات •

« الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين

أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلى العظيم)) (١) .

((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطانا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنها واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)) (٢) .

((قل هو الله أحد .)) — السورة .

((قل أعوذ برب الفلق .)) — السورة .

((قل أعوذ برب الناس .)) — السورة .

((حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين)) (٣) — السورة .

((ألم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)) (٤) .

((تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير)) (٥) .

((قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد)) (٦) — السورة .

((قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم . ولى دين)) (٧) .

((أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار .)) (٨) — الى آخر السورة .

* * *

- | | |
|--------------------|--------------------------|
| (١) البقرة : ٢٥٥ | (٢) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦ |
| (٣) الدخان : ١ — ٣ | (٤) السجدة : ١ ، ٢ |
| (٥) الملك : ١ | (٦) سورة الكافرون . |
| (٧) سورة الاخلاص . | (٨) آل عمران : ١٦٠ — ٢٠٠ |

الخاتمة وفيها خمسة فصول :

الفصل الأول

في ذكر الله عز وجل

« لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة » .
ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .
« مثل الذي يذكّر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت » .
« انه لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم » قال : فيحبهونهم .
بأجنتهم الى السماء الدنيا » .. الحديث .
« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من ائفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى ، قال : « ذكر الله » .

« طوبى لمن طال عمره ، وحسن عمله » .
قال : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » .
« من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ثرة ، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ثرة » .
« ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة جمار ، وكان عليهم جيرة » .
« كل كلام ابن آدم عليه لا له ، الا أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله » .
« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله القلب القاسى » .
أى المال تتخذ ؟ قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه » . لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » .
أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : « والذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .. الحديث .
« الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فاذا ذكر الله خنس ، واذا غفل وسوس » .

- « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين » .. الحديث .
- « ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » .
- « ان الله تعالى يقول : أنا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي . شغته » .
- « لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله » .. الحديث .

* * *

الفصل الثاني

في فضل تلاوة القرآن وفوائده

- « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .
- « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران » .
- « لا حمد الا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » .
- « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر » .
- « ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » .
- « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة » .
- « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » .
- « اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فانهما تأمیان يوم القيامة كأنهما غمامتان — أو غيابتان ، أو فرقان — من طير صواف تحاجان عن أصحابهما » .
- « اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » .
- « يا أبا المنذر : ادرى أى آية من كتاب الله معك أعظم » ؟ قلت : « الله لا اله الا هو الحي القيوم » ؟
- قال : فضرب صدرى وقال : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » .
- « ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » .

- « من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال »
- « انى أحب هذه السورة : « قل هو الله أحد » »
- قال : « ان حبك اياها أدخلك الجنة »
- « لم تر آيات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط : « قل أعوذ برب الفلق » • « قل أعوذ برب الناس »
- يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »
- « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب »
- « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »
- « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »
- « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فىكم ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا ؟ »
- « من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار »
- « ان لكل شىء قلبا ، وقلب القرآن (يس) ، ومن قرأ (يس) : كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات »^(١)
- « تبارك الذى بيده الملك » ، « اذا أنزلت » تعدل نصف القرآن ، و « قل هو الله أحد » . تعدل ثلث القرآن ، و « قل يا أيها الكافرون » . تعدل ربع القرآن
- « من قرأ كل يوم مائتى مرة : « قل هو الله أحد » . محى عنه ذنوب خمسين سنة ، الا أن يكون عليه دين »
- (كان) يتعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » . ويقول يا عقبة ! تعوذ بهما
- « تعوذ متعوذ بمثلها »
- « قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة »
- « قراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير »

(١) رواه الترمذى وقال : حديث شريف .

« قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضعف على ذلك الى ألفي درجة » .
« ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد اذا أصابه الماء » .
قيل : يا رسول الله .. وما جلاؤها ؟ قال : « كثرة ذكر الموت . وتلاوة القرآن » .

« في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .
« من قرأ سورة (آل عمران) يوم الجمعة صلت عليه الملائكة الى الليل » .
« اقرأوا سورة (هود) يوم الجمعة » .
« من قرأ سورة (الكهف) في يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين » .
« من قرأ (يس) ابتغاء وجه الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه . فاقراوها عند موتاكم » .

« ان لكل سناما ، وأن سنام القرآن سورة (البقرة) » .
« وان لكل شيء لبابا ، وان لباب القرآن المفصل » .
« لكل شيء عروس ، وعروس القرآن (الرحمن) » .
(كان يحب هذه السورة : « سبح اسم ربك الأعلى ») .
« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم » ؟ قالوا :
ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قال : « أما يستطيع أحدكم ان يقرأ « الهالك التكاثر » ؟ » .

« من قرأ : « قل هو الله أحد » عشر مرات ، بنى له قصر في الجنة . ومن قرأ عشرين مرة بنى له قصران في الجنة ، ومن قرأ ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور في الجنة » . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله .. اذن لنكثرن قصورنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أوسع من ذلك » .
« اذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن » .

* * *

الفصل الثالث

في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

« أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب (الى) مما طلعت عليه الشمس » •

« من قال : سبحان الله وبحمده •• في يوم مائة مرة حطت خطاياہ وان كانت مثل زبد البحر » •

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » •

« يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة » •

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله للملائكته : سبحان الله وبحمده » •

« لقد قلت بعدك أربع كلمات — ثلاث مرات — لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزتتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » •

« من قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » •

« من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة » •

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » •
« أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الحامدون ، الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » •

« قال موسى : يا رب •• علمنى شيئا أذكرك به — أو أدعوك به — فقال : يا موسى •• قل : لا اله الا الله • فقال : يا رب •• كل عبادك يقولون هذا ، انما أريد شيئا تخصنى به • قال : يا موسى •• لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع وضعن فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » •

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها حجاب دون الله تخلص اليه » •

« ما قال عبد : لا اله الا الله مخلصا قط الا فتحت له أبواب السماء ،
 نختي يفضي الى العرش ما اجتنب الكبائر » •
 « ان الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وانها قيعان ، وأن غراسها
 سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » •
 « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأنامل : فانهن
 مسؤولات مستنطقات ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة » •
 « قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا ، والحمد
 لله كثيرا ، وسبحان رب العالمين ، لا حول ولا قوة الا بالله العزيز
 الحكيم » • قال : هؤلاء لربي فما لى ؟ فقال : « قل : اللهم اغفر لى
 وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى » •
 « ان الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، تساقط
 ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة » •
 « أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، فانها من كنز الجنة » •
 قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجى من الله
 الا اليه ، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر •
 « لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها اللهم
 سبحان الله هى صلاة الخلائق ، والحمد لله كلمة الشكر ، ولا
 اله الا الله كلمة الاخلاص • والله أكبر تملأ ما بين السموات والأرض ،
 واذا قال العبد : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الله تعالى : أسلم
 واستسلم » •

الفصل الرابع

في فضل الاستغفار والتوبة

« والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين
 مرة » •
 « يا أيها الناس توبوا الى الله ، فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة »
 « ان الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار
 ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » •
 « ان العبد اذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه » •
 « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه » •
 « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان (على)

راحلتها بأرض فلاة ، فاتفلت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها أيس من راحلتها ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

« ان عبدا أذنب فقال : رب .. أذنبت ذنبا فاغفره . فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى » الحديث .
« قال الله تعالى : يا ابن آدم .. انك (ان) دعوتنى ورجوتنى ، غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم .. انك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » .
« قال الله تعالى : من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى ، ما لم يشرك بى شيئا » .

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، وورقه من حيث لا يحتسب » .

« ما أصر من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » .

« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

« ان المؤمن اذا أذنب كانت نكته سوداء فى قلبه ، فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى : « كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (١) .

« ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر » .

« ان الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الرب عز وجل : وعزتى وجلالى وارتفاعى (فى) مكانى ، لا ازال اغفر لهم ما استغفرونى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » (٢) ولا يزال » .

« يقول : رب اغفر لى . وتب على ، انك أنت التواب الغفور » .
مائة مرة .

« من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفر له وان كان قد فر من الزحف » .

« ان الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ، فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

« ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ، ينتظر دعوة تلاحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق ، فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها ،

وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال .
وان هدية الأحياء الى الأموات الاستغفار لهم » .
« طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثيرا » .
« اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساءوا استغفروا » .
« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

* * *

الفصل الخامس

فضل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
« من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا » ..
« من صلى على صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .
« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .
« ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام » .
« ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أورد عليه السلام »
انى أكثر الصلاة عليك ، فكم اجعل لك من صلاتي ؟ فقال :
« ما شئت » . قلت : الربع ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك »
قلت : النصف ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت :
فالثلاثين ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : اجعل لك
صلاتي كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويكفر لك ذنبك » .
« البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل على » .
« من صلى على عند قبري سمعته ، ومن صلى على غائبا أبلغته » .
« من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه
وملائكته سبعين صلاة » .
« ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم
الا كان عليهم ترة ، فان شاء عذبهم ، وان شاء غفر لهم » .
« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهده الملائكة ،
وما من أحد يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .
« من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم أنزله المقعد
المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين ..

محتويات الكتاب

الصفحة	
٣	شيخ الاسلام احمد بن تيمية
٥	شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

الرسالة الأولى

(٧ - ٥٧)

الصفحة	الصفحة
٣٤	٧ العبادة - أنواع التوحيد .
٣٥	أنواع الشرك : أكبر ، أصغر ، وخفى .
٣٦	٨ أنواع الكفر : كفر التكذيب ، كفر الإباء ، كفر الشك ،
٣٧	كفر الاعراض ، كفر النفاق .
٣٨	١٠ الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .
٤١	١٢ معنى الطاغوت .
٤٠	١٢ الأصول الثلاثة : الرب ، الدين ، النبي .
٤١	١٤ أركان الإسلام .
٤٢	١٥ أربعة من قواعد الدين .
٤٣	١٧ عبادة الكفار للاصنام ، والأنبياء ، والصالحين .
٤٣	١٨ الجامع لعبادة الله - أنواع العبادة التي لا تصلح
٤٧	١٩ الله .
٤٨	٢٢ أنواع المحبة الأربعة .
٤٩	٢٣ معرفة الإنسان لربه ولنفسه .
٥٠	٢٩ نواقض الاسلام العشرة .
٥٠	٣٣ شروط الصلاة - أركان الصلاة - مبطلات الصلاة .
٥١	٣٣ موجبات الصلاة - فرائض الوضوء .
	٣٣ شروط الوضوء - نواقض الوضوء .
	٣٤ الوضوء .

الصفحة	الصفحة
٥٤	قتال الرسول لمن يعبد غير الله
٥٥	عبادة المشركين للصالحين
٥٦	وللملائكة والأنبياء . . .
٥٦	عبادتهم للأشجار والأحجار
٥٦	معنى الرب به معرفة الله
٥٦	بآياته ومخلوقاته . . .

الرسالة الثانية : مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

(٥٨ - ٦٩)

٥٨	عبادة أهل الجاهلية غير الله
٥٩	التفريق في الدين . . .
٦٣	الاغترار بالكثرة ولو على
٦٤	باطل الاحتجاج بالتقدمين
٦٥	اتباع الهوى والظن . . .
٦٦	تحريف كتاب الله . . .
٦٦	كفرهم بالحق - التعميد
٦٦	بكشف العورات - التعميد
٦٦	بتحريم الحلال . . .
٦٦	معارضة شرع الله بقدره . . .
٦٦	تحريف الكلم عن مواضعه
٦٦	التعميد بترك الطيبات من الرزق

الرسالة الثالثة : كشف الشبهات

للإمام محمد بن عبد الوهاب

(٧٠ - ٨٧)

٧٠	التوحيد دين الرسل جميعا
٧٢	الفرح بفضل الله ورحمته
٧٣	الغلبة لجند الله . . .
٧٤	الرد على أهل الباطل . . .
٧٧	الشفاعة كلها لله . . .
٧٧	تحريم الالتجاء إلى الصالحين
٧٨	شرك الأولين وأهل زماننا
٧٨	الكفر ببعض الكتاب والسنة
٨٠	كفر بهما جميعا . . .
٨٠	كفر من جحد التوحيد . . .
٨١	كفر من وضع شخصا
٨١	في مرتبة الله . . .
٨٢	كفر المستهزئين بآيات الله . . .
٨٣	كفر من اتخذ مع الله أندادا
٨٣	قتل من تبين كفره . . .
٨٤	الاستغفارة بغير الله شرك . . .
٨٤	التوحيد نكس نكس القلب
٨٥	واللسان والعمل . . .
٨٦	لا علم في أظهر الكفر إلا للمكره
٨٧	كفر من آثر الدنيا على الآخرة

الرسالة الرابعة : الواسطة

لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٨٨ - ١٠٤)

٨٨	معنى الواسطة بين الله وبين
٨٨	عباده
٨٨	لا يضاعف ولا يشقى من قرأ
٨٨	القرآن وعمل به . . .
٨٨	(٣٧ - مجموعة التوحيد)

الصفحة	الصفحة
٩٤ . . . لم يكن . . .	الزسل وسائط بين الله وبين
٩٦ نفى الشفاعة والدعاء للمشركين	عباده لتبليغ الرسالة . ٨٩
مشروعية دعاء الأعلى للأدنى	لا واسطة بين الله وبين عباده
٩٨ . . . والعكس أيضاً . . .	الملائكة والأنبياء لا يملكون
طلب الرسول الدعاء من أمته	كشف الضر - اتخاذ
انتفاع الداعي والمدعو	الملائكة والنبیین أرباباً كفر
٩٨ . . . له بالدعاء . . .	العلماء وسائط بين الرسول
٩٦ النعمة الحقيقية نعمة الدين	وأمنه لتبليغ الإسلام فقط
اتخاذ الأحرار والرهبان من	محببيه أنبياء الله بحجاب
دون الله كفر . . .	الملك كفر - الوسائط
التوحيد : رجاء الله	بين الملوك والناس على
١٠١ . . . والتوكل عليه . . .	ثلاثة أوجه . . . ٩٣
	ما شاء الله كان وما لم يشأ

الرسالة الخامسة : هدية طيبة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١٠٥ - ١٠٨)

١٠٦ . . . الاستغناء بغير الله شرك	إله إلا الله ونفى الألوهية
التمسك بأصل الدين والكفر	عما سواه . . . ٢٠٥
١٠٧ . . . بالطواغيت . . .	كفر من ترك توحيد الألوهية ١٠٦

الرسالة السادسة : أوثق عرى الإيمان

للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب

(١٠٩ - ١٢٢)

١١٥ . . . البر على دين خليله . . .	١٠٩ الحب في الله والكراهة في الله
١١٦ نفى الله عن موالاة الكفار	واللهي عن موالاة الكافرين
من شك في كفر الكفار فهو	وأخذهم ببطانة . . . ١١٠
١٢١ . . . كافر . . .	صفة المؤمنين . . . ١١١
	الكفار بعضهم أولياء بعض ١١٣

الرسالة السابعة : جواب عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن بطين

(١٢٣ - ١٢٢)

١٢٣ . . . تعريف العبادة	١٢٣ . . . تعريف العبادة
المحبة والخضوع ركنان	١٢٣ . . . المحبة والخضوع ركنان
للعادة . . .	١٢٤ . . . للعادة . . .
١٢٦ . . . شرط الإخلاص في الأعمال	١٢٤ . . . العبادة معناها التوحيد
١٢٦ . . . والأقوال . . .	

الصفحة	الصفحة
١٣٠ بتغير اسمائها - الطائفوت	١٢٨
١٣١ ويشمل كل معبود .	١٢٩
	حقائق الأشياء لا تتغير

الرسالة الثامنة : أسباب نجات السؤل من السيف المسلول

(١٣٣ - ١٤٥)

١٣٣ هل يلزم الرجل اتباع مذهب	١٣٣ لا اله الا الله ، كلمة الاسلام
١٤١ معين	١٣٤ البراءة من كل معبود سوى الله
١٤١ أنواع الاتباع والاقتداء .	١٣٦ عظيمة شأن كلمة لا اله الا الله
اتخاذ الكفار احبارهم	١٣٦ معنى كلمة « الله » لغة .
١٤٢ اربابا من دون الله . . .	١٣٨ حكمة الجهاد في سبيل الله
١٤٣ اختلاف العلماء في تقليد الائمة	١٣٩ ما يعصم به دم الانسان وماله

الرسالة التاسعة : في مقادير فيء الروال

(١٤٦ - ١٤٧)

الرسالة العاشرة : التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

لشيخ الاسلام احمد بن حنبل

(١٤٨ - ٢٢٨)

١٦٢ التبرك بالحجر أو الشجر	١٤٨ حق الله على العباد وحق العباد على الله . . .
١٦٤ ضلال	كل ما عبد من دون الله فهو طائفوت
باب ما جاء في الذبح لغير الله	١٤٩ فضل التوحيد
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه	١٥٠ سعة فضل الله وكثرة ثوابه
١٦٦ لغير الله	١٥١ من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب .
١٦٧ النذر لغير الله شرك . . .	١٥٢ الخوف من الشرك
١٦٧ الاستعاذة بغير الله شرك .	١٥٤ الدعوة الى شهادة ان لا اله الا الله - الدعوة الى الله والاخلاص فيها . . .
١٦٨ الاستغاثة بغير الله شرك .	١٥٥ تفسير التوحيد
سبب نزول قوله تعالى : « ليس لك من الامر شيء »	١٥٨ تعليق التمانم شرك . . .
١٧٠ انذاره صلى الله عليه وسلم	١٥٩ ما جاء في الرقي والتمانم .
١٧١ لا قاربه	
١٧٤ باب الشفاعة	
١٧٥ الهدى هدى الله	

الصفحة	الصفحة
٢٠٤ . « فلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا » .	سبب الشرك الفلوس في
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف	المصالحين . . . ١٧٧
بالله . . . ٢٠٥	التقليد على من عبد الله عند
قول : ما شاء الله وشئت . ٢٠٦	قبر رجل صالح . . . ١٧٩
من سب الدهر فقد آذى الله	لعم الله من اخذ قبور
التسمى بقاضي القضاة	الانبياء مساجد . . . ١٨١
ونحوه . . . ٢٠٧	سد كل طريق يؤدي الى
احترام أسماء الله تعالى . . . ٢٠٨	الشرك . . . ١٨٢
من هزل بشيء فيه ذكر الله	ما جاء ان بعض هذه الأمة
أو القرآن أو الرسول	يعبدون الاوثان . . . ١٨٣
لا يقال : السلام على الله . . . ٢٠٩	ما جاء في السحر . . . ١٨٥
قول : اللهم اغفر لي ان شئت	بيان شيء من انواع السحر
لا يقول : عبي وأمتي . . . ٢١٤	ما جاء في الكهان . . . ١٨٧
لا يرد من سأل بالله . . . ٢١٤	ما جاء في النشرة . . . ١٨٩
لا يستل بوجه الله الا الجنة	ما جاء في التطير . . . ١٨٩
ما جاء في اللهو . . . ٢١٥	ما جاء في التنجيم . . . ١٩١
النهي عن سب الريح . . . ٢١٦	ما جاء في الاستسقاء بالانواء
يظنون بالله غير الحق . . . ٢١٧	توعد من يتخذ من دون الله
ما جاء في منكرى القدر . . . ٢١٨	أندادا . . . ١٩٣
ما جاء في المصورين . . . ٢١٩	علامة المؤمن خوفه من الله . . . ١٩٤
ما جاء في كثرة الحلف . . . ٢٢١	فضيلة التوكل على الله . . . ١٩٦
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه	من الايمان بالله الصبر على
ما جاء في الاقسام على الله	قدر الله . . . ١٩٧
لا يستشفع بالله على خلقه	ما جاء في الرياء . . . ١٩٨
ما جاء في حماية النبي	من الشرك ارادة الانسان
صلى الله عليه وسلم	بعمله الدنيا . . . ١٩٩
حمى التوحيد وسد طرق	التحذير من التحاكم الى
الشرك . . . ٢٢٤	الطاغوت . . . ٢٠١
ما جاء في قوله تعالى :	من جحد شيئا من الاسماء
«لوما نقبروا الله حق قبره»	والصفات . . . ٢٠٣
	انكار نعمة الله . . . ٢٠٣

الرسالة الحادية عشرة : حكم موالة اهل الشرك

(٢٢٩ - ٢٤٣)

الرسالة الثانية عشرة : بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين

وأهل الأشرار

(٢٤٤ - ٢٩١)

الصفحة	الصفحة
٢٧٢ . . عرف التوحيد	٢٤٤
حالات اظهار الموافقة	٢٤٩
٢٨٢	٢٥١
٢٨٦	٢٥٩
٢٨٨	الرجل لا يكون مسلما الا اذا

الرسالة الثالثة عشرة : بيان المحجة في الردة على اللجة

لشيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(٢٩٢ - ٣٥٢)

٣٢٦	٢٩٢
٣٢٨	٢٩٣
٣٣٠	٢٩٦
٣٣٢	٢٩٧
٣٣٥	٢٩٧
٣٣٧	٣٠٠
٣٤١	٣٠١
٣٤٣	٣٠٤
٣٤٨	٣٠٧
	٣٢٣

الرسالة الرابعة عشرة : قاعدة جلية في العبادة

(٣٥٣ - ٤٢١)

٣٧٥	٣٥٣
٣٧٩	٣٥٤
٣٨٠	٣٥٧
٣٨٣	٣٦٢
٣٨٤	٣٦٨
٣٨٩	٣٦٩
٣٩٠	
٣٩٦	

الصفحة	الصفحة
٤٢٠	٣١٨
٤٢٠	٤٠٧

الرسالة الخامسة عشرة : الفرقان

لشيخ الاسلام ابن تيمية

(٤٢٢ - ٥٢٢)

٤٧٠	٤٢٤
٤٧٢ سيدنا محمد سيد ولد آدم	٤٢٥
مفهوم العقل عند المسلمين	ضلال اليهود والنصارى
٤٧٧	٤٢٧
والفلاسفة	ومشركى مكة
تمثل الشياطين لبعض من	أعلى شعب الايمان قول
٤٨٢ يدعى نزول الوحي عليه	٤٣٥
٤٩٠ الله تعالى ليس كمثل شئ	٤٣٧
الله تعالى رب كل شئ	صفة الابرار واصحاب اليمين
٤٩١	٤٤٢
ومليكه	المقتصدين والسابقين
٤٩٢	لا يخلد في النار احد من
التوبة من الذنب	٤٤٣
سيد الاستغفار	أهل التوحيد
٤٩٧	تفاضل الناس في ولاية الله
المراد بالقضاء الدينى	٤٤٤
٥٠٢ الأدعية التى تحفظ قائلها	حسب أعمالهم
٥٠٥ معجزات الرسول	الايمان الجمل والايمان
٥٠٨ كرامات الصحابة	٤٤٥
٥٠٩ كرامات التابعين	المفصل
٥١٢ النهى عن اتخاذ القبور مساجد	٤٥٠
٥١٩ حال الصلابة عند قراءة	ليس للاولياء شئ يتميزون به
القرآن	أفضل الأعمال ، الايمان بالله
٥٢٣ السماع المحدث الملموم -	والجهاد في سبيله وحج
أغواء الشيطان لبعض	٤٥٣
الجهلة	مبرور
٥٢٤	٤٥٦
العمل بما في القرآن	التكليف بحسب الطاقة
٥٢٧ آيات في أوصاف الجن	٤٥٧
٥٢٨ اتصال الانس با لجن محمود	مناقب عمر بن الخطاب
٥٣٠	٤٥٨
وملموم	فضل أبى بكر على عمر
	ففسر قوله تعالى :
	« اتقوا الله حق تقاته »
	٤٦١
	كل وجد لا يشهد له الكتاب
	والسنة فهو باطل
	٤٦٢
	البحث على النظافة
	٤٦٥
	أوصاف أولياء الرحمن
	٤٦٦

الرسالة السادسة عشرة : الحزب المقبول من أحاديث الرسول

(٥٣٣ - ٥٦٧)

الصفحة	الصفحة
الدعاء عند عيادة المريض -	٥٣٣.
الدعاء والذكر عند حضرة	٥٣٤.
الموت - الدعاء في صلاة	أَسْرَعَ الدعاء أجابة دعوة
الجنائز ودفنها . . .	٥٣٥.
الدعاء عند زيارة القبور .	٥٣٧.
دعاء الاستخارة - دُفْعُ	الدعاء عند القيام من النوم
الحاجة - خطبة الحاجة	الدعاء عند افتتاح صلاة
كالنكاح وغيره وما يتعلق	الليل
به - الدعاء عند دخول	٥٣٩.
السوق	٥٤٠.
الدعاء عند الكرب والغضب -	القنوت في الوتر
الدعاء عند صباح الديك	أجابه المؤذن والدعاء بعد
ونهيق الحمار - الدعاء	الأذان - الدعاء بعد
٥٥٥ في السفر ومشايعة المسافر	٥٤١.
الدعاء عند الأحرام والتلبية	الدعاء بعد الخروج من
- دعاء الطواف والقام	البيت - الدعاء عند دخول
والصفا والمروة - دعاء	المسجد
٥٥٧ عرفة بعرفة	الدعاء والذكر عند صلاة
الدعاء عند رؤية الهلال -	الصبح والمغرب - الدعاء
٥٥٩ دعاء الإفطار	والذكر عند صلاة الصبح
الدعاء في ليلة القدر - الدعاء	٥٤٣.
عند لبس الثوب الجديد -	٥٤٧.
دعاء كفارة المجلس - دعاء	الدعاء عند الخروج من المسجد
حفظ القرآن - الدعاء إذا	الدعاء عند دخول البيت -
رأى مبتلى - دعاء قضاء	الدعاء عند الأكل والشرب
٥٦٠ الدين	- الدعاء عند دخول
دعاء الاستسقاء - دعاء	الخلاء وخروجه - الدعاء
الرياح والرعد والمطر -	٥٤٨.
دعاء التوبة - صلاة	قبل الوضوء وبعده .
التسبيح - الدعاء عند	الدعاء عند التكبيرة الأولى -
رؤية الثمار الجديدة -	الدعاء في الركوع وبعده
٥٦١ الدعاء عند رؤية المرأة	وفي السجود وبين
	السجدين
	٥٤٩.
	التشهد والصلاة على النبي
	٥٥٠.
	الدعاء والذكر بعد الصلاة
	٥٥١.

الصفحة	الصفحة
٥٦٤ . . . جامع الدعاء	اسم الله الأعظم - أسماء
٥٦٥ . . . الدعاء عند النوم	الله تعالى - باب
	الاستعاذة . . . ٥٦٢

الخاتمة وفيها خمسة فصول

(٥٦٨ - ٥٧٥)

٥٧١ . . . التهليل والتكبير	الفصل الأول في ذكر الله
٥٧٣ . . . الاستغفار والتوبة	عز وجل . . . ٥٦٨
٥٧٥ . . . الصلاة والسلام على	الفصل الثاني في فضل تلاوة
٥٧٦ النبي	القرآن وفضائل سورة
	٥٦٩
	الفصل الثالث في فضل
	التسبيح والتحميد
	محتويات الكتاب . . .